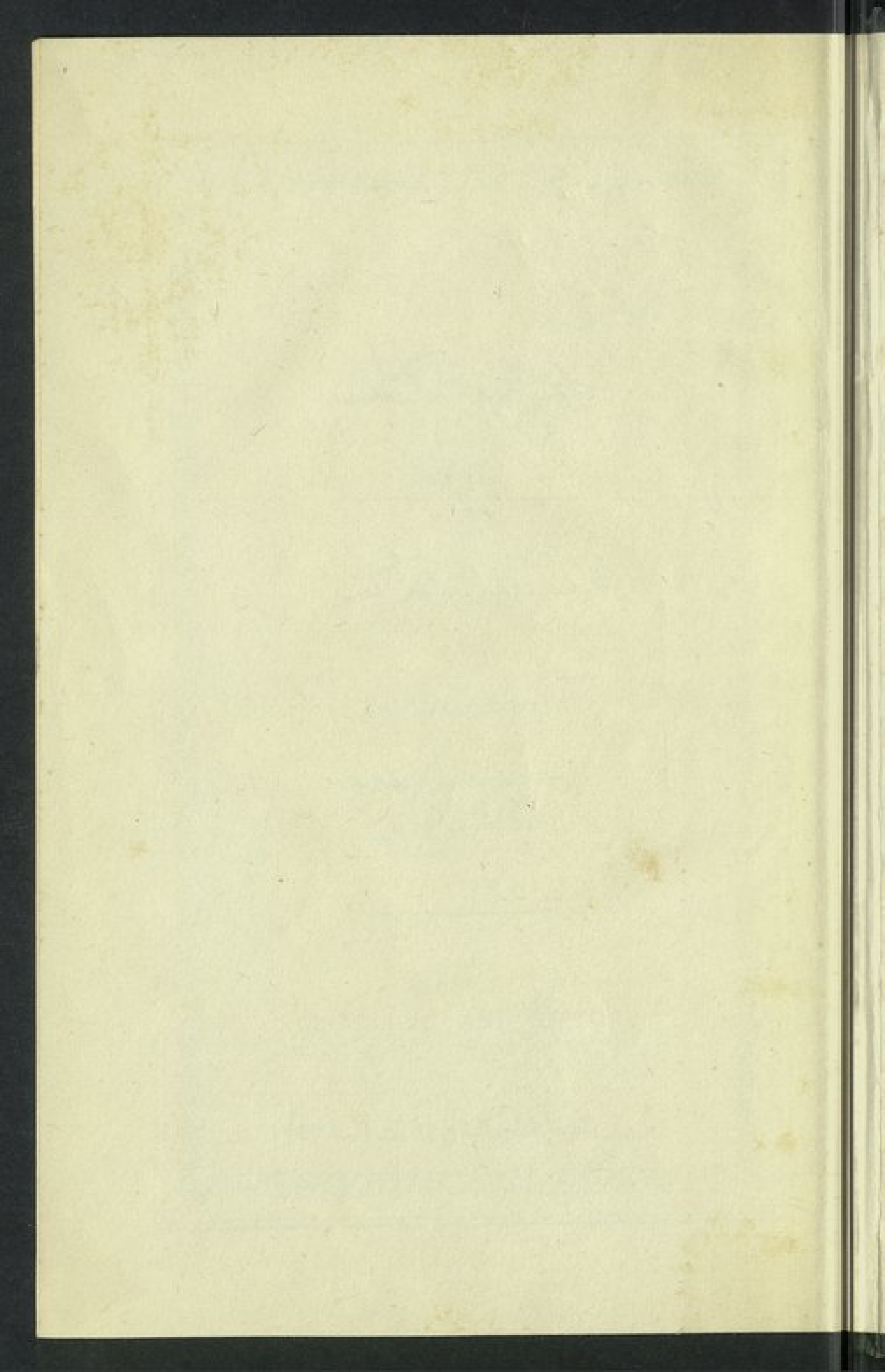
جغرافية الكتاب

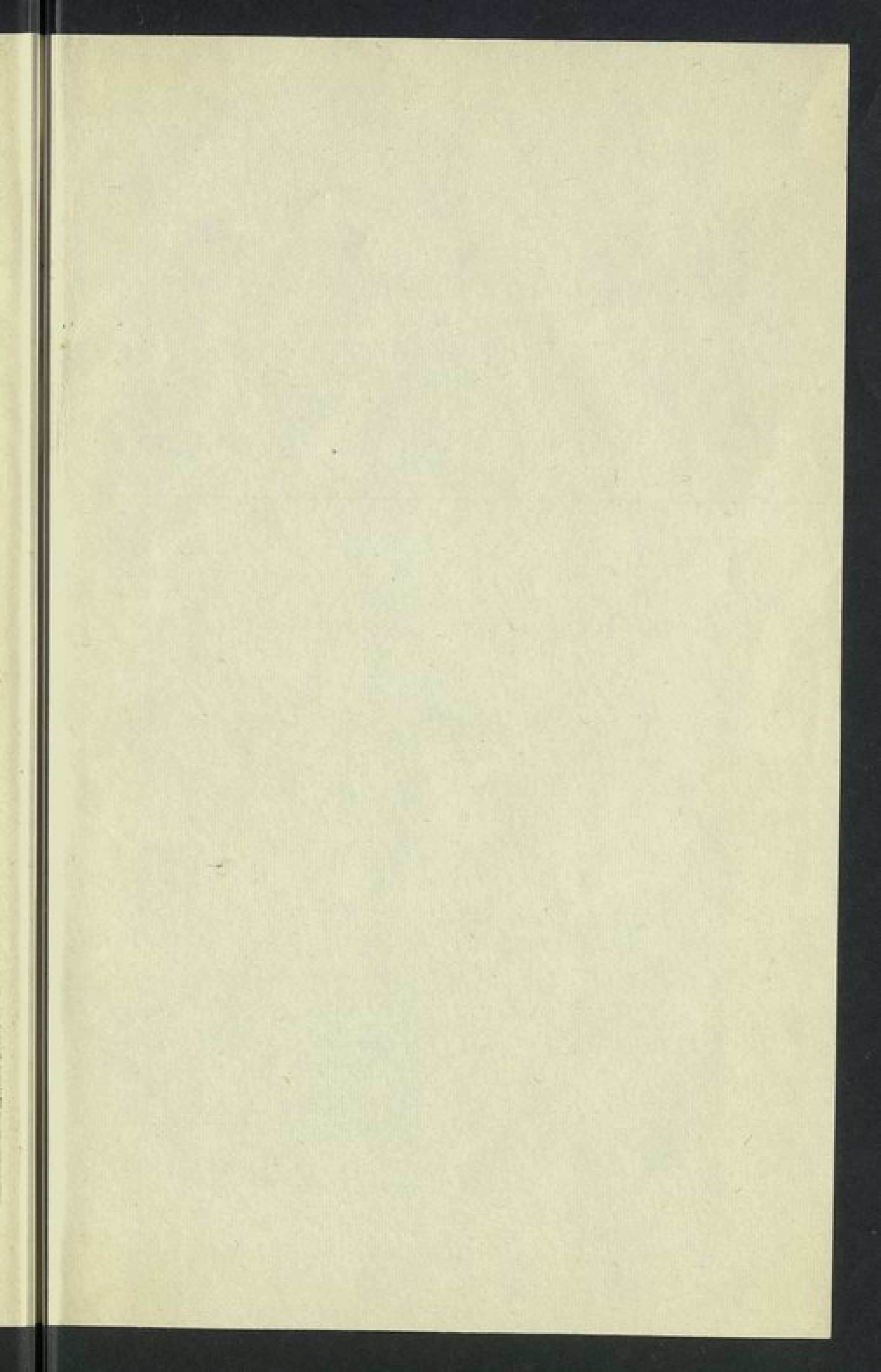
وتاريخه

تأليف تشارلس فوستر كنت

د. ف


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY





جغرافية الكتاب وتاريخهُ

تأليف تشارلس فوستر كنت
د.ف

ترجمة بتصرف عن الانكليزية
نقولا يعقوب غبريل

BIBLICAL
GEOGRAPHY AND HISTORY

طُبع في المطبعة الاميركانية في بيروت السنة ١٩٢٢

القسم الاول

الجغرافية الطبيعية

الفصل الاول

صفات الاقاليم العمومية

المذكورة في الكتاب

اتساع العالم الكتابي ان العالم الكتابي في اوسع حدودهِ يحتوي فعليًا كل مقامات التمدُّن الانساني الاول واقصى مقاماتهِ الغربية ترشيش المدينة الفينيقية في جنوبي اسبانية واقصى مقاماتهِ الشرقية لم تتعدَّ البحر القزويني والبوغاز العجمي. وحدَّهُ الجنوبي بلاد كوش وحدَّهُ الشمالي البحر الاسود. فامتداد هذهِ الاقاليم لا يزيد عن ستين درجة من الشرق الى الغرب واعظم امتدادها من الشمال الى الجنوب ٥٠ درجة . وكل هذهِ الاقاليم ما عدا بلاد العرب هي حول البحر المتوسط ومع ان مياهَ دجلة والفرات تصبّ اخيرًا في المحيط الهندي فالشعب الذي يقيم في تلك الاراضي الخصبة كان يصبو دائمًا الى البحر المتوسط لانهم وجدوا حولهُ ميدانًا فسيحًا لغزواتهم وتجاراتهم التي كانت في الغرب اكثر مما هي في الشرق والجنوب

الشروط الملائمة للتمدن القديم ان معظم هذهِ الاقاليم القديمة مؤلفة من براري ومياهٍ ورمال محرقة او من اراضٍ حجرية جافة . لا تنفع الا للمرعى واقل

من خمس تلك الاراضي كانت صالحة للفلاحة ولكن الاراضي الضيقة في تلك الاقاليم على شواطىء البحر المتوسط الشمالية والشرقية كانت مخصبة جداً

واربعة من هذهِ المقامات الخمسة الممتازة كان فيها على درجات متفاوتة ما يقوم بهِ التمدن القديم (١) الهواء الحارّ غير المضعف (٢) الاراضي المخصبة السهلة الحرث التي تمكّن السكان من خزن الاشياء الضرورية وبيعها (٣) اتصالها بعضها ببعض جغرافيًّا مما يجعل الوحدة السياسية والمدنية من الامور السهلة (٤) الضغط الخارجي الذي حثَّ الشعب على الجدّ والنشاط الدائمين (٥) الفرصة السانحة للاتساع وللمواصلات بينهم وبين الامم الاخرى القوية. وكانت النتيجة من هذا ان الاراضي حول البحر المتوسط الشرقي صارت ميدانًا واسعًا للتمدن والتهذيب والتاريخ القديم

ومن هذه المقامات ظهرت الافكار الاجتماعية والسياسية والعقلية والصناعية والادبية والدينية والتخيُّلات السامية التي اثرت في حياة الامم التي تسود الآن العالم وفي ايمانها . وصفة هذا التمدن القديم كانت تتكيَّف بحسب المجتمع الطبيعي الذي تظهر فيهِ

هواء مصر وحاصلاتها ان اراضي وادي النيل موافقة للغاية لنشوء التمدن الاول لانها قريبة من خط الاستواء وبين اراضٍ واسعة مؤلفة من صحراء جافة حارّة . وحالة هواء هذهِ الاراضي تكاد تكون صالحة وهي وان كانت حارّة فحرُّها غير شديد بسبب الريح الشمالية التي تهبّ من البحر المتوسط . والصحراء تجعل الهواء جافًّا والجو صافيًا ليس اقل من احد عشر شهرًا في السنة. ووادي النيل الاراضي على ضفاف النيل هي اراضي مصر الحقيقية وهي مخصبة جدًّا ونهر النيل الذي يفيض في اشهر الصيف الحارّة يمدّها بالمياه الغزيرة للريّ. والاحتياج للجدّ الدائم في نفس الوقت لاستخراج كل حاصلات الارض كان حاملاً على الاجتهاد. واستواء وادي النيل كان موافقًا جدًّا للوحدة السياسية والنظام السياسي

انفراد مصر وانحصارها كان انفراد مصر في البداءة مساعدًا لها

ولكنهُ اخيراً منع منعاً تاماً نمو تمدنها . وكان لا تحصرها من كل جهة الصحراء الصخرية الممتدة شرقاً وغرباً فقط بل ايضاً الموانع الصعبة العبور شمالاً وجنوباً ففي الجنوب تضيق الاراضي ضيقاً عظيماً حتى تصير كالاصبع وليس لها طرق طبيعية براً بينما الجنادل (الشلالات) العظيمة تمنع الوصول اليها بمائها وفي الشمال يتوسع النيل حتى يصير سبخة لا تُعبَر ولا يمكن الدخول الى مصر من الشمال الا من ممرين ضيقين احدهما هو فرع النيل الغربي الذي يصب في البحر المتوسط بقرب الاسكندرية والممر الآخر مجرى وادي طوميلات الذي يمتد من ترعة السويس ويمر في جاسان ارض التوراة الى وادي النيل وكانت هذه الممرات الضيقة من الشمال والجنوب في العصور القديمة يمكن ان تحرس بسهولة وكانت النتيجة ان المصريين وصلوا باكراً جداً الى درجة من التهذيب عظيمة ولكن كان ينقصهم المحرك من الخارج الامر الذي هو ضروري في التقدم في معارج الفلاح

فمرة او مرتين في ايام الملوك الرعاة (الهكسوس) والكوشيين غزا الغرباء مصر وكانت النتيجة ان العصور التالية كانت الامجد في تاريخ مصر وكان تمدن وادي النيل بوجه العموم ناقصاً في العمق والتخيل وكان مادياً لدرجة فاحشة ونما نمواً سريعاً اكثر من اللازم والناس عنهُ راضون حتى ان النحت والتصوير والبناء التي كان يرجى لها مستقبل مجيد كانت عديمة الثمر . وزد على هذا ان حدود مصر الطبيعية الحامية تبين انها مقيدة لها لذلك لم يكن الا فرصة صغيرة للتوسع ولذلك كان تقدم مصر دائماً موضعياً وتوقفت عن النمو من السنة ٥٠٠ ق.م

وصار سكان وادي النيل من ذلك الوقت فصاعداً خاضعين بالتتابع للغزاة الغرباء الذين تسلطوا على مصر احدى جنان العالم الشرقي

احوال وادي دجلة والفرات ان حالة وادي دجلة والفرات الطبيعية مشابهة من اوجه متعددة لحالة وادي النيل فالهواء حارٌ لكنهُ منشط

والتربة مخصبة غربانية قد انشأها النهران العظيمان وجدداها سنوياً بطوفانهما. وحماية الصحراء لها غرباً وافقت نمو التمدن النشيط في تاريخ مساوٍ لتاريخ مصر ان لم تقل قبله وهذان النهران العظيمان يخرجان من الجبال الشمالية ويجريان الى بوغاز العجم بمجريين الواحد بعيد عن الآخر فالدجلة يسير شرقاً بجنوب سيراً يكاد يكون مستقيماً نحو ١١٠٠ ميل ومعنى دجلة في الاصل سهم يشير الى سرعته في الجريان واما الفرات فبالعكس لانه يدور دورة طويلة للغرب نحو البحر المتوسط ومن ثم يدور جنوباً بشرق ويسير اكثر النصف الاخير من سيره (طوله ١٨٠٠ ميل) في الصحراء. والاراضي الواقعة بين مصبيهما ملائمة طبيعياً ان تكون وطن اقدم تمدن. وفي زمن قديم لا يعرف تاريخه جذبت هذه السهول المستوية القبائل الرحّل من البادية المجاورة. وهذه القبائل وجدت تلك الاراضي مخصبة جداً ولكنها يغطيها غرين النهرين العظيمين ولكي تكون مثمرة يجب ان تجفف من المياه في ايام الفيضان وتروى صيفاً بواسطة الترع والسدود وهذه المنطقة كان فيها اسباب قوية لنشوء التمدن ونموه ولعدم وجود الموانع الطبيعية في سهول بابل المستوية ونظراً لوحدة دائرتها الطبيعية كان يُنتظران وادي دجلة والفرات يصير من دون شك خاضعاً لملك واحد.

القوى الفعالة في نمو تمدنها كانت بابل بخلاف مصر معرَّضة دائماً للخطر من الخارج الذي هو ضروري لانشاء تمدن عظيم فمن صحراء العربية اتى غزاة البدو ومن الجبال شرقاً وشمالاً وربما من سورية الشمالية شعوب حربية قوية إما شوقوا سكان ما بين النهرين الى الجد الشديد لكي يصدّوا هجمات الاعداء واما غلبوهم وبثوا فيهم دماً جديداً ونشاطاً جديداً. ومن الجهة الاخرى ان عدم وجود ما يحصرها طبيعياً اوجد فرصة عظيمة للنمو الطبيعي والاتساع والنهران العظيمان كانا طريقاً سلطانياً للتجارة والفتح. وضرورة الدفاع نبهتهم الى فوائد الفتح الحربي والنتيجة ان الجيش البابلي في زمن قديم جداً دخل

الجبال شرقاً وشمالاً ومدّ سلطتهُ حتى شواطئ البحر المتوسط في الغرب . والتجار تبعوا الجيش حاملين مصنوعات بابل واغنوا بلادهم بما اخذوهُ من الامم الاخرى وهكذا صارت بابل بمرور الزمن ليس سيدة العالم القديم فقط بل المركز الخاص الذي خرجت منهُ الآراء السياسية والشرعية والصناعية والدينية التي اثرت في كل الشعوب القائمة حول البحر المتوسط شرقاً

تمدن بلاد العرب كان مقام التمدن السامي الثالث مخالفاً مخالفة كلية لما سبقهُ . لان شواطئ البحر الاحمر الشرقية كانت صخرية قاحلة فلم يكن على ذلك الشاطئ العبوس مجرى ماء او فرضة بحرية مهمة . والمنحدر الشرقي لسلسلة الجبال القائم على محاذاة البحر الاحمر هو احد جنان الشرق . والغيوم التي تبردها الجبال تسح ماءها هنا بينما سواقي الجبال بالامكان ان تجعل اقساماً منها بالريّ الصناعي ارضاً زراعية مخصبة . وها هنا نجد نوعاً سامياً من التمدن من زمن قديم . والهواء والتربة وضغط الغزاة ساعدت على ظهوره

وغلال بلاد العرب كانت مشهورة في كل العالم القديم ولكن البلاد كانت منفصلة انفصالاً تاماً عن مجرى ارتقاء العالم . ووسيلة اتصالها الوحيدة بالعالم الخارجي هي القوافل التي تعبر الصحارى لذلك نرى هالة من السرّ للآن حول ذلك التمدن البعيد . وكتمدّن مصر كان تمدّن بلاد العرب ينقصهُ فرصة للاتساع والمواصلة . وهكذا لم يتعدّ حدّاً معلوماً او لم يؤثر تأثيراً عميقاً في الامم السامية الاخرى

مميزات سورية وفلسطين بين بلاد العرب وقطعة من البلاد الجبلية القائمة على شاطئ البحر المتوسط الشرقي التي صارت تعرف مؤخراً بسورية وفلسطين اختلاف كليّ والفارق المهم في هذهِ البلاد التي هي قسم من البلاد السامية هو سلسلة جبال طورس الجنوبية التي تمتد على محاذاة البحر المتوسط بسلسلتين تعرفان بلبنان ولبنان الشرقي فالهواء الحار المعتدل والتربة المخصبة لاسيما في الاودية العريضة ما بين الجبال يعدّان الضروريات الاولية لتمدن

عظيم . والمطر المتتابع في فصل الشتاء والينابيع الدائمة والجداول تحول كل
هذه المنطقة تقريبًا بالماء المطلوب من اجل شعب زراعي ناجح والصحراء شرقًا
والجبال في الشمال كانت اوطان شعوب نشيطة ميالة للمهاجرة اقلقت غزواتهم
المتكررة سورية وفلسطين ودفعتها الى التقدم

مقامها المتوسط وعدم وحدتها وهذه المنطقة كانت الحاجز القائم بين
البحر والصحراء التي تصل اسية بافريقية ومملكة مصر بمملكة بابل . وطرق
القوافل العظيمة كانت تمرّ فيها من بلاد العرب في الجنوب وبلاد بابل في
الشرق الى اسية الصغرى . ومن هناك يسافر بحرًا الى ثغور البحر المتوسط
الشمالي ولكن النقص العظيم الذي منعها من صيرورتها وطنًا ثابتًا لشعب
قويّ منتصر هو صعوبة المواصلات فيها فنهراها العاصي والاردن غير مهمين
يجريان الى جهتين متعاكستين وسلاسل الجبال الممتدة من الشمال الى الجنوب
واحداها في الشمال تمتد من الشرق الى الغرب تقسم البلاد الى ثمانية اقسام
او عشرة اقسام ممتازة والاختلاف العظيم في الهواء والنباتات والحيوانات تفصل
هذه المناطق المختلفة بعضها عن بعض وتجعل التمدن العام على درجة واحدة
مستحيلاً بالفعل . لا اقليم سوى الوادي المخصب (البقاع) الكائن بين جبلي
لبنان له المزايا الطبيعية الكافية ان يسود بقية البلاد على طول شرقي البحر
المتوسط

والنتيجة ان سورية وفلسطين لم يسُدْ عليهما ولاة وطنيون الا نادرًا وفي مدات
قصيرة . وصنات هذه البلاد الطبيعية تشير الى تمدن ممتزج من البداءة من
تمدن الصحراء وبابل ومصر والبلدان الاخرى الواقعة على شاطىء البحر المتوسط .
وما التمدن الغريب والحياة الدينية التي تزهو في سورية وفلسطين الضيقة الا
من التأثير الاجنبي على الغالب . وكانت هذه البلاد في ذات الوقت اهم مركز
سيادة بقية العالم القديم وكان مقدورًا لها ان ينبعث منها التأثير الذي يمتد
الى اقصى الارض

اسية الصغرى ان اسية الصغرى كسورية تنقصها الوحدة الطبيعية فداخليتها سهل مرتفع قاحل تحيط به جنوبًا وغربًا وشرقًا السهول البحرية المخصبة . وهذه السهول تفصلها الجبال العالية بعضها عن بعض . ومن هذا المرتفع دخل الغزاة ودفعوا سكان السواحل الى الحماية عن نفوسهم بكل ما في وسعهم . والمواصلات بحرًا وبرًّا من الغرب الى الشرق جلبت الى هذهِ الولايات البحرية تمدّن الشرق والغرب فنشأ في هذهِ الاحوال طبيعيًا تمدّن اجنبيٌّ غير متّحد بل مجتمع حول مراكز مختلفة وغير وطني بل ممزوج من عناصر وطنية مع عناصر سامية و يونانية مزجًا فنيًا

ميسيني على شاطئ الدردنيل الشرقي الجنوبي يتسع الساحل فيصير من احسن المناطق المخصبة في العالم القديم والامطار الكافية والجداول الجبلية الدائمة تروي السهول المتموجة . وفي هذه البقعة الصغيرة تمام الاستعداد والشروط الخمسة الضرورية لنشوء تمدُّن قديم عظيم

وهنا كان مقام المملكة الميسينية التي ناظرت بفنونها وعلومها تمدُّن بابل ومصر وفاقته من اوجهٍ متعددة

اغريقية بين كل مراكز التمدن القديم لم يكن تمدُّن يرجى تقدمهُ من اوجهٍ عديدة كمركز اغريقية (بلاد اليونان) لان تربتها كان معظمها متحجرًا وغير مثمر اذ كان اقل من ثلثها ملائمًا للزراعة . وسهولها لم تكن متسعة . وسلاسل جبالها تملأ تلك السهول وتقسمها الى اقسام صغيرة منفردة ولم يكن في اغريقية انهر كبيرة صالحة للملاحة . والجداول الصيفية النافعة للريّ قليلة . وزد على هذا ان الجداول تجلب الغرين الى الاودية فتجعلها مستنقعات تكثر فيها الحميات وبالنتيجة ان اغريقية اليوم كما كانت دائمًا تكثر فيها الحميات اكثر من كل بلدان اوربة ومساحتها الصغيرة لم تجعل فرصة لاتساع تمدن عظيم ورأس مالها العظيم هواؤها المعتدل وريحها الشمالية المطهرة ومركزها المحمي بحرًا الذي جعلها في مأمن في الايام القديمة . وكما ان اغريقية هي شبه جزيرة هي ايضًا متوسطة

ومتصلة بتمدن اسية الصغرى وشرقي البحر المتوسط لان جزائر بحرايجه لتجارة عبور توصل اغريقية بالشرق القديم . والبحر كان ايضاً سبيلاً عظيماً بوصلهم الى اقصى البلدان واخيراً كانت اغريقية في مقام تشعربه بتأثير الغزو الاجنبي المنبه من الشمال والشرق . وقسمتها الى اقسام صغيرة نتج منها نشوء ممالك صغيرة مدنية كانت تناظر بعضها بعضاً في الحروب والعلوم والصناعة وهذه المناظرة الحادة ومحبة الوطن الشديدة كانت العوامل الشديدة في نمو تمدن هلأس القديمة . وصفاتها الطبيعية ساعدت على سرعة نمو التمدن العظيم ولكنه سقط بسرعة كما نشأ اذ لم يكن له من فرصة للتوسع . وهذا كان يني بتفرق الشعب وامتداد التمدن خارجاً وكانت النتيجة انه حتى في عصر انحطاط التمدن اليوناني خمر ذلك التمدن كل العالم المتمدن وتسلط عليه

ايطالية الى الامام الى جهة الغرب برزت ايطالية الى قلب البحر المتوسط ومن الشمال جبال الالب العالية تحميها من الرياح الباردة والثلوج وهي محاطة من كل جهة تقريباً بلجانها وبماء البحر المتوسط الدافئة . وفي كل شبه هذه الجزيرة الضيقة تقريباً تمد جبال الابنين وتقترب شرقاً الى الساحل حتى ان الانهر لا تستحق الذكر والمرافئ قليلة . وعلى الجانب الغربي تنحدر الجبال بالتدريج والسهول الساحلية مخصبة جداً وهذه السهول ترويها الانهر الناشئة عن الثلوج الذائبة . والنتيجة ان هذا الشاطئ الغربي بمرافئه المتعددة الصالحة وخصبه العظيم اعدَّ منذ الايام القديمة وطناً صالحاً لشعوب نشيطة وقوية وهنا صارت تنمو بكثرة الاثمار والحبوب المتعددة التي تكون في الاقاليم المعتدلة والحارّة . والارض في محال متعددة بمساعدة الريّ الصناعي تعطي اربعة مواسم سنوياً والهواء في هذه البلاد التي تعدُّ جنة هو نصف حارّ ولكنه غير مضرّ وحرارة الشمس يلطفها نسيم البر والبحر . وهذه البلاد هي بلاد المباينات بنوع خاص فترى على الجانب الواحد البحر الازرق وعلى الجانب الاخر الجبال المعممة بالثلج والحرارة على المنحدر الغربي تختلف بين برد الثلوج وحرارة

السواحل ورطوبة الاودية. ومن المجيرات الصافية الجميلة على الاعالي النزول سريع الى المستنقعات الوبيئة في المنخفضات

موقع رومية ان هذا المنحدر الغربي يقطعهُ في الوسط من الشمال الى الجنوب نهر التيبر ثاني نهر بو الذي هو اعظم انهر ايطالية والى الشرق ترتفع جبال الابنين اعظم ارتفاعها مما هو ضمانة لامطار سنوية غزيرة . وادي التيبر نفسهُ كان احد الطرق القديمة من الشرق الى الغرب وكان قديمًا الفاصل الطبيعي بين الاتروسكانيين المتمدنين في الشمال وبين اللاتين والمستعمرات اليونانية في الجنوب. والتقى في هذا الموضع رومية كل اجناس الناس وامتزجوا وصاروا بالنتيجة سلالة نشيطة وقوية ووصلوا الى تمدن عظيم

وكان موقع رومية على تل بَلاتين وهو اكمة من مقذوفات بركانية بجانب نهر التيبر وتبعد عن مصبهِ نحو ١٤ ميلاً . وتشابهُ الاراضي الايطالية ساعد على اتحاد شعوبها وامتزاجهم تحت قيادة رومية المدينة المتوسطة

اسباب نهوض رومية للفتح من اكبر اسباب تقدمها في التمدن الهجوم الذي كانت معرضة لهُ من الخارج دائمًا وجبال الالب العالية لم تكن مانعًا قويًّا يعيق القبائل البرابرة التي جذبها خصب الاراضي عن غزو رومية وبما ان ايطالية القديمة يحيطها البحر وهي ذات مرافئ متعددة شرقًا وغربًا وجنوبًا كانت في خوف دائم من هجوم الاجانب عليها. ولم تأمن على نفسها الا بعد ان انتصرت على كل الامم القوية على شواطئ البحر المتوسط البعيدة جدًّا. وخوفها هذا الدائم وتأثير سياداتها العظيمة جعلاها بمرور الزمن سيدة البحر المتوسط ومن الشرق اخذت بعد اليونان بقرن او قرنين كل التمدن القديم خيرهُ وشرهُ كليهما وهذا الميراث اعطتهُ بدورها للغرب التي هي متجهة اليهِ كما انها منهُ ولذلك تكون رومية اعظم حلقة تصل بين الشرق والغرب اي بين العالم القديم والحديث

الخلاصة ان عالم الكتاب المقدس باتساعهِ وزمنهِ كان تمامًا نفس العالم

المتمدن القديم . ان نظر كتبة الكتاب المقدس كان محصورًا في سواحل شرقي البحر المتوسط ولكنهُ اتسع بالتدريج حتى عمَّ فعلاً كل الشعوب التي تسكن حول هذا البحر العظيم وهكذا كان ايمان العبرانيين محصورًا في فلسطين ولكنهُ صار بمرور الزمن يعمّ العالم وكل سلالة من الامم القديمة كان ينمو التمدن فيها بحسب موقعها الجغرافي وكلا التمدُّنين تمدُّن العبرانيين وتمدُّن اليونان كان ينقصهما ما يساعدهما موضعيًا على النمو والاتساع لذلك اضطرًا ان يخرجا ويفتتحا و يغيّرا افكار العالم كلهِ وايمانهُ

الفصل الثاني

صفات فلسطين العمومية

تاريخ الاسمين فلسطين وكنعان ان الاسم فلسطين كان يطلق اولاً على موطن اعداء الاسرائيليين اي الفلسطينيين وكان اليونان يطلقونهُ على سورية الجنوبية ما عدا فينيقية . واول من استعملهُ بهذا المعنى المتسع على ما نعرف هو المؤرخ اليوناني هيرودتس والرومان استخدموا نفس الكلمة تقريبًا فلسطين وبواسطتهم انتشر استعمالها في العالم الغربي العالم الذي كان يسكنهُ الاسرائيليون وجيرانهم الاقربون شرقًا وغربًا وتاريخ الاسم الاقدم كنعان (الارض المنخفضة) مشابه لسابقهِ . وفي المكاتيب التي اكتشفت في تل العمارنة في مصر المكتوبة في مصر في القرن الرابع عشر ق . م . ان هذا الاسم كنعـــان يطلق على السواحل البحرية فقط ولكن لما بدأ الكنعانيون (سكان الاراضي المنخفضة) يسكنون الجبال توسعوا في معنى الكلمة حتى صارت تطلق على كل الاقاليم من البحر المتوسط الى الاردن والبحر الميت ومع هذا لم يظهر انها أُطلقت على

اراضي شرقي الاردن

حدود فلسطين ان فلسطين مابين الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط وصحراء بلاد العرب . وحدها الشمالي منحدر جبل الشيخ الجنوبي ونهر الليطاني حيث يدور تماماً للغرب لنحو البحر المتوسط وفلسطين تبدأ حيث يصير جبل لبنان عدة انجاد مرتفعة . وحدها الجنوبي هو الخط المتعرج الممتد شرقاً من طرف البحر المتوسط الجنوبي الشرقي الى قرب جنوبي بحيرة لوط حيث اكام يهوذا والبلاد الجنوبية تنحدر الى البادية . فاذاً فلسطين تمتد من ٣٠ْ ٣٣َ الى ٢١ْ شمالي خط الاستواء ومن ٣٤ْ الى ٣٧ْ درجة من الطول الشرقي واتساعها يقرب من مئة ميل وطولها من الشمال الى الجنوب ليس اكثر من ١٥٠ ميلاً وتقرب مساحتها من مساحة هولانده

تاريخها الجيولوجي ان تاريخ فلسطين الجيولوجي غير معروف تمام المعرفة لكنه مفيد للغاية . ان صخورها الاساسية صوانية وهذه تغطيها الصخور الرملية والصخور الكلسية والطباشيرية . وفلسطين كانت في العصور الجيولوجية الاولى يغطيها ماء البحر وعلى الارجح في آخر المدة البلاسينية حصلت الانفجارات البركانية وجعلت لسورية وفلسطين صفات خاصة وتركت شقاً عظيماً في وسط سورية ممتداً من الشمال الى الجنوب وهذا الشق هو اليوم الوادي المعروف بالبقاع بين جبلي لبنان وهذا الشق يمتد الى وادي الاردن والبحر الميت (بحيرة لوط) ويمتد جنوباً في وادي عربات الى خليج العقبة . وهذا الانخفاض العظيم هو اعمق ما عرف على وجه البسيطة ونفس هذا الانفجار البركاني العظيم جعل الجبال الغربية ان تمتد شمالاً وجنوباً وجعل تركيب طبقاتها كتركيب الالماب (الاثيار) وحصل في العصور المتعددة زلازل قوية شعر بها كل سكان الشق القديم ولم تزل هذه الزلازل ترعب السكان كما كانت في ايام الانبياء العبرانيين

الرواسب الرملية والغرينية ونحو الادوار الجيولوجية الاخيرة وصل

البحر الى حضيض الجبال وصار الشاطىء يرتفع بالتدريج بهذا وبواسطة حمل الانهر الذي جرف التراب من الجبال ولاسيما على الجانب الغربي حيث الامطار غزيرة وسهول السواحل اكتسبت كثيرًا من الغرين وهذا الغرين كان يختلف عن غرين النيل الذي تدفعهُ الرياح الغربية من البحر جاعلاً حدًا واسعًا من الرمل الاصفر على شاطىء فلسطين

الاقسام الطبيعية تقسم فلسطين فعليًا الى اربعة اقسام او مناطق طبيعية وهي تمتد بخطوط متوازية من الشمال الى الجنوب . على شاطىء البحر العظيم السواحل الضيقة التي تعرض في الجنوب وتصير سهول شارون وبلاد الفلسطينيين . والمنطقة الثانية هي النجد المتوسط وفيها تلال في الشمال تعلو من ٣ الى ٤ الاف قدم ثم تنحدر بالتدريج الى سهل مرج ابن عامر . وجنوبي مرج ابن عامر تلال السامرة المثمرة تمتدّ الى تلال يهوذا القفرة ثم تنحدر الى تلال البلاد الجنوبية الصخرية . والمنطقة الثالثة هي وادي الاردن وبحر لوط وتبتدىء عند حضيض جبل الشيخ وتنخفض بسرعة حتى تصير عند بحيرة لوط اخفض من سطح البحر بمقدار ١٢٩٢ قدمًا . والمنطقة الرابعة تشتمل على الانجاد المرتفعة التي تمتد شرقي الاردن وبحيرة لوط حتى صحراء بلاد العرب الصخرية

التباين الطبيعي ان الميزة العظيمة الطبيعية في فلسطين هي التباين الطبيعي فيها من حيث الهواء والنبات والحيوان مع انها بقعة ضيقة نحو ١٥ الف ميل مربع والسواحل البحرية والاودية البرية والمرتفعة والاودية العميقة الحارّة و بعض الجبال التي يكسوها الثلج كائنة ضمن حدود ضيقة جدًا والسائح اذا ساح يومين او ثلاثة ايام من الغرب الى الشرق يمرّ في هواء الشاطىء المعطر ثم يرتفع الى الانجاد المتوسطة حيث الهواء بارد ثم ينزل الى وادي الاردن و بحيرة لوط حيث الهواء حارّ رطب ومن ثم يصعد في جبال جلعاد وموآب حيثما نور الشمس تحرق نهارًا وتنزل درجة الحرارة ليلاً والثلج الكثيف يغطي الروابي في الشتاء في تلال الانجاد اشجار المنطقة المعتدلة وفي

الاودية وساحل وادي الاردن النخل والاشجار المثمرة

تأثير هذا التباين ان هذه المناطق المختلفة تتصل بعضها ببعض ولكنها تختلف في الهيئة والهواء والنبات والحيوان وهذه الاختلافات هي فاصل في المعيشة والتمدن لايمكن ان يعبر . وفي هذه الايام كما في الايام الغابرة يعيش سكان المدن والخيام والتجار والفلاحون في هذهِ الارض الضيقة. يبعد القسم الواحد عن الآخر بضعة اميال ومع هذا فهم منفصلون الواحد عن الآخر باعظم الفواصل في العلم وكيفية المعيشة . وطبيعة البلاد تجعل التمدن العمومي مستحيلاً و بالنتيجة ان هذهِ البلاد لايمكن ان تكون متسلطة في العالم. وقد قدّر لها بالحري ان تكون موطن قبائل صغيرة او امم ذات قوانين مختلفة ودرجات متباينة في الآداب . واختلاف هذهِ البلاد في المظاهر والهواء وكيفية المعيشة جعلها مجمل كل العالم وكانت ملائمة بنوع خاصّ ان تكون موطن شعب منتخب لكي يحمل رسالة حيوية لكل سلائل العالم بعبارات يفهمها الجميع . وتباينها العظيم وجمالها العجيب ومجاليها جذبت انظار الاولين واوضحت عظمة العبادة الطبيعية بين سكان فلسطين الاولين واوضحت ايضاً اهمية صخورها وجداولها وتلالها ورياضها في كتب بني اسرائيل

تعرضها لصحراء بلاد العرب ومن المميزات الرئيسية الثانية لفلسطين تعرضها للصحراء العربية والعالِم سمث اصاب الغرض بقولهِ ان فلسطين قائمة بجانب الصحراء وجانبها الاكبر معرض لها وحقولها الخصبة بعض الخصب كانت مغنطيساً مدة الوف من السنين يجذب القبائل العربية الرحالة . وهولاء دخلوها ليس بالجماهير غالبًا بل بالأُسَر او العشائر الصغيرة ودخلوا تلال يهوذا من الجنوب وهناك تعلموا على تراخي الزمن كيفية غرس الكروم وتدبيرها ولكنهم لم يتركوا رعاية المواشي . والاراضي التي تزرع شرقي موآب وجلعاد تمتد بالتدريج الى القفر . والعرب اليوم كما كانوا سالفًا يدّعون ملكية كل الاراضي حتى الاردن وبحيرة لوط ما عدا الاراضي التي يقيم بها الحضر و يدافعون عنها

بالسلاح

ان نوع معيشة الصحراء وعاداتها كان لها دائمًا تأثير عظيم في بلاد فلسطين

ان محبة الحربة وعدم الثقة بالحكومات المنظمة والمناظرة الشديدة بين القبائل والعشائر هي قليل من كثير من مميزات تاريخ فلسطين وهذا ناتج من تعرضها للصحراء

قلة المرافئ الصالحة وعدم وجود الانهر التي تمخر ان فلسطين من الوجه الاخر ليس لها اتصال تجاري بالشعوب الاخرى وليس من سبيل عظيم يحرّض التاجر والمحارب على غزو بقية العالم ولكنها في العصور القديمة عندما كان الناس يعتمدون على المواصلات النهرية او البحرية كانت وهي محصورة تميل الى نيل تمدُّنٍ عظيم لا الى تمدن واسع ونهرها الوحيد الكبير هو الاردن الذي يصبّ ليس في البحر المتوسط بل في بحيرة لوط التي لا يجري منها الماء بل يتبخر في الجوّ. وساحل فلسطين كلهُ ليس فيهِ مرفأ صالح ففي يافا وحيفا وصور مرافئ ولكنها غير صالحة وليس في هذهِ المحلات من واقٍ طبيعي يقيها شر الانواء الغربية العظيمة . ولما كان الفينيقيون تقفل عليهم الجبال من الشرق خاطروا في ركوب البحر ولكن البحر المتوسط كان للناس قديمًا حاجزًا لا محرضًا على التجارة والغزو

اسباب الجدّ ان صفات فلسطين الطبيعية كانت ملائمة لتربية شعب مجتهد نشيط وضغط العرب الدائم عليهم من الحدود الضغط الذي لا يمكن ان يصدّهُ الا تمدُّن قوي كان محرضًا عظيمًا على الجدّ . وقسمة الاراضي الطبيعية بين القبائل المستقلة والمتعادية حملتهم غالبًا على النشاط واليقظة اللذين لا بدَّ من اقتنائهما اذا احبوا الحياة والحرية وبما ان الاراضي متحجرة كلفت الاهالي مشقات كبيرة وعودتهم النشاط كما نراها اليوم جدرانًا كبيرة او جنوات عالية والاراضي صارت مخصبة حتى ان الاهالي صاروا يروونها من

الجداول التي تجري من الجبال فهي ارض قد ربّت رجالاً اشدّاء بقظين نشيطين عقلاً وجسداً

البواعث على الايمان والتهذيب الادبي ومن مميزات فلسطين ايضاً الدافع العظيم فيها لنشوء ايمان سكانها . ووجود الغزاة العرب قوّى اتكالهم على الهم او آلهتهم

وهواء فلسطين المتغيّر عمّق الشعور بهذا الاتكال ولم يكن عندهم نهر كبير كالنيل او الفرات يجلب ما يكفيهم من الماء والماء من الاشياء الضرورية للحياة. ان المياه تنزل من العلاء او تنبجس من صخور الجبال انبجاساً عجيباً فاذا لم يجيء المطر المتأخر لاملاء الاحواض وامداد الينابيع والانهر فالقحط وما يتبعة من قطار الويلات لامردّ له . فلا عجب اذا كان الكنعانيون القدماء يوقرون الالهات الطبيعية وكاليونان يعبدون ارواح الينابيع وعلى الخصوص الينابيع التي تأتي منها انهارهم المتدفقة . والجراد والزلازل والاوبئة التي كانت تنتاب البلاد من وقت الى آخر كانت تجلب عليها المصائب . وفي كل هذهِ النوازل المخيفة الاسباب كان يرى فيها الاولون ظهور ايدي الآلهة والى هذا الاعتقاد العمومي اشار النبي عاموس في ٤:٧-١٠ "وانا ايضاً منعت عنكم المطر اذ بقي ثلاثة اشهر للحصاد. وامطرت على مدينة واحدة وعلى مدينة اخرى لم امطر. امطر على ضيعة واحدة والضيعة التي لم يُمطَر عليها جفّت . فجالت مدينتان او ثلاث الى مدينة واحدة لتشرب ماء ولم تشبع فلم ترجعوا اليَّ يقول الرب . ضربتكم باللفح واليرقان. كثيراً ما اكل القمص جناتكم وكرومكم وتينكم وزيتونكم فلم ترجعوا اليَّ يقول الرب . ارسلت بينكم وبأً على طريقة مصر قتلتُ بالسيف فتيانكم مع سبي خيلكم واصعدتُ نتن محالّكم حتى انوفكم فلم ترجعوا اليَّ يقول الرب"

فلذلك ففي بلاد كفلسطين كان من الطبيعي ومما لا بدّ منهُ تقريباً ان الناس يشتاقون ان يعرفوا مشيئة الآلهة ويجتهدوا ان يعيشوا بموجبها وكانت فلسطين مدرسة ملائمة فيها تتربي السُلالة التي وصلت الى اعمق شعور بالحضور

الالهي واشد روح للعبادة والى وقفِ النفس ونالت اعلى درجة من الشعور الادبي

توسطها وتعرضها للهجمات من كل جانب ان فلسطين مع بقية سورية ذات مركز متوسط من حيث العلاقة بالتمدّنات القديمة خارجها . وفيها كانت تمرّ الطرق السلطانية من بابل واشور الى مصر وعلى جانبها الشرقي كانت تمرّ الطريق من دمشق وبين النهرين الى بلاد العرب . وكانت بابًا ومفتاحًا لثلاث قارّات افريقية واسية واوروبة . ومن هذهِ القارات الثلاث جاء الفاتحون كلٌّ بدورهِ المصريون والكوشيون والبابليون والاشوريون واليونان والرومانيون وسكان فلسطين المنقسمون بعضهم على بعض العاجزون عن صدّ هولاء الفاتحين

وفلسطين بسبب صفاتها الطبيعية كان مقدَّرًا لها ان تكون محكومة لا حاكمة ومع هذا فمعاملتها لهذهِ الشعوب القديمة لاشك انها نشطت تمدن وايمان سكان تلك البلاد التي كان يخاصم عليها الاخرون . وهذه الهجومات انتجت الازمات الدينية والاجتماعية والسياسية العظيمة وهذا ما دعا الى قيام الانبياء العبرانيين

وهذا ما جعل الاسرائيليين يحوّرون الارث الثمين الذي ورثوهُ من جيرانهم المتهذبين وينقلون هذا ولاسيما ما قبلوهُ من معلميهم الملهمين . ولما كان الفاتحون قد سبوهم ونفوهم صار لهم الفرصة العظيمة ليذهبوا ويغلبوا ليس بالسيف الفولاذي بل بسيف الحق الالهي ويبنوا مملكة ليس لها حدود في الزمان والاتساع

اهمية صفات فلسطين ان اهم صفات فلسطين تشير الى اظهار الحياة الاسرائيلية والى الغاية القصوى من وجود اليهودية والمسيحية وتأثيرها في العالم . ان فلسطين مهبط الوحي الفائق بدرجاتهِ الاولى لاظهار صفات الله وقصدهِ بخلق الانسان . وكلما درسنا هذا الوحي باعتناء وضح لنا انهُ تمّ بوسائل

فائقة الطبيعة . ان تلال فلسطين الصخرية واوديتها والاجتماع الغريب بين البحر والسهل والجبل والقفر ووضعها في وسط العالم القديم كلها عوامل صامتة فعالة تحقق قصد الله في حياة الانسان

الفصل الثالث

سهول فلسطين

اتساعها وصفاتها ان الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط متاخم لعدة من السهول الساحلية المنخفضة . اتساعها من الشمال من ميل الى خمسة اميال وخمسة وعشرون ميلاً في الجنوب . والجبال في موضعين في فلسطين تدخل البحر. الاول في الموضع الذي يسمونه سلّم صور يبعد عن مدينة صور جنوباً نحو خمسة عشر ميلاً حيث الاهاب تنحدر الى البحر والثاني في جبل الكرمل الذي لا يمسّ البحر تماماً بل يتاخمهُ . وفي الجهة الغربية لسان من السهل اتساعهُ نحو ٢٠٠ يردٍ وتربة هذهِ السهول الساحلية مؤلفة من الغرين معظمهُ من الصلصال والرمل الاحمر المتبلور جرفتهُ المياهُ في الادوار الجيولوجية الاخيرة من جبال الانجاد المتوسطة وهذا الغرين يتجدد على الدوام في كل سنة عند السيل

خصبها ان هذهِ السهول بسبب طبيعة تربتها ومقامها هي من الاراضي المخصبة في كل فلسطين . وكثير من الجداول والانهر تنحدر من الاراضي العالية . وبعض هذهِ الجداول والانهر صيفية وبعضها شتوية وكل هذهِ لو خُزنت مياهها في المرتفعات شتاء لكانت تكفي لريّ السهول تحتها ومعدل

درجة حرارة هذهِ السهول الساحلية سنوياً ٦٨ فارنهيت ونسيم البحر الرطب يعدّل الهواء حتى لاتتغير درجة الحرارة في كل السنة كثيراً والفرق طفيف بين الشمال والجنوب في الحرارة. والاراضي بسبب هذهِ الاحوال الموافقة تنتج بكثرة انواعاً مختلفة من اثمار المنطقة الحارّة فترى فيها البردقان والليمون الحامض والمشمش والتين والخوخ والموز والعنب والزيتون والرمان واللوز والأُترُجّ (الكباد) ومختلف الخضر وحبوب الحلات العالية

اقسامها تقسم سهول فلسطين طبيعياً الى اربعة اقسام كبيرة يقطعها سلسلتان من الجبال. فالشمالي سهل صور الذي هو الذيل الجنوبي للسهول الخصبة حول صيداء والقسم الثاني هو سهل عكا جنوبي سلّم صور وهو يمتدّ الى الكرمل . والقسم الثالث سهل شارون يبدأُ جنوبي الكرمل ويمتدّ مقابل يافا الى القسم الرابع سهل بلاد فلسطين المتسع

سهل صور ان الآكام في سهل صور على بعد ميل من البحر ولكنها شرقي الشاطئ وعلى بعد اربعة اميال او خمسة تعدّ جزءاً من ذلك القسم وتحسب بسبب وضعها الطبيعي والسياسي من الساحل لامن الجبال

كانت مدينة صور مبنية اولاً على جزيرة وكانت تجرّ اليها المياهُ من ينبوع يبعد عنها نحو خمسة اميال جنوباً (راس العين)

ان الانهر الصينية الكبيرة في بلاد فينيقية اربعة (١) الليطاني او القاسمية على بعد بضعة اميال من صور شمالاً (٢) الزهراني جنوبي صيداء (٣) الاولي الذي يروي بساتين صيداء . (٤) الدامور بين صيداء وبيروت. وكثير من الينابيع في السهل وجوانب الآكام تساعد على خصب الارض التي كانت موطن الفينيقيين. وضيق هذهِ الاراضي التي لم تعُلْ سوى عدد محدود من الناس حملت ذلك الشعب الجريء ان يتطلب منفذاً في محل آخر . فامتدت مستعمراته قبل عهد العبرانيين بزمن طويل الى سهول يافا الساحلية جنوباً والى النهر الكبير شمالي طرابلس . والاصحاح ١٨:٢٧ من سفر

القضاة يشير الى مستعمرة الصيدونيين في لايش (سمّاها العبرانيون دان) عند حضيض جبل الشيخ. وليس من برهان ما عدا هذا ان الفينيقيين حاولوا ان ينشئوا مستعمرات في الداخلية ولكنهم وجدوا منفذاً عظيماً لهم بحراً في الغرب. واذ انزلوا سفنهم الصغيرة من الرمال الناعمة الممتدة على هيئة هلال شمالي مدينتيهم الرئيسيتين صور وصيداء وجنوبيهما خاضوا شواطئ البحر المتوسط واستعمروا كل جزره وسواحله حتى صارت طوارئهم ممتدة من طرف البحر المتوسط الى الجانب الآخر. وهكذا هم اول من فتح الباب العظيم للسفر الى الغرب. ومنه ادخلوا ليس فنون الساميين وصناعتهم فقط بل رسالة انبياء اسرائيل الملهمين وكهنتهم وحكمائهم ورسالة مَن لم يتكلم انسان مثله قط

سهل عكا على بعد عشرة اميال جنوبي سهل صور تعارض الجبال الساحل وتسده تقريباً وهذه الجبال عند راس الابيض (اللسان الذي يسميه الكتبة الرومانيون الشناخ الأبيض) وعند راس الناقورة تمتدّ في البحر والطريق الساحلية العظيمة تمتدّ على الاهاب (الاشيار) فوق الماء في الطريق المنقورة في الصخر التي انشأها الفاتحون المصريون والاشوريون والرومانيون

وسهل عكا الذي اتساعه اقل من خمسة اميال في الشمال يتسع ويصير عشرة اميال في الجنوب ترويه خمسة جداول صيفية وتجعله مخصباً والبحر من الغرب دفع اليه الرمل في عدة محلات مسافة ميل او اكثر وسدّ المجاري في الجنوب وجعل مساحات كبيرة من السهل مستنقعات. وكان معظم السهل في الجنوب (كالطرف الشمالي في الوقت الحاضر) في احسن حالة من الزراعة والفلاحة وكثير من التلال او الاطلال البالية تشهد انها قد عالت قديماً شعباً كثير العدد. وكان يملك هذا السهل في معظم تاريخه الفينيقيون او غالبوهم اليونان والرومان ويظهر ان العبرانيين في اوقات معلومة قد وصلوا الى البحر من هذا المحل

الكرمل ان اكثر الاشياء التي تجذب النظر في شرقي فلسطين الوسطى هي

انجاد جبل الكرمل المرتفعة وهذا الجبل يمنع سهول الساحل من متابعة امتدادها منعًا تامًّا لولا قطعة الارض المخفضة على جانبيهِ البحري وتركيب هذا الجبل كتركيب الانجاد المتوسطة فاذا شاهدت فلسطين كلها منهُ يظهر لك انهُ قد تزحلق من موضعهِ الطبيعي تاركًا سهل مرج ابن عامر ومبطلاً تناسق الارض ووراسهُ العالي الذي يرتفع فوق. سهول عكا ومرج ابن عامر يشرف على الضواحي عدة اميال شمالاً و يزيد كثيرًا في مجالي فلسطين الجميلة وعلوهُ نحو ١٨٠٠ قدم وينحدر بالتدريج الى الجنوب الشرقي والشمال الغربي والصعود اليهِ من الشمال اصعب مما هو في الجنوب حيث ينحدر بالتدريج الى سهل شارون . ومع ان اسمهُ الكرمل اعني جنينة فهو جبل صخري قاحل وحيث لا ازهار برية ولا ادغال فاراضيهِ تزرع كما كان سطحهُ العريض في الازمنة القديمة . واطلال معاصر الخمر والزيت والقرى القديمة تشهد بخصبهِ العظيم ومزنات المطر الغربية تروي قمتهُ اولاً ولذلك نرى في العهد القديم ان لفظة الكرمل مرادفة للخصب الفائق وكما ان العبرانيين ملكوا جبال فلسطين المتوسطة ملكوا هذا الجبل ومنهُ رأوا جليًا البحر المتوسط وكان اقرب مطلٍّ عندهم على البحر

سهل شارون ان سهل شارون المتموج يبتدئ جنوبي الكرمل على هيئة مثلث حادّ الزوايا بين الجبال والبحر. وهو عند جنوبي الكرمل من ستة اميال الى سبعة عرضًا ومن ثمَّ يتسع السهل من غير انتظام حتى يصير عرضهُ عند طرفهِ الجنوبي مقابل يافا اثني عشر ميلاً وطولهُ من الشمال الى الجنوب نحو ٥٠ ميلاً وعدد كبير من الاكام علوها من ٢٠٠ — ٣٠٠ قدم ترصع ذلك السهل المتموج ذي المراعي . وفيهِ تمرُّ خمسة جداول صيفية وتصبُّ في البحر اهمها نهر التمساح (نهر الزرقاء) شمالي قيصرية ونهر الاسكندرونة في الجنوب وهنا بقعة ايضًا من الرمل الاصفر على شاطئ البحر. وهي في محال متعددة تصدُّ مياه المجاري وتكوّن سباخًا ومستنقعات كبيرة وفي الشمال غابات قليلة

من السنديان بقية الدغل العظيم الذي ذكرهُ يوسيفوس وسترابو الذي كان يملأ قديمًا سهل شارون

والقسم الجنوبي اليوم من السهل سلسلة من الحقول والجنائن المثمرة المحروثة ولكن طرفهُ الشمالي تكسوهُ في الربيع الازهار البرية بينها شقائق النعمان والخشخاش الاحمر البري والنرجس الذي يظن انهُ ورد شارون والسوسن الذي يحتمل انهُ زنبق الوادي . تربة هذا السهل مخصبة ومياههُ غزيرة ولكن غلاتهُ لم تستثمر تمامًا لانهُ كان طريق العالم العام. فطريق الساحل العظيمة تمرّ فيهِ من مصر الى فينيقية شمالاً ومن دمشق الى بابل في الشمال الشرقي . والفينيقيون والفلسطينيون والاسرائيليون تملكوا هذا السهل بالتتابع ولكنهم تملكوا جزءًا منهُ موقتًا اذ لم يكن لهم ما يحميهم طبيعيًا لان ذلك السهل كان مفتوحًا من كل جهة لكل العالم

سهل فلسطين ان الحدّ الطبيعي الذي يفصل سهول شارون وفلسطين هو النهر ذو الفرعين الذي يجري من التلال الشرقية واحد فرعيهِ يجري غربًا مارًا ببيت حورون والآخر يمرّ في وادي عجلون وبعد كثير من التعجات والدورات والاسماء الموضعية (وهو اكبر نهر جنوبي الكرمل) يصب في البحر المتوسط بقرب شمالي يافا . وهو جنوبي سهل فلسطين الذي طولهُ نحو اربعين ميلاً بعرض حتى يصير اتساعهُ عشرين ميلاً وتلال سهل شارون المنخفضة تجعد ثمَّ تكاد تصير اكثر المسافة سهلاً مستويًا ورمل البحر يجمع عدة اميال في الجنوب الغربي. فعشتلون الان قائمة بين بحرٍ من الماء وبحرٍ من الرمل وامواج الرمل الصفراء في عدة مواضع تغطي الحقول المزروعة

وثلاثة من الانهر الصيفية مع روافدها تجري في مجاريها الوَحِلة في وسط هذا السهل الصلصالي . وهذا السهل من اهم حقول الحنطة في فلسطين لان التربة ما تحت سطحهِ رطبة دائمًا بسبب المطر والندى اللذين يسقطان شتاء وربيعًا . والاهراء ليست ضرورية لان الحبوب تُدرَس وتُجمع في الصيف

الذي لا يسقط فيهِ مطر وهذهِ الارض ملائمة جدًّا لاعالة تمدنٍ زراعي قوي باهر

وهو مثل كل السهول الساحلية متسع مفتوح الابواب للتاجر والغازي وكان مالكوهُ مضطرين دائمًا ان يكونوا مستعدين وقادرين على المدافعة عن وطنهم تجاه كل عدوّ مفاجيء وكانت الضرورة تقضي على سكانهِ بالسكنى في بضع مدنٍ محصّنة وهنا قديمًا ولاسيما على الجانب الشرقي كان الكنعانيون سكان المدن . وبعد هذا تملك الفلسطينيون الجريئون النشيطون هذهِ السهول المثمرة وحافظوا عليها قرونًا بمحض شجاعتهم وقوة سلاحهم

ان المدن الفلسطينية المهمة عقرون واشدود في الشمال وعسقلون عند الشاطيء بقرب تلال يهوذا وغزة في الجنوب الغربي . والاسرائيليون لم ينجحوا ما عدا زمن المكابيين الابطال ولم يحاولوا ان ينازعوا الفلسطينيين السلطة واراضي فلسطين الواقعة على الطريق الى مصر كانت اشدّ تعرضًا للغزاة الاقوياء الذين جاؤوا من وادي النيل واقدم الكتابات المصرية وما اكتشف حديثًا من العاديات يظهر امتداد سلطة الشعب الفلسطيني

السُفلى او الارض السفلى على جانب سهل فلسطين الشرقي نحو الجبل سلسلة إكامٍ منخفضة تفصلها عن الجبل اودية عريضة غير عميقة . وهذهِ الاكام الطباشيرية والكلسية واوديتها وكهوفها الكثيرة وصخورها المتكسرة كانت ميدانًا للنزاع بين الجبليين والساحليين فكان يمتلكها هولاء مرة واولئك اخرى ولذلك كانت دائمًا ميدان جهاد بين الفريقين حتى انها في هذهِ الايام قليلة السكان ووجود مضارب العرب فيها برهان واضح على الصعوبات التي تصادفها الحكومة المحلية في التسلط على تلك الاراضي البرية . وهذهِ المنطقة كالاكام السكوتلندية تفوح منها رائحة ذكرى المواقع الحربية القديمة وهي تشير الى وجهٍ من التمرين القاسي الذي على طول الزمن انتج سلالة ذات رسالة لكل العالم

الفصل الرابع

نجد الجليل وسهل مرج ابن عامر

صفات النجد المتوسط الطبيعية والسياسية ان سلسلة فلسطين الظهرية هي النجد المتوسط الكبير وفي هذهِ المنطقة المهمة أُلفت رواية تاريخ اسرائيل الشعرية وهنا موطن العبرانيين. وهذهِ المنطقة المتوسطة كانت طبيعياً بسبب موقعها تتسلط على ما حولها شرقاً وغرباً وكاد الفلسطينيون من الساحل الغربي ينجحون الى حين في اخضاع كل فلسطين والتسلط عليها . وظل مركز القوة بين هذهِ التلال الى ان بدأَت الممالك الخارجية تغزوها

ان مميزات التاريخ الفلسطيني ناتجة من سببين (١) ان الشعب الذي يتملك الجبال في ايام الحروب له الارجحية العظمى اذ يقدر ان يحارب من الاعالي وينتصر (٢) ان الجبال الوعرة تربي عادة شعباً نشيطاً جسوراً يحبّ الحرية. ونلاحظ في نفس الوقت انهُ مع ان مركز القوة كان بين التلال فساكنو التلال لم يفلحوا في الانتصار تماماً على المناطق شرقيهم وغربيهم ولم يدُم لهم تملكها. وهكذا ثبتت الحدود غير المنظورة لكل منطقة حتى ان ساكني المنطقة الواحدة كانوا غير قادرين ان يجتازوا تماماً هذهِ الحدود الحقيقية غير الملموسة ويوحّدوا انواع التمدن المختلفة التي نشأَت في هذهِ المناطق التي مع انها كانت متقاربة في المساحة كانت مبتعدة الواحدة عن الاخرى في الحقيقة

الحدود الطبيعية والسياسية كان قسم من النجد الشمالي يسمى حتى في زمن قدماء العبرانيين الجليل اي الدائرة او المنطقة (١ مل ٩: ١١ و٢ مل ١٥: ٢٩ ويش ٢٠: ٧) وكانت تظهر هذهِ المنطقة في البداءة انها محصورة في

مساحة صغيرة نحو قادش حينما التقى العبرانيون بالامم القديمة وامتزجوا وامتدَّ ما يسمّى بالجليل بالتدريج حتى انهُ في عهد المكابيين والرومانيين صار يطلق على كل النجد المتوسط شمالي سهل مرج ابن عامر الى نهر الليطاني . وحدُّهُ الغربي كان عند منحدر التلال وسهول صور وعكا الساحلية . وحدُّهُ الشرقي الحاب (اشبار) وادي الاردن وهذهِ كانت حدودهُ الطبيعية . ولكن المؤرخ يوسيفوس الذي كانت معرفتهُ بالجليل معرفة شخصية تامة يجعل المدن حول بحيرة جنيسارت (التي تدعى في العهد الجديد بحر الجليل) ومرج ابن عامر وجبل الكرمل ايضاً ضمنها (تاريخ يوسيفوس الحروب اليهودية)

اتساع الجليل واقسامهُ الطبيعية ان الجليل محصورة بين حدود طبيعية وعرضها من الشرق الى الغرب نحو ٣٠ ميلاً وطولها من الشمال الى الجنوب نحو خمسين ميلاً فتكون مساحتها اقلّ من الف وخمس مئة ميل مربع وتنقسم الى قسمين ممتازين (١) الجليل العليا بلاد جبلية مرتفعة تحيطها من الشرق والغرب تلال ترتفع بسرعة بين الفي قدم واربعة الآف (٢) الجليل السفلى وهي جنوبي خطّ غير مستقيم على شاطىء البحر المتوسط وفي هذا الخط غير المستقيم وادي عمود ووادي التفاح اللذان نصبّ مياههما في الجانب الشمالي الغربي من بحيرة جنيسارت وسلسلة السهول التي تمتد من الشرق الى الغرب في الجليل الى محل مقابل عكا

وهذا القسم الثاني يشتمل على التلال المنخفضة التي تنحدر جنوباً من انجاد شمالي الجليل العالية مكونة مرتفعاً غير مستقيم لا يزيد علوهُ عن ١٩٠٠ قدم وينحدر بالتدريج الى سهل مرج ابن عامر الذي يمتدّ داخل التلال وهذا التقسيم يذكرهُ يوسيفوس المؤرخ وكتبة التلمود

ميزات الجليل العليا الطبيعية ان تلال الجليل العليا المرتفعة تؤلف المرتفع الاول مقابل القسم الجنوبي من جبل لبنان وههنا تنتهي الوهاد بين جبلي لبنان حتى ان الليطاني يدور تماماً نحو الغرب عند حد الجليل الشمالي .

وجنوبية ترتفع التلال الكلسية التي غيّرت هيئتها الامطار والثلوج على تراخي الزمن . وهذهِ التلال ترى عن بعد كسلسلة جبال ولكنها بالحقيقة نجد متموج مرتفع فيهِ عدة اودية غير منظمة. ونجد الجليل الاعلى هذا يصل الى اعظم ارتفاعهِ في خط ممتد غربي شمالي صفد . والارجح ان صفد هي المدينة الموضوعة على جبل المذكورة في وعظ المسيح على الجبل. ويعلو الجبل القائمة عليهِ صفد ٢٧٥٠ قدماً عن سطح البحر. والى الشمال الغربي جبل الجرمق الذي هو اعلى جبل في الجليل يعلو ٣٩٢٤ قدماً ومن هذا الارتفاع تتفرع عدة اودية مخصبة للجهة الشمال الغربي والشمال والشمال الشرقي والشرق وليس من وادٍ يمتد الى الجنوب . وهكذا يمتدّ الجليل الاعلى جانبهُ الاعظم لنحو الجنوب مرتفعاً فوق الجليل الاسفل ومنحدراً الى الشمال حتى يلتقي بجبال لبنان الجنوبية وينحدر في الجنوب الغربي بالتدريج الى الاردن حيث جدولا ماء يجريان من سهل حاصور. وشمالي الجدولين ترتفع التلال حالاً من وادي الاردن وليس فيها جداول ماء. وفي محلات كثيرة في هذهِ التلال تجد الحجارة البركانيـة (الحجر الحوراني) بكثرة وفي الشمال الغربي يكون النزول الى السهول الساحلية تدريجياً ومنظماً واما في الغرب فالتلال تدخل البحر وتعرف اليوم براس الناقورة فالجليل العليا منطقة مطلقة للرياح الاربع وذات مناظر جميلة تطل على البحر غرباً وجبل الكرمل وجبال السامرة جنوباً وعلى سلسلة انجاد حوران وجلعاد شرقاً بينما جبل لبنان يرتفع في الشمال. وبالاخص جبل الشيخ الذي يعلوهُ الثلج الدائم وهكذا الجليل بالاجمال ارض ملائمة لتربية المتحمسين ومحبي الحرية الذين لا يطيقون حكم رومية الذي لا يلين ولا قيود كهنوت اورشليم . والتلمود يخبرنا ان الجليليين كانوا يهتمون الشرف اكثر من الدراهم

خصبها ان الجليل العليا كانت اراضيها مخصبة جداً ولولا الصخور المنتشرة ولاسيما في قسمها الشمالي لكانت اكثر خصباً . واذا كانت جبال لبنان قد صبت تجاريها على الجليل الشمالية في الادوار الجيولوجية فقد كافأتها

بغزارة المياه التي تجري في الاودية وتنفجر ينابيع او تحول الى ندًى غزير يبلل تربتها . الخصبة وحيثما الحروب والغزوات لم تعرِّ الارض فالاشجار تنمو في قنن التلال والعشب والازهار تزهو في كل مكان بكثرة . فهي اذاً ارض الخصب والحرارة والجمال والمسرَّة . ومما يستحق الاعتبار اننا لا نسمع الاقليلاً في تاريخ بني اسرائيل المطرب عن الجليل . ان الارض التي ليس لها تاريخ سعيدة . ومما افادنا يوسيفوس به ان الجليل في ايامهِ كان فيها من السكان نحو ثلاثة ملايين ففيهِ مبالغة من غير شك حتى لو كانت القرى كما هي اليوم في ايامنا الحاضرة تكاد تمسّ الواحدة الاخرى وليس من جزء فيها غير مزروع فهي لا يمكن ان تعول اكثر من خمساية الف نفس

مميزات الجليل السفلى ان الجليل السفلى اخصب من الجليل العليا وهي مع ان جبالها اخفض من جبال الجليل العليا وهواءها احرّ ففيها مختلف الاشجار والاثمار واوديتها اعرض واخفض . تزيدها التربة التي تجرفها السيول من الجبال خصباً على خصب وساحل البطّوف العريض المنخفض قائم بقرب شمالي قلب الجليل السفلى ومنهُ تتفرع الاودية الى الشمال الشرقي والجنوب الغربي والجنوب الشرقي . وفيها سهل آخر عريض يمتدّ من الشمال الشرقي من سهل مرج ابن عامر الى قرب الناصرة وجبل تابور . وشرقي جبل تابور يمتدّ سهل آخر الى نهر الاردن وراس جبل تابور المدوَّر يشرف على منظر عجيب في الجليل السفلى . والى الشمال الشرقي عبر الحقول المخصبة بحر الجليل محصورة بين ضفافهِ المنحدرة وشرقيهِ انجاد الجولان الجبلية . وفي عبر الوادي الى الجنوب جبل المورِه وجبال السامرة . ويجري الى الاردن جدولان صيفيّان في وادي الفيجاس ووادي البيري في وسط الجليل الجنوبي الشرقي والنتيجة ان الجليل السفلى مؤلفة من سلسلة جبال غير منتظمة (اهمها مجموع جبال الناصرة جنوبي الوسط) تفصلها شبكة من السهول العريضة المخصبة المتقاطعة والجليل السفلى يمتدّ فيها النظر كالجليل العليا وسهولها مخصبة

وفيها تقابلت انواع عديدة مختلفة من التمدن وامتزجت والجليل السفلى عوضاً عن ان تكون بعيدة وريفية كما يظن اوقاتاً في قربة من قلب فلسطين ومعرَّضة لكل السلطات المختلفة التي تتفرع من ذلك العالم الصغير. وتقطعها ايضاً شبكة من الاودية الممتدة الى كل جهة من اوديتها المكشوفة ومن تلالها ولذلك هي ليست مرتبطة بباقي فلسطين فقط بل ايضاً بالعالم الاعظم تجاهها

مقام سهل مرج ابن عامر وحدوده ان سهل مرج ابن عامر هو آخر الجلالي العظيمة التي بها يتنزل لبنان جنوباً الى مساواة سطح البحر والسهل نفسهُ يعلو عن سطح البحر المتوسط نحو مئتي قدم وينخفض في الشرق نحو الاردن عن سطح البحر. وهو يشبهُ في الهيئة مثلثاً متساوي الزوايا واساسهُ تحت جانب الكرمل الشمالي الشرقي. وطولهُ عشرين ميلاً من تل القسيس الى جنّين وجانبهُ الشمالي يسير امام حضيض جبال الناصرة مسافة خمسة عشر ميلاً الى محل مقابل جبل تابور. والحد الشرقي من تابور الى جنّين طولهُ ايضاً نحو ١٥ ميلاً ولكنهُ اقل انتظاماً

وجبل موري او حرمون الصغير وجبل جلبوع يمتدّان الى السهل ومن مرج ابن عامر يمتد واديان عريضان الى نهر الاردن اهمهما سهل زرعين (بزرعيل) بين جبل جلبوع وموري (دُهي) ومقلب الماء بين هذين السهلين هو بقرب قرية زرعين القائمة ليس على بعد من بزرعيل القديمة

سهل زرعين يمتد سهل زرعين كوادٍ عريض عظيم نحو الشرق ١٥ ميلاً حتى يصل الى الاردن وفي هذا السهل يجري نهر جالود الصيفي الذي ينقسم الى عدة جداول. وعندما يلتقي سهل بزرعيل بوادي الاردن المنخفض ترى مدينة بيسان الحارسة التي هي بيت شأن القديمة وسماها اليونان كيتوبلس. ان سهل زرعين مع وادي نهر المقطّع يوصل بين البحر المتوسط ووادي الاردن

خصب سهل مرج ابن عامر ومآؤُهُ كان سهل مرج ابن عامر في الادوار

الجيولوجية بحيرة قريبة الغور والناظر اليهِ من جبل جلبوع يراهُ تحيطهُ تماماً دائرة من الجبال في الشمال والغرب والجنوب وارتفاعهُ نحو الشرق قليل ومصبّ نهر المقطّع في الغرب وهذا النهر يجري ببطء واكثر السهل في الشتاء يصير سبخةً . والى هذا السهل تنجلب كل مياهِ الجبال المجاورة . بعض هذا التحلب سطحيٌ ومعظمهُ عميق والنتيجة انهُ في محالّ عديدة في السهل تنفجر الينابيع وتجري الى حين كجدول سريع وبعدُ تغور في التربة ذات المسامّ . وانواع هذهِ الينابيع كائنة خصوصاً على جوانب السهول الشمالية الشرقية والجنوبية . وهذهِ المياهُ الغزيرة تجري الى نهر قيشون (المقطّع) والوحل الذي بدورانهِ المتعددة يفتح طريقاً في وسط السهل الى جانب جبل الكرمل ومن ثم يصبّ في البحر المتوسط وراء آكام الجليل التي لا يزيد بعدها عن سفح جبل الكرمل اكثر من برد . وهذا السهل بالنسبة لمقامهِ وتركيبهِ هو من افضل الاراضي التي نروى في فلسطين . وفي بعض المحلات فيهِ تزيد الماء عن المطلوب وتربتهُ الخالية من الحجارة مخصبة جداً وهو ملائم طبعاً ان يكون مستخرج الحبوب في فلسطين الوسطى . والاكام الممتدة الى هذهِ الجنة كانت طبعاً المراكز الاولى لشعب متهذب زراعي وهنا على الحدّ الجنوبي وُجدت الاطلال الكبار حيث كانت المدن الكنعانية المكتظّة بالسكان

موضعها المتوسط المتسلط ان سهل مرج ابن عامر كسهل شارون كان طريقاً عظيماً للامم . ومن الاودية العريضة المتصلة بهِ جاء الغازون من كل جهة من اجل الفتح السلمي او القهريّ لان كل الطرق المهمة تصل اليهِ . وعلى حدّهِ الغربي كانت الطريق الساحلية بين مصر وفينيقية وفروع الطريق الشرقية تصل الى السهل من ثلاثة ممرات مختلفة من الجنوب . احدها من الوادي بين سهل شارون وطرف جبل الكرمل الجنوبي الشرقي والوصول اليهِ رأساً باسهل طريق في السامرة الشمالية الغربية في الوادي ارار مارًّا بحصن مجدّو القديم الشهير والثالث كان الى الشرق مارًّا بسهل

دوثان العريض الى جنين ومن هناك على جانب سهل مرج ابن عامر الشرقي،
وهذهِ الطرق السلطانية تتصل بدورها بالطرق التي تمرّ بجبل تابور الى المدن
المأهولة بالسكان على بحيرة جنيسارت ومن ثمّ الى دمشق والشرق . وتمرّ
طريق اخرى تجارية مهمة في سهل زرعين المستوي الواسع وراء بيسان الذي
يحرس طريقهُ الشرقية الى الاردن ومن ثمّ تمتدُّ شمالاً الى دمشق او راساً شرقاً
الى جلعاد والصحراء

اهمية هذا السهل في التاريخ الفلسطيني ان سهل مرج ابن عامر
كان باب فلسطين ومفتاحها ايضاً . منهُ دخل الفاتحون الاولون لامتلاك
الارض . ولم يكن المديانيون في ايام جدعون سوى قسم من قبيلة العرب
المتصرين الذين عاثوا فساداً في سهل زرعين كلما كانت حكومة فلسطين
الوسطى ضعيفة . وعلى آكامهِ المنحدرة من ايام تطمس الثالث الى نابوليون
التظت نار المعارك العظيمة التي انتهت بتملك الارض وهنا حارب العبرانيون
الحروب الطاحنة بقيادة دبوره و باراق وصاروا سادة كنعان واحراراً
ليجتازوا حدود السهل الذي كان الى ذلك الوقت فاصلاً لقبائل الشمال
من قبائل الجنوب

الفصل الخامس

جبال السامرة ويهوذا

صفة جبال السامرة ان جبال السامرة ويهوذا هي النجد الفلسطيني المتوسط الممتد الى الجنوب وهي مع ذلك كالجليل وسهل مرج ابن عامر متحدة اتحاداً طبيعياً مستقلاً وليس من حدود تفصلها بعضها عن بعض بل ان كل واحد منها يتصل بالآخر

ان مرتفعات السامرة ويهوذا تُدعى اعتيادياً جبالاً وهذا الاسم يلائم تماماً اذا أُطلق على السلسلة كلها ولكن الفن افرادياً هي بالحقيقة اعظم من تلال مستديرة وليس منها ما يعلو اكثر من ٣٤٠٠ قدم عن سطح البحر واعلاها يستقرّ على الانجاد المرتفعة حتى ان اثنين او ثلاثة منها فقط يصاحبها العلو والعظمة اللذان يرافقان الكلمة جبل وانما هي بالاحرى سلسلة إكام ترى من شاطئ البحر المتوسط او من المرتفعات شرقي الاردن ويعتقد انها سلسلة جبال شامخة . وهذا صحيح لاسيما اذا رآها الرائي من منخفض الاردن ووادي البحر الميت لانها تحجب تماماً الافق الغربي . والنتيجة ان الجبال الغربية صارت على تراخي الايام جلالي بينما وادي الاردن العميق في الشرق ينحدر بسرعة ولا سيما في الجنوب وهذا النزول في بعض المواضع يزيد على ٢٨٠٠ قدم في مسافة تسعة اميال . وعند جانب بحر الميت الغربي تجد بعض المحلات تنخفض دفعة واحدة من ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ قدم

السامرة الشمالية الشرقية ان جبال السامرة تقسم طبيعياً الى قسمين عظيمين فالاول يمتد من مرج ابن عامر وزرعين الى الوادي العظيم الذي

باتباعهِ وادي الافزيم يقطع السامرة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي مارًّا بين جبل عيبال وجبل جرزّيم . والارض شمالي هذا الخط تشابهُ الجليل السفلى من اوجهٍ عديدة ففي الشرق تتألف اربع سلاسل جبال تفصلها سلاسل من الاودية العريضة الخصيبة ذات المياه الغزيرة لارواءِها

وهذهِ الاودية وسلاسل الجبال تميل ميلاً عمومياً كجبل الكرمل من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي . وفي اقصى الشمال جبل جلبوع الذي يرتفع تدريجياً من كل جانب بين ١٢٠٠ و١٦٥٠ قدماً والصخر الكلسي الاقرع يظهر في محالّ متعددة وعلى رأسهِ بعض قرى وحقول زراعية . واذا نظرنا الى جبل السامرة من جبل جلبوع نراهُ يرتفع كجلال عظيمة بالتدريج. والى شرقي جلبوع وجنوبيهِ السهل الواسع حول بيسان يمتد الى داخلية البلاد . وجبال السامرة الى الجنوب تمتد كمرتفعات صخرية الى وادي الاردن والوادي العظيم التالي جنوبي وادي زرعين هو وادي فارح الذي يصبّ ماؤهُ الغزير في الاردن وهذا المجرى مع نهر جالود هما الرافدان الغربيان المهمان للاردن

السامرة الشمالية الشرقية ان جبال السامرة في الشمال الغربي تنحدر بالتدريج وتمرّ بها الاودية المتصلة بسهل شارون في الشرق ومرج ابن عامر في الشمال . وليس من هذهِ الجبال ما يرتفع عن ٢٥٠٠ قدم تتوّجها الخضرة والاشجار غالبًا . وفي الاودية ترى مزارع الحبوب المخصبة وبساتين الزيتون التي ترويها الينابيع والجداول . واخص هذهِ الاودية سهل دوثان الذي تربطهُ بسهل شارون غربًا وبسهل مرج ابن عامر شمالاً بعض المسالك المنخفضة . والى الجنوب الرياض المرتفعة الندية المعروفة اليوم بمرج الغرق وهذهِ بدورها متصلة بمسلك سهل بالسهول المتقاطعة التي تمتدُّ جنوبًا الى عيبال وجرزيم ومن الجنوب الغربي الى مدينة السامرة ووادي الشعير

المنظر من جبل عيبال ان الجبل الوحيد الحقيقي في شمالي السامرة

هو عيبال وعلوهُ ٢٠٧٧ قدماً وهو مجموع عريض مستدبر من الصخر الكلسي مارٌّ من الشرق الى الغرب محاذٍ لجرزيم رفيقهِ في الجنوب . وتكاد بعض جوانبهِ تكسوها الجنائن و بساتين الزيتون تحيطهُ وتُعُع الصبير الجميلة وهو يشرف على كل مجالي فلسطين البهية . والى الجنوب منهُ ظهر جبل جرزيم الزراعي العريض المنخفض قليلاً عن عيبال . وفي الوادي الضيق بين الجبلين نابلس (شكيم القديمة) وفي الافق البعيد مجموع جبال السامرة واليهودية الجنوبية المرتفعة . والى الشرق جبال جلعاد العالية و بقربهِ وادي الاردن العميق الذي تحجبهُ الاجراف وفي الصدر عند الافق الى الشمال هضاب حوران المستوية التي تمتد الى شرقي بحر الجليل . واذا كان الجو صافياً ترى امامك قنن جبل الشيخ ترتفع عن بعد ٧٥ ميلاً وفي الصدر الى الشمال ترى مجموع اودية السامرة الشمالية تخللها سلسلة الجبال التي تنحدر من الشمال الغربي نحو الاردن وامامها الانخفاض الذي فيهِ مرج ابن عامر . وعلى بعدٍ الى الشمال ترتفع على شكل جلالٍ منتظمة الجليل السفلى والعليا . والخط العريض المنخفض من المرتفعات في الشمال الغربي هو جبل الكرمل الممتد الى البحر . وفي الغرب جبال السامرة غير المنتظمة واوديتها الكثيرة المتقاطعة تنحدر بالتدريج الى السواحل وامامها على بعد نحو ٢٥ ميلاً البحر المتوسط الازرق وهدبهُ المؤلفة من الرمال الصفراء

حدود بلاد السامرة وصفاتها العامة ان السامرة الجنوبية جنوبي جبل عيبال وغربيهِ تمتدّ الى وادي قلت واخيهِ وادي الشوينيت الذي يصعد من اريحا القديمة الى قرب مخماس وجبع ويصل في الجنوب الغربي الى وادي ملاكه الذي هو شمالي ممرّ بيت حورون باسم وادي عين عريق ويصل تقريباً الى ظهر الجبل مقلب المياه

والسامرة الجنوبية تشبه من اوجهٍ متعددة الجليل الشمالية وهي هضاب مرتفعة ترتفع بالتدريج من السواحل الغربية وتصل الى الجنوب الشرقي و بعلو

حازور الذي يبعد خمسة اميال عن ممرّ مخماس و يعلو نحو ٣٣١٨ قدماً وهو اعلى موضع في بلاد السامرة وينقصة بضعة اقدام ليكون اعلى مكان جنوبي مرج ابن عامر

والمنزلة (النزلة) في الشرق الى وادي الاردن منحدرة جداً وصخرية . وجدولان او ثلاثة جداول سريعة قد حفرت خلجاناً عميقة في الصخور الكلسية القرعاء القليلة العشب

والى الشمال الغربي من اريحا يرتفع كجل يصل الى المرتفعات مجموع الصخور القرعاء المنفصلة نصف انفصال المعروفة بالكوارنتانا (جبل القرنطل) وفي الاعالي الى الغرب برية بيت آون وعبرها جبل افرايم الصخري

وعلى الهضبة المتوسطة العالية شمالي بعل حازور شبكة السهول الصغيرة المفتوحة التي تمتد وتمر بشيلوه شرقي جبل جرزيم

وهذهِ السهول تحيط بها التلال الصخرية ولكنها مروية ومثمرة تكسوها اليوم مزارع الحنطة المتموجة

بلاد السامرة الجنوبية الغربية ان القسم الغربي للسامرة الجنوبية هو اودية عميقة لكنها عريضة فالاشجار والعشب والحقول الزراعية تغطي الآكام والاودية واخص هذهِ الاودية التي تتفرع من السهل وادي الشعير غربي نابلس وجدول قانا ووادي الجب الذي يمتد اولاً جنوباً ثم غرباً الى دير بلّوط ومع وادي الزرقاء يصل اخيراً الى البحر بقرب يافا شمالاً . والقرى الناجحة بعضها على رؤوس الجبال المستديرة وبعضها في الاودية متفرقة في كل هذا الاقليم واختير موضع كل من هذهِ القرى بقصد الدفاع وطرد العدو منذ القديم وهذهِ الاراضي كبقية السامرة كانت ارضاً حيث السلام ينال بالسيف والاسوار القوية فقط. وكانت ايضاً بلاداً حبت الطبيعة سكانها بعطايا كافية للمدافعة عن نفوسهم تجاه الاعداء

مرتفعات يهوذا الوسطى ان الهضبة المتوسطة لفلسطين الجنوبية

نصل الى اعظم ارتفاعها في اليهودية وهي مجموع جبال مستديرة ومعدل عرضها ١٥ ميلاً وليس اكثر من اربعين ميلاً في الطول والافعال الجيولوجية قد جرفت قنن الجبال

واعلى موضع المصفاة اي النبي صموئيل (علوهُ ٢٨٢٥ قدمًا) في الشمال ومرتفعات حبرون شمالاً علوها ٣٢٧٠ قدمًا وهي ليست الا آكامًا مستديرة على هضبة عظيمة بينها اودية صخرية ضيقة جافة اكثر السنة . ومنظرها عمومًا ليس له بهاء ولون ارضها رمادي واصفر . ومع هذا فمزارع يهوذا ليست قاحلة لاننا نرى المزارع الخضراء بقرب اورشليم وبيت لحم وحبرون وتربتها حيث الجلال وسفوح الجبال فخصبة يجنى منها حبوبٌ وعنبٌ وزيتونٌ

قلة الماء فيها ان الاحتياج الى الماء اكثر من الاحتياج الى التربة في اليهودية اذ ليس من مجرى صيفي فيها ورؤيا حزقيال المجرى العريض الجاري من الهيكل مرويًا كل البلاد تظهر جليًا رأيه في ما تحتاج اليهِ البلاد وليس من "دزينة" من الينابيع الغزيرة في كل البلاد تنبع من الصخر فاورشليم وحبرون فيهما بعض الينابيع ولذلك لم تزالا المدينتين الكبيرتين في البلاد

والى الجنوب الغربي من بيت لحم البرك المسماة ببرك سليمان التي تخزن مياهًا في حياض عظيمة منقورة في الصخر كانت تَصلُ على عهد الرومانيين بواسطة قناتين كبيرتين الواحدة عالية والاخرى منخفضة الى اورشليم

وامطار الشتاء اليوم تجرف تراب الجبال والاودية حيث لا اشجار ولا نبات تحفظه . ومن وجود الجلالي الخربة وابراج النواطير في اماكن قفراء اليوم نستدل ان اليهودية كانت قديمًا اكثر خصبًا . ولكن بوجه الاجمال كانت دائمًا عقيمة بالنسبة الى فلسطين وسكانها منذ البداءة مجدُّون لتحصيل التربة والماء . وفي الماضي كما في الحاضر ليس لها الا مياه الحياض وهذه الحياض كانت تنقر في الصخور على شكل خابية هائلة في محل منخفض بها تجمع مياه المطر التي هي غزيرة غالبًا في كل فلسطين

برية اليهودية ان المنحدر الشرقي لهضاب فلسطين الجنوبية قد تسمى بعدل البرية وهو كالسفلى في الغرب قسم طبيعي ممتاز من اراضي الاردن الغربية والاراضي الزراعية تمتد فقط نحو اربعة اميال او خمسة شرقي منقلب الماء المتوسط. والبرية القاحلة تصل تقريباً الى بيت عنيا. والمنزلة (النزلة) على جانب اليهودية الشرقي الى البحر الميت المنخفض منحدرة جداً حتى ان مياه المطر تنزل عليها بسرعة وتحفر اخاديد في الاجراف الكلسية والصلصال اللين فلا ينتفع بها. وليس من قرى مهمة في هذا الاقليم ما عدا عين جدي حيث ينفجر ينبوع جميل من الاهاب المشرفة على البحر الميت ويصيّر البرية القاحلة جنة صغيرة من الاشجار والبساتين. ولولا هذا لكانت ارضاً يابسة وجبالاً صخرية مستدبرة تنحدر بثلاث سلاسل من الجلالي الى الاعماق

والسائح يجد هناك بعض العشب بين الصخور على المرتفعات العالية وهي ارض الرعاة والغزاة العرب الذين يندفعون من البرية ويخاصمون كما هي عادتهم منذ الوف السنين رعاة القرى من اجل تملُّك الارض الجرداء. والمجالي المهمة فيها هي الاجراف الصخرية المستديرة والمضيق العظيم للبحر الميت الذي يحجبه غالباً الضباب واشباح الجبال الموآبية العظيمة وراءها. وبرية اليهودية هذهِ ذات تأثيرين قويين في حياة سكان الجنوب وافكارهم (١) انها تجلب اليهم هواءها وعاداتها ومذاهبها (٢) انها تجعل نصب عيونهم قوة يهوه العظيمة المهلكة التي يمثلها البحر الميت والاحاديث المخيفة التي تصاحب هذهِ المظاهر الطبيعية العجيبة

اليهودية الغربية ان الجبال الغربية تباين برية اليهودية الشرقية فتنحدر بالتدريج الى السهل الفلسطيني. ومميزات هذا المنحدر الغربي سلسلة الاودية التي تمتدّ من الاراضي المنخفضة وتصل تقريباً الى منقلب المياه في هضبة اليهودية المتوسطة العظمى. ومعظم هذهِ الاودية عريضة وخصبة عند دخولها الجبال وبعدها تصير متعوّجة برية

وفي فصل الشتاء من كانون الاول الى شباط تجرفها غالبًا السيول السريعة التي اذ لا تصدّها التربة او العشب تسير في سبيلها وتبقي المجرى معظم السنة جافًا صخريًا . والمطلع في مواضع كثيرة موعر بين صخور منحدرة يكسوها العليق والازهار البرية والطريق في بعض المواضع ضيقة حتى انهُ يستقبل على الحصان ان يدور بحرّية

وادي عجلون ان ستة اودية مهمة تمتد من السهل الى المرتفعات الوسطى . والوادي الذي هو في اقصى الشمال واهمها من اوجهٍ متعددة هو وادي عجلون . وهو حدّ اليهودية الشمالي الغربي وسهل عظيم متسع مثمر يعلو عن سطح البحر بين خمساية قدم والف قدم . والمجرى الذي يجري اخيرًا الى البحر شمالي يافا يجعل قوسًا عريضة الى الشمال الشرقي تصبُّ فيهِ اربعة روافد او خمسة تأْتي من مرتفعات اليهودية والسامرة الجنوبية . ومن هذا الوادي تتفرع عدة طرق الى النجد شمالي اورشليم . واهم هذهِ الطرق الطريق التي تصعد الى ممرّ بيت حورون الاسفل والاعلى و هي التي كانت قديمًا الطريق السلطانية من اورشليم الى يافا

وادي علي ان وادي علي الضيق جنوبي وادي عجلون . ووادي علي الآن تمرُّ فيهِ طريق العربات من اورشليم الى يافا والظاهر انهُ لعمقهِ وضيقهِ لم يذكر في تاريخ الكتاب المقدس من عصر المكابيين

وادي الصرّار ان الطريق الثالثة المهمة لليهودية هي وادي صرّار الذي فيهِ تمرُّ اليوم السكة الحديدية بسيرها الى اورشليم وقبل ان يصل وادي الصرار الى المطلع المنحدر يتصل بهِ واديان مهمّان من الشمال الغربي وادي الغراب ومن الجنوب وادي الناجل وههنا يتسع الوادي ويصير سهلاً مخصبًا متصلاً بساحل بلاد فلسطين تحيط بهِ آكام الارض السفلى . وبقرب هذا السهل نحو الشمال كان موطن الدانيين وحولهُ حدثت القصص الشمشونية ومن هذا السهل يصعد الوادي شرقًا متعوجًا وضيقًا نحو اورشليم مارًا بوادي

رافائيم قبل الوصول الى اورشليم

وادي البطم ان الوادي الرابع هو وادي البطم وهذا الوادي بذكرنا بقصص داود الاولية. ان فرعهُ الشرقي وادي الجندي يصعد بمضيق الى بيت لحم. واهم فروعهِ وادي الصور الذي يمتد الى الجنوب ويمرّ بما يسمى قديمًا بعدلاّم وقعيلة القديمتين ومن ثمّ يدور شرقًا ويصل الى المرتفع بقرب حصن بيت زور المكابي الشهير شمالي حبرون

وادي زفاتا الوادي الخامس هو الوادي المعروف اليوم عند راسهِ بوادي الافرنج ومدخلهُ الغربي تحرسهُ مدينة بيت جبرين المهمة المعروفة عند اليونان والرومان باليوثروبلس والاكتشافات الحديثة في كهوفها تبين اهمية التأثير المصري الذي دخل فلسطين في القِدَم من هذا الوادي المهم والوادي نفسهُ يمتدّ بين جدران ضيقة متعجة الى سهل ممرا راسًا الى حبرون وفيهِ تمرّ الطريق السلطانية من اورشليم الى بلاد فلسطين ومصر

وادي الجزائر ان الوادي الجنوبي في اليهودية الغربية هو بقية وادي الحسيّ الذي يمرّ بمدينة لخيش ولامتدادهِ يسمى بوادي الجزائر واذ يمرّ بمدينة ادورايم القديمة يصل الى حبرون وآخرًا يصل الى اورشليم

اهمية هذهِ الاودية اهم هذهِ الاودية الستة من غير جدال هي (١) وادي عجلون وطرقهُ التي تمتد نحو اورشليم (٢) ووادي الصرار ومدخلهُ العريض الذي يمتدّ باستقامة الى القصبة (٣) ووادي البطم ذو الحوادث التاريخية . وكل من هذهِ الاودية يحميهِ بضعة رجال اشداء في مواضع حربية خاصة في المرتفعات فاذا أُغلقت هذهِ الابواب الطبيعية تصير اليهودية لا تهاجم من الغرب وهم مطمئنون ينظرون من الاعالي العبوسة الى جيوش الاعداء الزاحفة في السواحل البحرية من غير وَجَل

البلاد الجنوبية ان هضبة فلسطين الوسطى تمتدّ جنوبي اليهودية سبعين ميلاً وهي في البداءة تنحدر بالتدريج بسلسلة جلالي ومن ثمّ تتفرع من

غير نظام الى سلسلة جبال صخرية جرداء يمتدّ معظمها من الشرق الى الغرب تفصلها المضايق العميقة الجافة . والجبال الشرقية التي تشرف على وادي العربة هي كما في اليهودية وعرة جداً وسيول الشتاء تصنع خلجاناً عميقة في الصخور الكلسية الرمادية . والمنزلة (النزلة) في الغرب تنحدر الى البرية المستوية التي يحدها غرباً وادي العريش وهذا الاقليم المنفرد البريّ الذي عرضهُ خمسون ميلاً وطولهُ سبعون هو البلاد الجنوبية المشهورة الموصوفة تفصيلاً في التاريخ الاسرائيلي القديم . واسمهُ نغب (الارض المجدبة) يظهر صفاتهُ العامة

اقسامها الشمالية والغربية ان البلاد الجبلية جنوبي اليهودية مثمرة بعض الاثمار لانك تجد المزارع الزراعية في الاودية والجلالي على جوانب الجبال الى ان تصل الى وادي سباومقدس بئرسبع . وغربيهِ اطلال عدة مدن تمتعت بالفلاح من غير شك في العصر الروماني المتأخر وهنا كما في معظم البلاد الجنوبية يهطل المطر في فصل الشتاء فاذا خزنت المياه يمكن ارواء الارض بها . وفيها بعض الينابيع الصيفية فاذا تسلطت على هذهِ البلاد حكومة ثابتة تجعل شمالي اقسام البلاد الجنوبية والشمال الغربي منها تعول شعباً كبيراً من البدو المتحضرين . وهذهِ البلاد بالطبع هي ارض البدو والبدو في معظم الايام السالفة قد تسلطوا عليها كما هم متسلطون عليها اليوم . وجبالها واوديتها اذا لم ترو ارواءً صناعياً يكسوها العشب الاخضر في الربيع الذي يجف بسبب حرارة الصيف الا في بعض الاودية المنفردة المحجوبة والنغب في الجنوب ينحدر الى بريّة التيه الجرداء العظيمة التي تمرّ مقابلها الطريق السلطانية الى مصر و بلاد العرب وبلاد بابل

قسماها الاوسط والشرقي ان القسمين المتوسط والشرقي من البلاد الجنوبية هذهِ جافّان واجردان لا تقطنهما الا قبائل البدو المتوحشة وقلة المياه في البلاد الجنوبية ووعورة سلاسل جبالها وتوحش سكانها منعت الناس تقريباً من المرور فيها في اكثر العصور الماضية وللان لم تكتشف بعض اقسامها

وهكذا اليهودية على حدها الجنوبي محصنة تماماً تحصيناً طبيعياً يمنع دخول الجيوش المعادية اليها . والى البلاد الجنوبية هذهِ تسرب في نفس الوقت سكان الصحراء وتصوراتهم التي اثرت في صفات الاسرائيليين الجنوبيين تأثيراً بالغاً

التباين العظيم بين اليهودية والسامرة ان التباين بين جبال يهوذا والسامرة متعدّد وذو تأثير وجبال السامرة هي مجموع عدة مجاميع متفرقة تفصلها الاودية العريضة التي تشبّك الارض في كل جهة . وجبال اليهودية بخلاف هذا مؤلفة من هضبة عظيمة مرتفعة لا تفصلها اودية كبيرة واليهودية حصن جبليّ وهي ذات حصون طبيعية قوية على كل جانب والسامرة بعكس هذا مفتوحة الابواب من كل جهة للتاجر الغريب والغازي . وسكانها مجبرون ان يلجأوا الى رؤوس الجبال او ان يبنوا حصوناً منيعة للدفاع عن نفوسهم

وطرق التجارة العظيمة تمرّ بجانبي اليهودية بينما هي تمرّ في قلب السامرة واليهودية آمنة ليس فقط من اجل اسوارها الطبيعية الصخرية بل ايضاً من اجل انها جرداء . وجبالها الكلسية العبوسة واراضيها الحجرية الوعرة واوديتها الجافة لا تجذب كثيراً انظار الغزاة وبخلاف هذا مزارع السامرة الخصيبة ومدنها الغنية كانت مغنطيساً يجذب الفاتحين من الشمال والجنوب

التأثير في السكان ان اليهودية بينابيعها القليلة ومزارعها الصخرية لا تعيش سكانها الا بالتقتير اذا كانوا راغبين في ان يعملوا ويعيشوا من غير ان يتنعموا في الحياة . وقد ربّت سلالة نشيطة قوية مخلصين لصخورهم وجبالهم متمسكين باعتقاداتهم لدرجة التعصب والاستشهاد . وهم كانوا كجبالهم معبّسين ليس عندهم مسايرة ولكنهم كانوا قادرين على مقاومة حوادث الدهر وبخلاف هذا كانت جبال السامرة المخصبة ذات ينابيع غزيرة ومجارٍ متدفقة فربّت سلالة محبة للتنعم لا تبالي بشيء غير متعصبة ومستعدة وراغبة في قبول التصورات والاراء والعادات الدينية الاجنبية فالخصام بين الشمال والجنوب

بين اليهود والسامريين لم يكن فقط نتيجة المناظرة بل هو ناتج من طبيعة البلاد التي تميز ارض اليهودية من ارض السامرة

الفصل السادس

وادي الاردن والبحر الميت

التاريخ الجيولوجي ان المضيق العظيم مضيق الاردن ووادي البحر الميت هو اعظم مجالي فلسطين الطبيعية وليس من محل على وجه هذه البسيطة ذي تاريخ جيولوجي مؤثر مثله وكما قلنا آنفاً في الوجه ١٢ ان هذا الشق العظيم الذي يمتد من سورية الشمالية الى البحر الاحمر كُوّن على الارجح في آخر الدور البلاستيني . وعند طرف البحر الميت الشمالي يصل اسفله الى عمق نحو نصف ميل تحت مساواة سطح البحر ولذلك هو اخفض محل على وجه الكرة. وفي الدور المطري امتلأ هذا الشق العظيم بالماء فجعل بحيرة في البر طولها ليس اقل من مئتي ميل وسطح مياهها اعلى من سطح البحر بمئة قدم تقريباً ولذلك يُظن ان الاراضي العليا جنوبي البحر الميت الحالي فصلت البحر الاحمر وان مياه البحر الميت كانت اولاً عذبة . وفي الدور الجليدي بسبب تغيير بركاني انخفض البحر الميت ٢٠٠ قدم حتى صار اعلى من سطح البحر الميت الحالي وكان في مدة هذا الدور والدور الجليدي التابع ان تجمعت الرواسب على جانب الوادي وصيرته جلالي كما نراه الآن

آثار العمل البركاني ان هذا الوادي من زمن الدور المطري الحاضر

مشهد للاضطرابات البركانية من وقت الى آخر. ولما غارت المياهُ في هذهِ الشقوق العظيمة والانفاق تحت سطح الارض حوَّلتها الحرارة الى بخار دفع جثوات عظيمة من مقذوفات البراكين التي نشاهدها في محال متعددة على المرتفعات شرقي وادي الاردن وغربيهِ. والزلازل واكثرها شديدة لم تزل تنتاب هذهِ المنطقة البركانية. وزلزلة السنة ١٨٣٧ هدمت مدينة صفد وقتلت الفًا من سكانها وشعر السكان بهزات قوية حديثًا في حزيران ١٨٩٦ وفي كانون الثاني ١٩٠٠ وفي اذار وكانون الاول السنة ١٩٠٣ وكثير من الينابيع المعدنية الحارة لم تزل تشهد بوجود القوى البركانية ودرجة حرارة الينابيع التي بقرب طبريا على جانب بحر الجليل الشرقي وفي وادي زرقاء (معين) شرقي البحر الميت ١٤٤° فرنهيت بينما مياه الحمام في وادي برموق تختلف في الحرارة من ٩٣°—١١٠° وهذهِ الينابيع متشبعة من الاملاح المعدنية ولهذا السبب ولاسباب اخرى صارت مياه البحر الميت اليوم ثقيلة واملح من مياه البحر المتوسط

الاقسام الطبيعية ان الاردن ووادي البحر الميت يقسمان الى اربعة اقسام طبيعية (١) الاردن الاعلى من جبل الشيخ الى بحر الجليل (٢) بحر الجليل (٣) الاردن الاسفل (٤) البحر الميت. وشمالي هذهِ الاقسام جبل حرمون الذي يسميهِ الوطنيون الآن جبل الشيخ

جبل الشيخ هذا الجبل هو بالحقيقة نجد جبلي طولهُ من الشمال الى الجنوب عشرون ميلاً وهو كاكثر جبال فلسطين كلسيٌّ قاسٍ تغطي سطحهُ في بعض المحلات طبقة من الطباشير اللين وتمتدّ الكروم على جانبهِ الشمالي الى علو نحو خمسة الاف قدم وفوق هذا تجد اشجار السنديان واللوز والعرعر القصير. وعلو الجبل ٩٥٠٠ قدمًا ولهُ ثلاث قنن فالشمالية والجنوبية متساويتان في العلو واما الغربية التي يفصلها عنهما انخفاض فهي اخفض منهما بنحو مئة قدم

ويُشرف هذا الجبل اشرافاً عجيباً على معظم بلاد فلسطين ومن كُوَم الثلج التي تعمم رأسهُ العريض حتى في ايام الصيف وتملأُ اخاديدهُ على مدار السنة تتكون مياهُ الاردن الاعلى الغزيرة . والاردن ينبع من احاضيض جبل الشيخ الغربي والجنوبي وثلاثة ارباع مياهِ جبل الشيخ تنزل الى الشق العميق شق الاردن

مصدر الاردن وبانياس ان احد مصدَري الاردن هو عند بانياس المعروفة بقيصرية فيلبس في العهد الجديد . نحو مئة قدم تحت كهف قديم في جانب لهب ينفجر الجدول من الصخور ويندفع نازلاً بين الغياض والجنائن وبروبها . وكان يوسيفوس المؤرخ وآخرون من الكتبة القدماء يعتقدون ان ينابيع بانياس هي مصدر الاردن الحقيقي ويظهران قدماء الكنعانيين قد بنوا هنا معبداً لاله النبع . وبنى اليونان بعدهم هيكلاً لِبان الذي منهُ اشتق الاسم الحديث بانياس او مدينة بان وههنا اقام هيرودس هيكلاً كان احد امجاد المدينة الرومانية قيصرية فيلبس

عند تل القاضي ان اكبر مصدر لنهر الاردن هو الجانب الغربي لتلٍّ يُعرَف اليوم بتل القاضي واتساع هذا الجدول نحو عشر اقدام يجري باستقامة من الصخر وينضم اليهِ جدول اصغر عند الجنوب حيث يسميان نهر اللدّان

ان تل القاضي قائم عند راس وادي الاردن ومشرف على السكة السلطانية الممتدة الى بانياس ومن هناك عبرَ الظهر الشرقي لجبل الشيخ الى دمشق موضع لايش الكنعانية التي سمَّاها العبرانيون دان

الروافد الغربية على بعد ميل ونصف من تل القاضي جنوباً ينضم الى مياهِ بانياس وتل القاضي النهر الحاصباني وهذا المجرى ينبع من بركة على جانب جبل الشيخ الغربي ومن هناك يجري جنوباً في وسط السهل العريض شرقي الجبل الذي ينفجر منهُ

والمصدر الرابع للاردن والاقل اهمية هو نهر البراغيث الذي يجري في وسط وادٍ الى الشمال الغربي

وادي الاردن الاعلى ان وادي الاردن عند القسم الاول من انحداره الى البحر الميت يتعرّج بالتدريج في وسط وادٍ عرضهُ نحو خمسة اميال وعلى جوانبهِ ترتفع التلال بين ١٥٠٠ قدم و٢٠٠٠ قدم وقسمهُ الشمالي الاقصى مستنجر جدًا ولكنهُ على بعد بضعة اميال من تل القاضي ترى المزارع المخصبة والينابيع الغزيرة. والمستعمرات اليهودية على جانب وادي الشمالي الغربي شرعت تزرع هذهِ المروج التي عادت الى خصبها . والنهر على بعد ستة اميال فوق الحولة يفيض على السباخ القصبية ويصب اخيرًا في بحيرة الحولة بعد ان يتشعب الى ست شعب حيث ينمو نبات البردي بكثرة . وطول بحيرة الحولة اربعة اميال وهي ليست الا ارضًا سبخة تكثر فيها حمى الملاريا وهي مكونة من حجز الجبال الغربية والشرقية للنهر

الانحدار السريع الى بحر الجليل ان الاردن ينخفض من بانياس الى الحولة اكثر من الف قدم وفي الاحد عشر ميلاً من سيرهِ من الحولة الى بحر الجليل ينخفض ٦٩٠ قدمًا ودرجات النزول هذهِ سبّبت تسميتهُ بالاردن ومعناهُ النازل . ووادي الاردن تحت بحيرة الحولة بقليل يضيق حتى يصير مضيقًا صخريًا وفي هذا الشق الصخري الذي تحيط بهِ على الجانبين الالهاب (الاشيار) ينصبّ الاردن ويؤلف عدة جنادل (شلالات) حتى يصل الى الدلتا التي انشأها على طرف بحر الجليل الشمالي

بحر الجليل ان مياهَ الاردن عند بحر الحولة تعلو سبع اقدام عن سطح البحر ولكن بحر الجليل ينخفض ٦٨٢ قدمًا . وبحر الجليل يشبهُ الاجاصة في الشكل وطولهُ ١٢½ ميلاً وعرضهُ ثمانية تحيط بهِ الالهاب الكلسية. واعمق محل في بحر الجليل هو في الشمال وعمقهُ ٧٥٠ قدمًا ومياههُ النقية الزرقاء المكشوفة للشمس ونسيمهُ الحارّ اللطيف الذي يهب من البحيرة يجعلهُ في الشتاء والربيع من ابهج البقع في كل العالم . ولكن هواءهُ في الصيف رطب وفي مواضع كثيرة يسبب حمى الملاريا . وارياح البحر المتوسط تهب عادة على بحر الجليل

من غير تأثير ولكنها من وقت الى آخر تهب في الاودية ولا سيما الى الشمال والشمال الغربي وتسبب بغتة نوءًا عظيمًا في مياههِ

شواطئ بحر الجليل ترتفع في الشرق جبال الجولان الكلسية المنحدرة الجرداء الآن والتي يظن انها كانت مكتسية بالاشجار سابقًا تغطيها طبقات عظيمة من الحجر الحوراني الاسود التي تظهر عن بعد كالاسوار الهائلة ومعدَّل بعد هذهِ الجبال عن بحر الجليل نصف ميل . والاردن في الشمال قد سحل الجبال حتى صارت وعرًا يكسوهُ الشوك والعشب القاسي . والى الشمال الغربي ترى سهل جنيسارت المثمر الذي عرضهُ اربعة اميال ترويهِ الجداول الجبلية المندفعة . ومن وراء السهل جبال الجليل الاعلى . واجتهاد المستعمرين الالمانيين في هذهِ الايام بدأ يظهر ثانية خصب هذا السهل العجيب حيث تنمو اشجار المنطقة الحارَّة والمعتدلة ونباتاتهما . والجبال على جانب البحر الغربي تنحدر بالجلالي تاركة بقعة ضيقة من الشاطئ يوصلها بالمرتفعات وادٍ او واديان غير عميقين . وشاطئ البحر يعرض عند الجنوب والجبال تبتعد حتى تصير على بعد اربعة اميال الواحد من الآخر عند طرف البحر الجنوبي حيث يخرج الاردن

وادي الاردن من بحر الجليل الى البحر الميت ان المسافة بالاستقامة بين بحر الجليل والبحر الميت ٦٥ ميلاً فقط ولكن بسبب تعوُّج الاردن الدائم فطولهُ نحو مئتي ميل وفي جريانهِ هذا الاخير ينزل اكثر من الف قدم ونزولهُ في القسم الاعلى اسرع . وتحت بحر الجليل يتصل بهِ اكبر رافد نهر يرموك الذي يجري في مرتفعات حوران من الشرق ومياههُ بقدر مياه الاردن تقريبًا في ذلك الموضع . والى الجنوب جدول جالود ينزل من الغرب من سهل زرعين ويمرُّ ببيسان . والاردن نحو عشرين ميلاً قبل مصبهِ يتصل بهِ نهر الزرقاء (يبوق) الذي ينزل من مرتفعات جلعاد في الشرق كما ان نهر وادي فارح ينبع على مقربة من نابلس غربًا ويصب في الاردن جنوبًا

صفة وادي نهر الاردن ان وادي الاردن تحت بحر الجليل حيث اتساعهُ اربعة اميال يعرض بالتدريج حتى يصير عرضهُ ثمانية اميال مقابل بيسان حيث يتصل وادي زرعين بوادي الاردن . واكثر اراضي قسم هذا الوادي قابلة الزراعة . واخربة الاقنية القديمة تدلّ على ان الجداول التي تأتي من الجبال كانت تستخدم للريّ . والمستعمرون اليهود يزرعون هذا الوادي ثانية والمرتفعات السامرية على بعد عشرة اميال جنوبي بيسان تزدحم بقرب الاردن حتى يصير عرض الوادي ثلاثة اميال فقط . والوادي حيث يتصل نهر الزرقاء ونهر وادي فارع بالاردن يتسع ثانية حتى يصير عرضهُ مقابل اريحا ١٤ ميلاً . واكثر وادي الاردن الجنوبي قفر محرق تغطيه الاشجار والنباتات البرّية الا حيث تصل مياه المجاري وهكذا تجددت المزارع المخصبة حيث نهر وادي نمرين ونهر كفرين يجريان من الجبال مقابل اريحا وفي اريحا نفسها تستعمل مياه وادي قلت ومياه ينبوع اليشع الشهير اليوم كما كانت تستعمل قديمًا ولكن التربة جنوبي اريحا متشبعة بالملح والقلي (النطرون) وتمتدّ الى البحر الميت وتصير قفرًا اجرد

الاردن نفسهُ ان نهر الاردن يجري في وادي الاردن العريض ويغير سيرهُ كثيرًا وقد حفر اخدودًا كبيرًا يدعوهُ الوطنيون الغور . والاردن عند فيضانهِ يبلغ عرضهُ من خمس مئة قدم الى ميل ولكنهُ في الصيف لا يبلغ عرضهُ في بعض المحلات اكثر من ٧٥—١٠٠ قدم ويختلف في العمق من ٣ اقدام الى ١٢ قدمًا ومياههُ على مدار السنة وحلة تشبهُ لون غلاية القهوة يكتسب هذا اللون من التربة التي يجري فيها . وضفتاهُ تكسوهما الآجام والشجيرات البرّية والقصب التي تتخذها الحيوانات البرّية وطيور السماء مساكن لها . ومنظر الاردن اذ يطوف منظر الخراب والقلق ممزوجًا بخصب المنطقة الحارة وهذا المقرّ المنخفض الذي كان في الادوار الجيولوجية بحيرة صار مقرًّا الآن كما كان في سالف الزمان للحيوانات البرّية وللهاربين وللبدو الفقراء وللنهر الوحل

الذي يسود سيادة عظيمة

مخاوض الاردن الاسفل ان الاردن الاسفل لهُ الآن اربعة جسور ولكن سكان فلسطين كانوا مضطرين قديمًا ان يعوّلوا بالكلية على المخاوض التي كان منها بين العشرين والخمس والعشرين اهمها الاولى في الموضع الذي يخرج فيهِ الاردن من بحر الجليل ولم تزل للان يعبرونها بالقارب والثانية هي مخاضة عبرة الشهيرة نحو الشمال الشرقي من بيسان والثالثة الى الجنوب مقابل بَلاّ[1] القديمة والرابعة مخاضة دامية عند مصبّ نهر الزرقاء والخامسة شمالي شرقي اريحا تحت الموضع حيثما نهر نمرين يتصل بالاردن. والاشهر مما ذكر مخاضة الزوّار جنوبي شرقي اريحا تحت الموضع الذي فيهِ يتصل نهر قلت بالاردن

والاردن يصعب عبورهُ دائمًا لرخاوة تربة ضفتيهِ وجريانهِ السريع ولكثرة فيضانهِ الناتج من ذوبان الثلج في جبال لبنان ولعواصف الشتاء والربيع . وكانت مصلحتهُ في كل التاريخ مقسم القبائل والسلالات لاموحدها وفي كل سيرهِ نحو مئة وسبعة اميال يندران يصلح للملاحة وهو يعيق التجارة اكثرمما يسهلها لانهُ يجري الى مياهِ البحر الميت

اسماء البحر الميت القديمة انهُ لم يبقَ من البحيرة (التي كانت في الادوار الجيولوجية) القديمة سوى البحر الميت وهذا الاسم (البحر الميت) حديث وقد دُعي في الكتاب المقدس بعدة اسماء منها البحر وبحر السهل والبحر الشرقي والبحر الملح وهو الآن معروف بين العرب ببحر لوط

صفاتهُ الممتازة ان البحر الميت اخفض من البحر المتوسط بِـ ١٢٩٢ قدمًا وطولهُ ½٤٧ ميلاً ومعظم عرضهِ عشرة اميال وعند طرفهِ الشمالي الشرقي تحت مرتفعات موآب عمق المياه ١٢٧٨ قدمًا وطرفهُ الجنوبي بالعكس ليس عمقهُ اكثر من ١٠—١٥ قدمًا

(١) احدى المدن العشر والتي اليها هرب المسيحيون قبلما حاصر تيطس اورشليم

ومياهُهُ متشبعة بالمواد الكيمية السامَّة حتى لا يمكن السمك ان يعيش فيها. ولا يحيا فيها سوى النقاعيات (ادنى انواع ذوات الحياة) وهي مرَّة جداً وزيتية الملمس وكثافتها معروفة انها عظيمة حتى ان الانسان او الحيوان لا يمكنهُ فعليًّا ان يغرق فيها والامواج في وقت العاصفة تلطم شاطئهُ كانها معدن والعواصف الرعدية التي تتأخر اوقاتًا ساعاتٍ بسبب الالهاب العالية تلطم مياههُ. ومعظم شواطئ البحر الميت جرداء تنتثر عليها بقايا الاشجار المكسرة التي يجلبها الاردن. ولكن مياههُ صافية تنقلب بين الازرق الناتج والاخضر وبسبب قرب الصحراء وشدة الحرّ فدرجة حرارتهِ ترتفع في الصيف الى ١١٨° فرنهيت وهذا يسبّب التبخر العظيم وقد حسب العلماء ما يتبخر منهُ كل يوم ٨ ملايين قنطار من الماء ويكون البخار غالبًا كثيفًا حتى يحجب النظر واوقاتًا يحلل النور كانهُ بموشور حتى انك ترى الالهاب (الاشيار) متلونة بالوان عجيبة ويجعل المنظر من اغرب مناظر العالم

شاطئهُ الشرقي ان جانب الهاب موآب الشرقية ترتفع تقريبًا باستقامة في بعض المحلات بين ٢٥٠٠ و٣٠٠٠ قدم وهذهِ الجبال الكلسية ممزوجة بحجارة كلسية سوداء وحورانية واوقاتًا تعمها الصخور الكلسية البيضاء وتخلل هذهِ الالهاب عدة مجارٍ مهمة لها اخاديد عميقة تمتد اميالاً الى الجبال الموآبية وعلى بعد بضعة اميال جنوبي الطرف الشمالي الشرقي يجري نهر الزرقاء (المعين) الى البحر المتوسط وعلى شاطئ الوادي الشمالي بقرب البحر تنفجر الحمّات المشهورة من الصخر

والى الجنوب نهر ارنون حفر اخدودًا عمقهُ نحو ٢٠٠٠ قدم في نجد موآب ومصبهُ في البحر عريض . وقليل من اشجار النخل والسنط تزيل وحشة هذا القفر. وتجد الى الجنوب ايضًا اللسان الذي ينتأ الى البحر ممتدًا الى ما يبعد عن الشاطئ الغربي ثلاثة اميــال وهو قطعة عظيمة من الحجر الطباشيري ترتفع عن البحر من اربعين الى ثمانين قدمًا وليس فيهِ اشجار.

ووراء هذا اللسان جرعاء (واحة) يرويها نهر الكرك حيث اربع قرى للبدو وهي الوحيدة على هذا البحر المنفر

الطرف الجنوبي عند الطرف الجنوبي للبحر الميت تجد سبخة وَحلة لزجة تكثر فيها الحمى الملارية وتكسوها نباتات المنطقة الحارّة تملأُها طيور المنطقة الحارّة وحيواناتها . والى الجنوب غور الصافية الخصب . وفي هذهِ الجرعاء (الواحة) الصغيرة بين البحر والبرية ينمو القمح والشعير والتبغ وكثير من نباتات المنطقة الحارة وتمتد العربة جنوبًا الى خليج العقبة ١١٢ ميلاً والعربة هي طرف الوادي والبحر الميت . وفي هذا الوادي القريب الغور تلال رملية منخفضة تمنع السائح من السير باستقامة وبعد ٦٥ ميلاً جنوبي الغور الصافي تصل الى مقلب المياهِ وعلو هذا المقلب ٦٦٠ قدمًا عن سطح البحر و٢٠٠٠ قدم تقريبًا عن سطح البحر الميت . وهذهِ الارض حجرية ورملية كثيرة الحصى وليس فيها سوى بعض الينابيع السَّبخة جدًّا وهي ارض الحرّ والغبار والبدو وهم الذين يتسلطون عليها الان كما كانوا منذ آلاف من السنين

الشواطئ الغربية ان الجبال على جانب البحر الميت الغربي لا تصل الى حافة المياهِ الّا في موضعين والشاطئ الرملي عرضهُ من مئة يرد الى ميل يحدّ البحر في الجانب الغربي وترتفع الجبال فوق هذا الشاطئ بحالي من ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ قدم . وهذهِ الجبال بيضاء مستديرة جرداء ما عدا عين جدي حيث مياهُ ينبوعها الشهير تنشئ جرعاء تصيّر جانب النجد مخضرًّا بالاشجار والعشب مما يسرّ الناظرين وتخترق هذهِ الجبال الغربية كثيرًا من الاودية الصغيرة التي تجد في وسطها قليلاً من الاشجار والشجيرات البرية . ولولا هذا لكان المنظر اجرد لا يرى فيهِ العشب كما هو الحال في الجهة الشرقية

وفي الجنوب الغربي عند جبل أُسدم سلسلة مشهورة من الاهاب الملحية علوها سمّاية قدم . طولها ثلاثة اميال وثلاثة ارباع الميل وعرضها نصف ميل

وهنا على ما جاء في التقليد موضع موت زوجة لوط. وعلى طول هذا الشاطئ الغربي نجد مستودعات الحمّر وكثيراً ما نرى اقساماً منهُ عائمة على صفحات الماء تعلق بها النار احياناً فتزيد كرب هذا الوادي العجيب

تذكارات البحر الميت المخيفة ان ما يلي بعض التذكارات التي تصوّب تماماً تسمية هذا البحر بالبحر الميت. وما حصل فيهِ على ما في التاريخ خراب مدن السهل الشريرة وقتل يوحنا المعمدان في مكيروس على المرتفعات الشرقية والمذبحة الاخيرة في مساده كل هذهِ تذكارات هائلة مرعبة وهذهِ المنطقة مع وادي الاردن تشير بوضوح الى قوات الطبيعة المهلكة وكل الاشياء هنا مظلمة وقاسية بلا رحمة ولا يصعب ان نظهر في الاخلاق اليهودية التأثير العميق الناتج من هذهِ المأساة الدائمة

الفصل السابع

ارض الاردن الشرقية

هيئة ارض الاردن الشرقية وهواؤُها ان ارض الاردن الشرقية المذكورة في تاريخ الكتاب تشبه مثلثاً غير منتظم قاعدتهُ تمسّ وادي الاردن وزاويتهُ الشمالية عند حضيض جبل الشيخ وزاويتهُ الجنوبية وراء الطرف الجنوبي للبحر الميت وزاويتهُ الثالثة في جبال الدروز التي هي نحو ٧٠ ميلاً شرقي بحر الجليل. واما دمشق الى الشمال الغربي فهي خارجة عن حدود فلسطين وهذهِ المدينة القديمة الشهيرة قائمة في وسط جرعاء (واحة) انشأتها مياه نهر الفيجة (المسمى قديماً ابانة) الذي يجري بين سلسلة الجبل الشرقي

وآخراً يغور في الصحراء العربية

ان قلب ارض الاردن الشرقية هو السهل الواسع المستوي الذي ترويه روافد نهر برموق . واراضي الاردن الشرقية هي نجد عظيم مرتفع معدل علوه الفا قدم على الاقل . وهذهِ الارض الجنوبية الممتدة من جبل الشيخ معرّضة للشمس وللرياح القوية التي تهبّ من الصحراء الجافة او من البحر الرطب . ودرجة حرارتها عموميًا ابرد من هواء فلسطين الغربية . والصقيع يبدأ باكرًا في اول تشرين الثاني ويستمرّ الى وسط اذار والثلج الكثيف يغطي قسمًا كبيرًا منها في الشتاء والضباب يتردد على مرتفعاتها وتنزل درجة الحرارة كثيرًا في الليل وبالنتيجة يسقط ندًى كثيف وفي النهار يهب نسيم البحر فيجعل الهواء منعشًا ولذلك هي تستحق ما اشتهرت بهِ في القديم انها من احسن المناطق الصحية في العالم

ارواؤها وخصبها ان ارض الاردن الشرقية بعكس فلسطين الغربية اذ فيها ينابيع وانهر صيفية والعشب ينمو فيها بكثرة في كل محل حتى الى ما يقارب الصحراء ولم يزل في جلعاد بعض الآجام العظيمة . والاشجار تعطي الاثمار بكثرة . وشرقي الاردن تجد مزارع الحبوب الخاصة (حوران) لفلسطين ولكنها على نوع خاص موطن القبائل الرحّل والرعاة . وقطعان المواشي واسراب الغنم والمعزى تزين الارض تقريبًا في كل محل من حضيض جبل الشيخ الى طرف جبل موآب

اقسامها الاربعة الطبيعية العظيمة ان ارض شرقي الاردن تنقسم الى اربعة اقسام كبرى طبيعية فالقسم الاول الجولان يمتد من حضيض جبل الشيخ الى نهر برموق ومن وادي الاردن الى نهر العلاّن احد روافد نهر برموق . والقسم الثاني حوران شرقي الجولان والجنوب الشرقي منهُ وهذا يمتدّ شمالاً الى اللجاه وشرقًا الى جبل الدروز الذي يشرف على الصحراء

وباشان في العهد القديم تطلق على كل المنطقة شمالي برموق من غير

تعيين الحدود والقسم الثالث يشتمل على جبال جلعاد ويمتد من برموق الى نهر حسبان عند الطرف الشمالي من البحر الميت ومن الاردن الى الصحراء

والقسم الرابع نجد موآب الذي يمتد من نهر حسبان الى نهر الحسا الى الجنوب الشرقي من البحر الميت . ومن بحر لوط الى طريق الحج العظيم على حدود الصحراء

مميزات الجولان الغربي والشمالي ان الجولان ينحدر جنوبًا الى نهر برموق وغربًا الى الاردن ومجاليهِ الممتازة سلسلتان من الجبال البركانية المنفردة تعلو بين ٢٠٠٠ و ٤٠٠٠ قدم وتمتد جنوبي جبل الشيخ وفي بعضها لم تزل الفوهات ظاهرة

وتل ابي الندى في السلسلة الغربية يرتفع الى ما يقرب من اربعة آلاف قدم وفوهة هذا التل مكسورة من احد الاجناب وداخلها مزروع ينتج عدة انواع من الخضر والحبوب . والى الجنوب قنَّة اخرى تل الفَرَس علوها نحو ٤٢٠٠ قدم لها فوهة مستديرة لم تزل محفوظة تميل الى الشمال . ومن هذهِ الفوهات خرجت المواد الذائبة في الايام القديمة وسالت الى وادي الاردن وغطَّت كل هذهِ المنطقة . والقسم الشمالي من الجولان ارض مرعى صخرية عظيمة تنتشر فيها الصخور المستديرة وفي الربيع تصير خضراء فتجذب قبائل البدو وقطعانهم . وفي الصيف تصير جافة ومقفرة الا حيث بعض المجاري الصيفية تروي الجرعاات (الواحات) . القرى صغيرة ومتفرقة وفي الداخل بعض الجداول تروي ولكونها تجري غربًا نحو الاردن ولعمق مجراها تصير فعلاً غير صالحة للريّ

الجولان الجنوبي والشرقي ان قسم الجولان الجنوبي من موضع مقابل طرف بحر الجليل الجنوبي نجد مرتفع وهنا الصخر البركاني يزداد تكسُّرًا وهذهِ التربة المخصبة الحمراء الى السواد تنتج القطاني ولاسيما القمح والشعير والنهران المهمان صخ وفيك يجران في مضايق طويلة عميقة ويصبان في بحر

الجليل . ويخرق الجولان الجنوبي الشرقي نهران يجريان الى جهة واحدة نحو الجنوب هما نهر الرقاد ونهر الاعلان وفي اول سيرهما يغمران وجه الارض ولكنهما ينزلان حالاً الى المضايق التي تتصل بنهر يرموق ونهر يرموق هو اعظم انهر ارض الاردن الشرقية . وروافد هذا النهر تروي اراضي حوران المخصبة . وهو ككل انهر شرقي الاردن يحفر قناة عميقة في الصخور الحورانية . والسكة الحديدية اليوم من دمشق الى حيفا تمتد متعرجة على طول مجراهُ المتعوّج بين اسوار الصخور التي تعلو من خمسماية قدم الى الف قدم . وهواء هذا المضيق العميق كهواء وادي الاردن بنفسهِ وهنا ينمو الدفلى والنخل والتين يظللها صنوبر النجد العالي وسنديانه . وتنوّع صخورهِ الكلسية البركانية المعوّجة المائلة الجرداء على جوانبهِ الوعرة تجعلهُ من اعظم المناظر الجميلة في كل فلسطين

صفة حوران ان اعظم مزارع النحنح شرقي البحر المتوسط تجدها في حوران وهذهِ المنطقة (ما عدا اكمة واحدة) مستوية كارض البيت . وتربتة بركانية مخصبة تروى جيداً مثمرة للغاية وهو بخلاف الجولان الذي كان قديماً كثير الحرج هو عديم الشجر الأ في الجبال نحو الشرق . وهو ايضاً احد الاراضي القليلة في فلسطين الخالية فعلاً من الاشجار وفيهِ ينمو القمح والشعير وحبوب فلسطين الاخرى بكثرة فائقة . ومنظرهُ بالمقابلة مع غيرهِ على نسق واحد مملّ ما خلا بعض الجداول التي تفتح مجاريَ فيهِ وتصب في نهر يرموق او في روافدهِ وهو ككثير من اصقاع فلسطين تسود عليهِ مرتفعات جبل الشيخ الثلجية التي تجعلهُ مخالفاً للسهل المملّ كل المخالفة .

الاراضي حول حوران ان سهل اللجاه العظيم هو شمالي حوران وهو مؤلف من مصهورات البراكين ويرتفع من ٢٠–٤٠ قدماً عن السهل مساحتهُ ٣٥٠ ميلاً مربعاً وليس فيهِ انهر سوى بعض الينابيع التي تجري في ارضهِ الجرداء وفيهِ بعض السُبل وهو اليوم كما كان قديماً ملجأ للمحرومين من الحقوق المدنية واللصوص

والى شرقي سهل جوران جبل حوران المعروف اليوم بجبل الدروز وثلاث من قنن هؤلاء الحراس الشرقيين تعلو من اربعة آلاف قدم الى ستة آلاف قدم ويدخل حوران من الجنوب بالتدريج الى بادية حماد الصفراء ومن الغرب الى جبال رُملة الكلسية

جلعاد تتبدل حجارة الجولان الحورانية جنوبي يرموق بحجارة الاردن الغربي الكلسية البيضاء . وكل اراضي جلعاد تشبه تمامًا جبال فلسطين الغربية اكثر من كل محل في صقع الاردن الشرقي . وفي مرتفعات جلعاد الشرقي العريضة مزارع الحبوب الكبيرة . والتربة تزرع في محال اخرى كثيرة . وفي العصر الروماني كانت المدن العظيمة التي منها جرش تشهد بخصب ذلك الصقع ولكن القسم الاعظم منهُ الآن فردوس اصحاب المواشي والرعاة . وهي ارض ذات اودية عميقة وتلال مستديرة وعيون كثيرة ففي الشمال الشرقي منها كثير من المجاري الصغيرة تصبّ في وادي الاردن وطرقها كثيرة المنازل والمصاعد (النزلات والطلعات) حيث قطعان الغنم واسراب المعزى تتعلق بجوانب التلال المنحدرة وأَحراج السنديان الشامخ تكسو رؤوس التلال وتظهر قوة الغذاء في التربة

نهر يبوق وجبل اوشع ان العامل العظيم في جبل جلعاد الجنوبي هو نهر يبوق مصدرهُ بين الجبال ليس بعيدًا عن الحد المؤآبي . ولا يبعد سوى ١٨ ميلاً عن الاردن ومن ثم يجري الى الشمال الشرقي ويمر بنصبة العمونيين القديمة ربة وهناك يكمل نصف دائرتهِ ويمرّ في جبال جلعاد الى الاردن . ومجراهُ في بعض المحلات اخفض من النجد بالفَي قدم الى ثلاثة آلاف وهو نهر مفرح يتماوج في نور الشمس فوق الصخور ويجري بين الدفلى والقصب . وهي رمز الى ارض الرعاة هذهِ الجميلة السعيدة . ووسط هذهِ الدائرة التي يرسمها جدول يبوق جبل اوشع اعلى قنة في جلعاد . ومن رأسهِ الذي يرتفع ٣٥٩٥ قدمًا كل جبل جلعاد يمتد فعلاً الى الشمال والجنوب والشرق

كبساط عظيم ملوَّن

جلعاد الجنوبي ان الاشجار في جنوبي جلعاد تقل شيئًا فشيئًا حتى تختفي جنوبي جبل اوشع والحقول في الربيع يكسوها العشب والحنطة ولكنها في الصيف تصير جافة جرداء والانهر في الجنوب كنهر نمرين ونهر حسبان لا يفيدان في الري لانهما اخفض كثيرًا من النجد حولها . وهذا الصقع عمومًا يكتسب صيفًا بعض اللون القاتم لون صقع البحر الميت اسفله

صفة نجد موآب ان موآب في اقصى حدودهِ طوله ستون ميلاً وعرضهُ ثلاثون ميلاً ويرى من عبر البحر الميت كسلسلة جبلية عالية. ولكنهُ في الحقيقة ليس الا نجدًا عاليًا يرتفع فوق مضيق البحر الميت وهو يعلو في اتساعهِ بين ٥٠٠٠ و٣٠٠٠ قدم عن مساواة سطح البحر فلذلك هو يعلو من ٣٨٠٠–٤٦٠٠ قدم عن مساواة سطح البحر الميت. وهو سهل يستدير شيئًا فشيئًا عادم الاشجار وفي رووس تلالهِ المنخفضة كثير من خرب المدن القديمة . ولا تجد سوى بعض العوسج والعليق في هذهِ الاراضي السبخة الجرداء . وصخورهُ من النوع الكلسي الطباشيري التي ظهرت في مواضع كثيرة وتربة المنطقة المتوسطة من الشمال الى الجنوب ومعدل عرضها عشرة اميال مخصبة للغاية . وفيها كثير من مزارع القمح . ولكن موآب كجلعاد ارض اصحاب المواشي والرعاة خاصة وفي الانهر التي تجري الى البحر الميت تربي الوف من الجمال وعلى التلال ترى في كل مكان قطعان المواشي والخراف والمعزى

خصبها وريها ان المزارع العالية في الربيع تصير خضراء فتتغطى الاحجار والصخور الظاهرة . ومن العجيب انك تجد نباتًا في ارض كهذهِ يحدها غربًا البحر الميت وشرقًا الصحراء الصخرية . واكثر مجاريها تجري في الاودية العميقة ولا اثر للعيون في المرتفعات وسبب وجود النبات فيها ارتفاع النجد وعملية التبخر العظيم الدائم في البحر الميت اسفل . والرياح الغربية من البحر المتوسط والبحر الميت تأتي حاملة الرطوبة على اجنحتها وتحولها الى مطر

في الشتاء والربيع والى ندّى ليلاً على مدار السنة

جبالها ان جبال موآب هي اكثر بقليل من اكام ترتفع عن المرتفع المستدير بضع مئات من الاقدام . والجبال المسماة جبال عباريم هي الجبال الصخرية البرية والاشمخة التي ترتفع مستقيمة من البحر الميت يراها الناظر من البحر الميت جبالاً وهي تتاخم الجانب الشرقي للاردن الاسفل والبحر الميت . وتمتد شرقًا تسعة اميال او عشرة لتتصل بحقول موآب على المرتفعات

وهذا الصقع يشابه برية اليهودية في عبر البحر غربًا وجبل نبو المسمى الان نبا هو لسان منبسط من الارض يعلو ٢٦٤٣ قدمًا عن سطح البحر يمتدّ ميلين غربًا من النجد الاصلي . وهو يشرف على طرف البحر الميت الشمالي المخفض عنهُ نحو ٤٠٠٠ قدم . ويشرف اشرافًا عجيبًا على وادي الاردن بين مرتفعات جلعاد على اليمين وجبال السامرة واليهودية على اليسار . والى الداخل جنوبًا قنة جبل اتاروس التي هي اعلى من نبا . والجبل المهم جنوبي ارنون جبل شيهان الذي يعلو ٢٧٨٠ قدمًا عن سطح البحر

انهارها ان المناظر الرئيسية في جبل موآب هي الاودية العميقة التي تمتدّ من الشرق الى الغرب والاودية التي في الشمال قصيرة وهذا مما يجعل موآب الشمالية الشرقية مسطحة ولكن الاودية في الجنوب تحفر مجاري في الشرق الى ان تصل الى القفر

ونهر زرقاء معين قد حفر مجرًى عميقًا عريضًا في الصخر الكلسي والحوراني والرملي بالتتابع حتى صار عرضهُ ميلين على بعد ١٠ اميال من مصبهِ . وعلى طول قاع هذا الوادي العظيم يجري جدول صافٍ يتعرج بين اشجار الدفلى الجميلة والاراضي المخصبة

نهر ارنون والى الجنوب نهر ارنون الذي هو اكبر انهر موآب يخرج من حدود الصحراء واذ يحفر مجراهُ بسرعة ويجري الى النجد يتصل بهِ اول رافد مهم من الجنوب . ثم نهر والة من الشمال . والوادي عند المحل الذي

فيهِ السكة السلطانية من الشمال تقطع ارنون عمقهُ ثلاثة آلاف قدم وعرضهُ من الجانب الى الآخر ميلان وهو بوجه الاجمال اجمل وادٍ في كل فلسطين. وبالنتيجة ان ارنون يفصل موآب الى شطرين وقد اتلف وحدتها السياسية كما فعل الاردن في ارض اسرائيل

موآب الجنوبية وادوم والى الجنوب نهر الكرك الضيق والعميق الذي يجري على جانبي القلعة الطبيعية المسماة قلعة الكرك ثم يجري الى البحر الميت شمالي اللسان الاجرد . وهكذا مناطق موآب الثلاث تخترقها الاودية العميقة سهلة الوصول من الشرق وصعبة الحماية. ونجد موآب الى الجنوب يمتد الى جبال سعير موطن الادوميين القدماء حيث تصير الجبال اعلى واكثر انحدارًا . واهم هذهِ العجائب الطبيعية هو وادي موسى الذي يحفر مجرى عميقًا ضيقًا في قلب الجبال وفي وسط هذا الوادي الذي تحيط بهِ الاهاب (الاشيار) الرملية الملونة بالوان فاخرة التي حفر فيها بيوت وشوارع وقبور ومسارح وهياكل ومرتفعاتٌ للعبادة كانت ولم تزل بترا المدينة الشرقية العظيمة العجيبة

مميزات ارض الاردن الشرقي ان هذهِ الارض حاصلة على ثلاثة اشياء الصحة والجمال والخصب وهي منفصلة فعلاً عن الاتصال بالحياة المدنية السامية حياة شواطىء البحر المتوسط . وما يفصلها هو وادي الاردن ووادي البحر الميت . وهي متجهة للصحراء والى الشرق اكثر من الغرب . وكانت دائمًا مغنطيسًا يجذب سكان الصحراء الرحّل وسادت هنا حياة الصحراء وعاداتها في كل العصور وهنا تعلمت القبائل الرحّل اولاً قيمة فوائد الزراعة وبالتدريج تحوّلوا من البداوة الى الزراعة . وهنا بذلت الامم الشرقية القوية اقصى جهدها لتبلغ هذهِ الارض وتحافظ عليها لانها تحققت انها حصنها الطبيعي الشرقي تجاه الصحراء وهنا التقى تمدن الغرب والشرق وتخاصما وتمازجا

ولم يزالا الى الآن كما كانا في الماضي وهذا الاتصال التام بالصحراء كان دائمًا سبب قوة اراضي الاردن الشرقي وضعفهِ وميزهِ

الفصل الثامن

القصبتان اورشليم والسامرة

اهمية اورشليم والسامرة ان المدينتين الفلسطينيتين القديمتين اورشليم والسامرة ترتفعان فوق غيرها في الكبر والاهمية وكل منهما كانت مدة طويلة قصبة مملكة مهمة . وكل منهما كانت تمثل نوعًا خاصًا من التمدن والدين وموضعهما اثر في تقدمهما وتاريخهما

موضع اورشليم ان موضع اورشليم يظهر لاول وهلة انهُ من اعظم المواضع غير الموافقة في كل فلسطين ليكون موضع قصبة . لانهُ قائم على تلّين منخفضين او ثلاثة ناشزة من النجد غير المنتظم الذي يمتد جنوبًا من جبل يهوذا المتوسط تظاللهُ التلال العالية بقربهِ وليس فيهِ مرتفعات تصلح ان تكون قلعًا . وتحدها شرقًا برية اليهودية والجبال والاودية حولها بالنسبة الى غيرها صخرية وجرداء . وسبب بناء تلك المدينة اصليًا في ذلك الموضع غير الموافق وجود عين هناك يقال لها اليوم عين العذراء على جانب وادي قدرون جنوبي شرقي اورشليم الحالية . وهذهِ العين هي العين الوحيدة الصيفية في ذلك الصقع التي سببت بناء مدينة بقربها قبل زمن الاسرائيليين

وادي قدرون ان قدرون وادٍ فلسطينيٌّ عاديٌّ . يمتدّ من الشمال الى الجنوب ويمرّ بالمدينة ثم ينحدر بالتدريج للشرق الجنوبي عرضهُ نحو مئتي

برد على جوانبهِ التلال التي تعلو من ٤٠٠—٦٠٠ قدم على كل جانب . وفي مدة الشتاء والربيع يجري في هذا الوادي جدول ولكنهُ في الصيف يجف ومع هذا فاشجار الزيتون تجد رطوبة كافية في اسفل الوادي وعلى جوانبهِ . ويتصل بقدرون عند طرفهِ الجنوبي وادي هنوم الذي يمتد الى الغرب نحو نصف ميل ومن ثم يدور الى الشمال وهذا مع قدرون يحيط على الجوانب الثلاثة بمربع مستطيل قائم الزوايا عرضهُ من نصف ميل الى ثلاثة ارباع الميل

وادي تيروبيون (وادي باعة الجبن) ان الاكام الجنوبية المحاطة كان يخترقها قديمًا وادٍ غير بعيد الغور هو وادي التيروبيون الذي يمتد صاعدًا شمالاً من وادي هنوم . و يفصل المربع المستطيل القائم الزوايا الى قسمين غير متساويين . ولما كانت المدينة حوصرت مرارًا ودُكّت الى الاساس اخفت موضعها الاصلي الانقاض العظيمة المنتشرة في كل محل ولاسيما في وادي تيروبيون . والصخر في مواضع متعددة من اربعين قدمًا الى مئة تحت سطح الارض الحالي وقد حفر الحفارون منجمًا عمقهُ ١٢٠ قدمًا شرقي ساحة الهيكل قبلما وصلوا الى الصخر الاصلي . وحفروا مئات من هذهِ المناجم في محال متعددة في المدينة حتى عرفوا موقع المدينة القديم . ووادي تيروبيون الذي يمرُّ في وسط اورشليم هو المفتاح لمعرفة المدينة القديمة وطول هذا من المحل الذي منهُ يتصل بوادي قدرون ووادي هنوم في الجنوب الى طرفهِ الشمالي خارج عن بوابة دمشق الحالية نحو ١٦٠٠ بردٍ . وتعلو الاكام اصليًا على كل جانب من مئة قدم الى مئة وخمسين قدمًا عن اسفل الوادي الذي يعرض ويقلّ غورهُ في الشمال . وامام ساحة الهيكل الحالي فرع غربي الوادي يمتدّ نحو ٢٠٠ برد يقطع تقريبًا التل الجنوبي الغربي من النجد الشمالي

المدينة الاصلية ان ظهر الصخر المستدير بين وادي تيروبيون ووادي قدرون كان من غير شك موضع اورشليم الاصلي وهو المسمى اوفل الذي

بُني عليهِ الحصن اليبوسيّ القديم . والطرف الجنوبي يرتفع بسرعة من الوادي اسفل حيث يتصل تيروبيون بقدرون وطرف التل الشمالي هو ساحة الهيكل الحالية صخر من وادي تيروبيون غربًا الى وادي قدرون شرقًا ذو جرفٍ من الصخر الاصلي علوهُ ٣٥ قدمًا كحصن يقاوم الغزاة في الشمال . وقد وجد المنقبون سورًا متينًا عند الزاوية الجنوبية الشرقية لساحة الهيكل يمتد على حدّ وادي قدرون ويُرجح انهُ كان يحيط بمدينة اليبوسيين القديمة وهكذا كانت تحيط بالمدينة من ثلاث جهات الاودية المنحدرة التي عمقها من مئة قدم الى ثلاث مئة . تحتها تمامًا عين صيفية كانت ضرورية لحياة سكان المدينة الاولين ولذلك نقدر ان نفهم لماذا اعتبر اليبوسيون ان مدينتهم يستحيل فتحها

اتساعها ان مساحة تل اوفل بين ١٦ و١٨ فدانا كانت كافية لقرية كثيرة السكان في الايام القديمة وهذهِ كانت من غير شك موضع مدينة داود ولما نمت المدينة الاسرائيلية امتدت على ما يُظَن الى مساواة الوادي في الجنوب بقرب بركة سلوان الحديثة . والطرف الشمالي اليوم لتل اوفل اعلى من الجنوبي . وهو يعرض عند وصولهِ الى ساحة الهيكل وعلوهُ ٢٤٤٠ قدمًا فوق سطح البحر ولا يُظن مع ذلك ان موضع الحصن اليبوسي القديم كان اعلى من صخر الهيكل شمالاً

واذا كان حصن اكرا المعروف كثيرًا في تاريخ المكابيين مشابهًا لقلعة اوفل القديمة فسمعان المتسلط المكابي حسب شهادة يوسيفوس المؤرخ بتر رأس هذا المرتفع الجنوبي ليجعلهُ اخفض من الساحة المجاورة

التل الغربي اننا لا نعرف تمامًا الوقت الذي فيهِ كان التل الغربي ضمن حدود اورشليم . ومن المحتمل ان هذا كان على عهد سليمان . ومن المؤكد انهُ كان قبل السبي البابلي

وهذا التل ينحدر بسرعة جنوبًا وغربًا الى وادي هنوم والى شرقي وادي

تيروبيون بينما هو يتصل في الشمال بواسطة لسان ضيق من الصخر بتل اورشليم الشمالي

وطوله من الشمال الى الجنوب نحو ٧٠٠ يردٍ وعرضه من الشرق للغرب ٤٠٠ يردٍ وهو اعلى في الغرب حيث علوهُ ٢٥٢٠ قدمًا عن سطح البحر . فهو اذًا اعلى من ساحة الهيكل في الشرق بنحو ثمانين قدمًا

امتداد المدينة الشمالي وبما ان المدينة نمت في الازمنة المتأخرة فهي امتدت طبيعيًا الى الشمال وضمّت ضمنها التل الصغير شمالي التل الغربي الذي بهِ اتصلت بلسان من الصخر . ويحدّ هذا التل الشمالي من الغرب منخفض يمتد من وادي هنوم ومن الجنوب والشرق تيروبيون الاعلى . ولم يكن للمدينة من الشمال حصن طبيعي حيث اعلى موضع ٢٤٩٠ قدمًا وكان التل تقريبًا مساويًا لسطح مساحة الهيكل . وطرف المدينة الشمالي يتضمن قسمًا آخر من ظهر صخر يمتد شمالاً من مساحة الهيكل مساويًا لوادي قدرون

وقد حُفر خليج عمقهُ عشرون قدمًا في هذا الظهر من الشرق الى الغرب . وهذا صار اليوم حد المدينة الشمالي الشرقي . والمدينة الحديثة تسلقت النجد الى الشمال بخلاف المدينة القديمة التي كانت تمتدُّ الى الوادي جنوبًا

وصف يوسيفوس المؤرخ لاورشليم ان يوسيفوس المؤرخ اليهودي قد وصف موضع اورشليم وصفًا دقيقًا . وبما فهمناهُ سابقًا عن موضعها صار وصفهُ واضحًا مفهومًا . ولما كان في بالهِ مدينة ايامهِ (وسط القرن المسيحي الاول) فقد وصف لنا ايضًا المدينة القديمة قال — ان مدينة اورشليم كانت محصّنة بثلاثة اسوار في المحال التي تحيطها الاودية غير المسلوكة فسور واحد

ان المدينة كانت مبنية على تلّين الواحد مقابل الآخر بينهما وادٍ يشطرها والبيوت متقابلة على طرفي التلّين . والتل الذي عليهِ القسم العلوي من المدينة هو اعلى من الآخر واكثر استقامة في الطول . والتل الآخر المسمى اكرا

وعليهِ قسم المدينة الاسفل مقوّس كالهلال . وفوق هذا ومقابلهُ تل ثالث ولكنهُ اخفض طبيعيًّا من تل اكرا بفصلهُ عن الآخر وادٍ عريض . والعمونيون في زمان تسلطهم ردموا هذا الوادي بالتراب وكان قصدهم ان يصلوا ما بين المدينة والهيكل وحينئذٍ ازالوا قسمًا من مرتفع اكرا وجعلوهُ منخفضًا عما كان قبل حتى يكون الهيكل اعلى منهُ

فالوادي باعة الجبن (تيروبيون) كما كان يسمى وقتئذٍ وهو يفصل تل المدينة العليا عن تل المدينة السفلى يمتد الى سلوام التي فيها عين بهذا الاسم ماؤُهُ عذب غزير وهذهِ التلال تحيطها من الخارج اودية عميقة وبسبب الاهاب المتعلقة بها فهي على الجانبين في كل محل لا يمكن عبورها

تكوينها الجيولوجي ان تكوُّن اكام اورشليم الجيولوجي يوضح تاريخها تمام الايضاح . وسطها مائل لنحو الجنوب الشرقي على معدل ١٠ او ١٢ درجة والصخر السطحي قاسٍ كلسيّ رملي فيهِ بعض الصوان . وهذا ظاهر على رأس جبل الهيكل على جانب وادي قدرون الغربي وفي المقالع شمالي اورشليم . وفي الاسفل حجر كلسيّ ابيض ليّن سهل النحت صالح للبناء لانهُ يقسو عندما يتعرض للهواء . ولوجود هذا الصخر في الاعماق تمكن الاهلون من حفر الحياض العظيمة والانفاق الكبيرة التي تملأُ ارض اورشليم وكان لها شأن عظيم في تاريخ المدينة المحزن وتحت هذهِ الطبقة صخر كلسيّ قاسٍ مؤَلَّف من (كربونات الكلس والمغنيسيا) ابيض مخطط باللون الاحمر (شحم بلحم) وبما ان طبقات الصخر العليا ذات مسامّ فهذهِ الطبقة السفلى تحفظ المياه . والنتيجة انهُ عند ظهور الصخر في وادي قدرون الاسفل تجد عينًا وانحدار هذا الصخر القاسي من الجنوب يحمل مياه المدينة القذرة الى الجنوب حيث يلتقي وادي قدرون بوادي هنوم

ماؤُها ان اورشليم كاكثر مدن اليهودية شحيحة المياه قليلة العيون وعين العذراء التي يُظن انها هي عين جيحون القديمة متقطعة دورية تجري مياهها من ممصّ طبيعي في الصخر يفيض بحسب سقوط المطر المحلي مدة ساعة

او اكثر واحياناً بضعة ايام . وينزل الى هذهِ العين بواسطة درجات توصل الى كهف طبيعي عند منتصف جانب وادي قدرون . وكانت المياهُ في الايام القديمة تجري من هذا الموضع في وسط الظهر الصخري في نفق يعدُّ من عجائب الهندسة القديمة . ومن هناك كانت تجرُّ المياهُ الى موضع عند الطرف الجنوبي من وادي تيروبيون حيث كانت مرة بركة سلوام الشهيرة . وهذهِ كانت على الارجح داخل اسوار المدينة القديمة . وفي هذا المحل قد بُني بعد هذا حوض كبير مساحته ٥٢ قدماً مربعاً منهُ يستقي سكان المدينة ماءهم . وتجد قناة اخرى تحمل ما يفيض من هذهِ البركة الى بئر ايوب التي تبعد ٤٥٠ يرداً الى الجنوب الشرقي حيث وادي قدرون ووادي هنوم يلتقيان . وكان في القديم على ما يظهر غربي ساحة الهيكل بركة كانت تستمد المياهَ من حضيض تيروبيون الاعلى . ولكن ليس من دليل جيولوجي او تاريخي على وجود عين صينية في قسم المدينة الشمالي او الغربي . وسكان اورشليم القديمة كانوا يتكلون جميعهم على الحياض الصخرية ما خلا العين الصينية الوحيدة وهذهِ البرك . واظهر الحفر الحديث بقايا القنوات التي كانت تحمل مياه برك سليمان جنوبي بيت لحم في الوادي وجوانب التلال الى اورشليم . وبعد هذا كانت المياهُ توزع بواسطة قنوات عالية ومنخفضة في احياء متعددة في المدينة ولاسيما في الهيكل لعلاقتها بفروض الذبائح . والمياه من برك سليمان هذهِ لم تزل تجلب بواسطة انابيب الى جانب المدينة الجنوبي الغربي

قوة اورشليم العسكرية ان قوة اورشليم ليست في مرتفعاتها بل في وهادها العميقة التي تحيط بها من المشرق والجنوب والغرب وبعض الشمال . انك تجد الصخر الاصلي على عمق بضعة اقدام والحجر الكلسي يمكن نحته بسهولة زائدة

وقد حُفر خليج حول المدينة عمقهُ من عشرين الى خمسة وعشرين قدماً في جانب التل المنحدر فصار الصخر الاصلي حصناً منيعاً لايتلف صعب اجتيازهُ

وتسلقه . وما ضعف اورشليم سوى نقصانها من الحصون الطبيعية في الشمال . وقد اصلح هذا النقص الطبيعي جزئيًا حفر الخلجان العميقة في الصخر الطبيعي وعمقها من عشرين قدمًا الى خمس وعشرين قدمًا . وقد أُضيف الى هذه الحصون الصناعية في المحلات المستوية اسوارٌ عريضة متينة مما جعل اورشليم في اكثر مدة تاريخها امنع حصن في فلسطين

قوة موضعها ان المدينة كباقي مدن يهوذا تحميها الحصون الطبيعية من كل جانب ولا يمكن ان يدنى منها من الشرق الأ من المرتفعات الوعرة القائمة فوق الاردن والبحر الميت

ولما كانت المدينة على السكة السلطانية العظيمة التي تمتدّ في النجد المتوسط من اسرائيل الشمالية الى حبرون والبلاد الجنوبية فالجيوش الغازية العظيمة لا تهاجم اورشليم من هذهِ الطريق الجبلية الصعبة . والاودية غربًا المتصلة بالسواحل تصير واحدة عند اورشليم ويهوّن على العبرانيين المتسلطين على تلك المعابر ان ينقضُّوا من الاعالي على اعاديهم في السهل وهذهِ المعابر تسهل حراستها من فوق تجاه الجيوش الزاحفة. وجَدْب الارضين حول اورشليم كان مصدرًا آخر من القوة مهمًا اذ ليس فيها ما يكفي من الطعام لجيش كبير محاصر. واورشليم مع انها قريبة من مجاري حضارة العالم وقفت على حيادٍ بعيدة آمنةً بسبب فقرها وعدم اهميتها مطمئنة وراء مرتفعاتها الغربية الحصينة واسوارها الكلسية الشمطاء

وكانت القصبة الملائمة لسلالة قاسية دافعت عن حريتها ومعتقدها بغيرة وشجاعة . وبما ان الجبال الكلسية تحيط بها كانت رمزًا لليهودية

اسم السامرة بما ان السامرة قائمة في وسط سهل خصيب عريض تطل على البحر وتُشرف على الجالي المجيدة البعيدة كانت ممثلة لاسرائيل الشمالية والقصبتان ارتقتا الى منصب الحكم الذي تمتعتا به ليس اتفاقًا بل بواسطة الملوك القادرين الاذكياء . قيل في ١ مل ١٦: ٢٤ ان عمري رأْس السلالة العسكرية

اقوى سلالات مملكة اسرائيل الشمالية " اشترى جبل السامرة من شامر بوزنتين من الفضة وبنى على الجبل ودعا اسم المدينة التي بناها باسم شامر صاحب الجبل السامرة " واذا غضضنا النظر عن امر اشتقاق الاسم تاريخياً فالاسم شامر او السامرة ملائم تماماً لان معناهُ برج الخفير

موضعها ان التل قائم على الجانب الشرقي من وادي الشعير الذي هو وادٍ جميل واسع ممتد من سهل شارون وهذا الوادي يعرض مقابل السامرة ويتصل بعدة اودية قريبة الغور تمتد من الشمال والشمال الشرقي

وفي وادي الشعير هذا تمتد السكة السلطانية العظيمة من الشمال الغربي من شكيم وبلاد اسرائيل الوسطى الى سهل مرج ابن عامر وفينيقية . وترى سكة اخرى تمتد باستقامة الى الشمال مارّة بسهل دوثان الى اسرائيل الشمالية ودمشق . والسامرة قائمة على الحدّ الفاصل بين سبطي افرايم ومنسى القويين. وكانت مع هذا الى شمالي وشرقي وسط اسرائيل الشمالية وكانت مفتوحة الابواب للتمدن والتجارة التي تمرّ قوافلها شمالاً وجنوباً في كل السواحل البحرية . ومن المدينة تتمتع بمنظر البحر المتوسط الجميل الذي يمثّل العالم الاكبر الذي قصد الملك عمري ان يوصل شعبهُ اليهِ ويقربهُ منهُ

قوتها العسكرية ان المدينة مبنية على تل طويل منفرد يعلو عن السهل بين ٣٠٠ قدم و ٤٠٠ قدم في الغرب والتل ينحدر من الجوانب الثلاثة فينفصل من الشرق بالاكام بواسطة لسان من الارض يرتفع عن السهل المحيط بهِ نحو ٢٠٠ قدم وهذهِ الاودية المحيطة هي كما هي الحال في اورشليم مصدر القوة العسكرية . طول التل نحو ثلاثة ارباع الميل وعلى رأسهِ قلعة كبيرة مستديرة تقريباً قطرها نحو ثلث ميل وكان يحيط بهذهِ القلعة في العصر الروماني جلٌ متسع فيهِ رواق مساحتهُ نحو ميل ونصف وعلى رأس هذا التل المستدير ساحة متسعة لمدينة قوية وكبيرة . وبما ان السامرة كاورشليم

يحيط بها سور منيع لا يمكن ان يوصل اليها فعلاً

جمالها وفلاحها ان المنظر من السامرة هو اجمل المناظر الجذابة في كل فلسطين واحسن النبي اشعياء بوصف هذهِ المدينة اش ٢٨: ١-٦ قائلاً "ويل لاكليل الخ" حيث تجد الحقول الخضراء والتلال التي يكسوها الزيتون والكرم تبهج الناظرين من كل جانب . وترى بين هذهِ الجبال الاودية الخضراء السارّة والخصب والفلاح في كل جانب . وتعلو السامرة نفسها عن سطح البحر ١٤٥٤ قدماً تحيط بها التلال العالية من كل جهة تقريباً وعلى بعد ميلين الى شماليها تل اعلى من تل السامرة بتسعماية الى الف قدم . والى الجنوب الشرقي بعض الجبال الاخرى تصل الى مرتفعات جبل عيبال الصخري وتعلو اكثر من ٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر . ولذلك كانت السامرة مثال الجمال والفلاح وقبول التأثير الاجنبي والقوة الطبيعية والضعف المميت للملكة الشمالية بعكس اورشليم

الفصل التاسع

السكك السلطانية العظيمة

المذكورة في الكتاب

اهمية السكك السلطانية يتوقف نمو التاريخ والتمدن القديم على اتجاه السكك السلطانية وصفاتها . ان العبرانيين تعلموا المهاجرة بواسطة الطرق العظيمة التي كانت تدخل فلسطين وعلى هذه الطرق سارت امواج الغزو العدائي والسلمي كليهما وغيرت مجرى تاريخ العالم

وكانت هذه الطرق للعبرانيين الابواب المفتوحة لحياة العالم الخارجي وتمدنه وعلى هذه الطرق نفسها هربوا او جرّوا اسرى وعلى وسائل الاتصال والتجارة سار المبشرون والرسل بعد هذا الى افتتاح الامبراطورية الرومانية افتتاحاً سلمياً وهكذا اثرت طرق العالم القديم بعد ارضه تاثيراً عظيماً في تاريخ الكتاب المقدس وانشائه وقواعده الدينية

عدم ذوق الساميين في بناء الطرق ان السلائل السامية لم تكن بوجه الاجمال ماهرة في بناء الطرق لان اختباراتهم في رحلاتهم قديماً عوّدتهم السير في طرق طويلة صخرية وخشنة . فالثور والجمل والحصان والحمار كانت وسائل النقل واكثر الناس كانوا يسيرون من مكان الى آخر راجلين وبما ان المسافات في فلسطين قصيرة كان المشي سهلاً ممكناً

والطرق المطروقة في هذه الايام تجد فيها حجارة كبيرة في وسطها قد نعّمتها حوافر الحيوانات وارجل المارين الذين لا يعدّون . كل هؤلاء قد

عثروا فيها ولم يكلفوا نفوسهم بضع دقائق لازالتها

والآريون نسل يافث هم اول من انشأ الطرق الصالحة في اسية الجنوبية الغربية . والبريد الفارسي الملكي الذي وصل ابعد المحلات في الامبراطورية بعضها ببعض كان عصراً جديداً في انشاء الطرقات . واعظم بنائي طرق في القديم هم الرومان ومعظم الطرق الكبيرة التي تدهش السائح هي صنعة ايديهم في القرن الثاني المسيحي والثالث بعد عصر الكتاب

البرهان على ان الطرق الحديثة قلدت الطرق القديمة لنا من البراهين القديمة على ان الطرق الحديثة احتذت مثال الطرق القديمة وكلاهما بالضرورة خاضا المخاوض نفسها وقطعا نفس المعابر الجبلية . الطرق الرومانية كانت تحصرها نفس الحدود الطبيعية وكانت تبنى في نفس الطرق القديمة بالاكثر حسب ميل الشرقيين . والسائح عند سيره في الطرق راكباً اليوم يذكر دائماً انه يسير كما سار سكان الارض الاولون . والطريق غالباً عوضاً عن ان تمتد مستقيمة تسلك ممراً او تلاً منحدراً مارة بخراب كان مرة مدينة شهيرة ولكنها الآن خراب ودمار والطريق لا تزال تتبع هذا السير المعوّج ليس لانه كان يصل قديماً منذ الف سنة الى مدينة آهلة . وحينما تغيّر مجرى الطريق لم يتغير الا بسبب تغيير مركز العمران والسياسة او لان الرومانيين لم يراعوا التقاليد الوطنية والموانع الطبيعية فجعلوا طرقهم تسير فوق الجبال وتعبر الاودية العميقة

طرق فلسطين العادية ان الكلمة العبرانية المستعملة لطريق تعني الممرّ المطروق انشأته ارجل الناس والبهائم وهذه الكلمة تنطبق على معظم طرق فلسطين اليوم ويفهم منها السائح الفلسطيني الخبير انها في اكثر الاحوال سبيل ضيق تنتشر عليه الحجارة ويعجب دائماً ان حصانه او بغلة قادر من غير مصيبة ان يسير ساعة بعد اخرى فوق جثوات الحجارة الخشنة

ويمتد الطريق اوقاتاً فوق سفح جبل منحدر حيثما الحيوان ملزوم ان

برفع نفسهُ وراكبهُ فوق الدرجات الصخرية من قدم الى قدمين او ان يحفظ نفسهُ من السقوط بحذاقة عجيبة على جانب منحدر من صخر زلق . وكثيرًا ما يعثر الحصان بين الحجارة المنتشرة بينما هو يجاهد في السواقي الجبلية السريعة ويضطر السائح اوقاتًا ان يستوي على ظهر حصانهِ المجاهد ويسبح في المخاوض التي يصل ماؤُها الى ظهر حصانهِ

البرهان على ان العبرانيين فتحوا الطرق ان ما يأتي يشير الى ان بناء الطرق لم يكن مجهولاً بالكلية عند العبرانيين القدماء . ان في العبرانية كلمة اخرى تطلق على الطريق ومعناها حرفيًا طريق معدَّة وفي سفر القضاة ٢٠ اشارة الى الطرق السلطانية بين بيت ايل وجبعة وفي ١ صم ٦: ١٢ اشارة عَرَضية الى الطريق الممتدة من المدينة الفلسطينية عقرون صاعدة الى وادي الصرار نحو اورشليم . وفي هذهِ الطريق سار تابوت العهد محمولاً على عربة تجرُّها بقرتان . والقصة القديمة تشير الى وعورة الطريق ويتضح من سفر الملوك الاول ص ١٢ انهُ كان في ايام المملكة المتحدة سكة سلطانية للعربات بين نابلس واورشليم . ونتعلم من ٢ مل ص ٧ انهُ كان في ايام المملكة الشمالية طريق بين دمشق والسامرة . عليها سارت عربات الاراميين . والعربات الملكية صارت دارجة في اسرائيل منذ عهد الملك داود (١ مل ١: ٥)

وهذا لا يبرهن على وجود السكك السلطانية العظيمة كالسكك التي انشأَها الرومانيون لان اليهوذيين القدماء كانوا قادرين على سوق المركبات في الطرق التي يظهر للغربي انهُ لا يمكن ان يسير فيها . ولكنها تبين بداءة نشاء الطرق تحت رعاية الملوك على الارجح . والاسرائيليون حسب الظاهر ورثوا عن الكنعانيين الراقين كثيرًا في التمدن بعض السكك المطروقة وبعض المعرفة في فن" انشاء الطرق

طرق مصر الاربع تمتد اربع طرق عظيمة الى الشرق من وادي النيل . الاولى في اقصى الشمال التي كانت تدعى " طريق ارض الفلسطينيين

(خر ١٢: ١٧) تبدأ في الطرف الشمالي لذلتا النيل وتمرّ شمالي بحيرة المنزلة ومن هناك تمتد الى قرب شاطىء البحر المتوسط على بعد بضعة اميال في وسط رفح الى غزة . وهناك تتصل بطريق الساحل العظيمة شمالاً والطرق الموضعية التي تمرّ في قلب فلسطين

والطريق الثانية تدعى "طريق شور" (تك ١٦ : ٧ واصم ١٥: ٧) ويظهر انها كانت اولاً تمرّ في وادي طوميلات الحالية ومن هناك تدور شمالاً الى طرف بحيرة المنزلة الجنوبي وانها كانت ممتدة الى الحصن المصري في تارو المعروف اليوم بتل ابي سافي ويمكن ان تارو هي نفس كلمة شور التي تظهر في الاسم العبراني لهذهِ السكة السلطانية

ومن هذا الموضع تمتد هذهِ الطريق باستقامة تقريبًا عابرة برية بئر سبع غير المستوية ومن ثم الى وادي السبع ووادي الخليل الى حبرون

والطريق الثالثة تبدأ من طرق وادي طوميلات الشرقي وتمتد نحو الشرق تقريباً حتى تعبر العريش وبدور حينئذٍ فرع منها نحو الشمال الشرقي عابرًا رحوبوت القديمة ليتصل بالطريق الثانية عند بئر سبع. والفرع الآخر يمتد شرقًا و يعبر العربة الى بترا (وادي موسى) ومن ثم يعبر صحراء بلاد العرب الى بلاد بابل

والطريق الرابعة تبدأ من وادي طوميلات ومن هناك تمرّ بالبحيرات المرّة باستقامة عابرة طرق شبه جزيرة سيناء الشمالي الى ايلة القديمة عند طرف ذراع البحر الاحمر الشمالي الشرقي

المسالك من الجنوب الى فلسطين تمتد خمسة مسالك من الجنوب الى فلسطين احدها مسلك البحر الاحمر يبدأ من ايلة و يمتد الى الشمال الغربي حتى يتصل عند عبورهِ بالطريق الثالثة المصرية التي تمتد الى الشمال الشرقي الى بئر سبع وحبرون والثاني الذي هو اصعب واقل استعمالاً المسلك الذي يمتد باستقامة الى الشمال من ايلة في وسط العربة الى طرف البحر الميت الجنوبي

الغربي . ومن ثم يتمكن السائح من التدرج الى اورشليم في العطفة الغربية في وسط الفوقى وحبرون او يبقى ملازماً لشاطئ البحر الميت وحينئذٍ يدور الى الداخلية عند عين جدي

والمسلك الثالث يبدأُ من ايلة ماراً بالصحراء الى بترا قصبة الادوميين القديمة التي صارت بعد هذا قصبة النبطيين ومن هناك يتمكن السائح بحمل وما يكفيهِ من الماء ان يعبر العربة وقلب البلاد الجنوبية متجهاً نحو الشمال الغربي الى بئر سبع

السكة السلطانية في وسط موآب ان الطريق الرابعة تمتد باستقامة شمالاً من بترا مارة فوق المضايق العميقة والطرق الحجرية في وسط شوبك والطفيلة والكرك الى الشمال باستقامة نحو ١٨ ميلاً شرقي البحر الميت وهذهِ كانت السكة الرئيسية في وسط موآب وتمتد شمالاً مارة بالمدينتين الموآبيتين المشهورتين ديبون وميدبة. وفرع منها عند حشبون مقابل طرف البحر الميت الشمالي يدور غرباً الى مخاضة الاردن السفلى بينما الطريق الرئيسية تمتد شمالاً على جانب الاردن الشرقي حتى تتصل بطريق دمشق جنوبي بحر الجليل . ويدور فرع آخر مهمٌ عند حشبون الى الشمال الشرقي ويمرّ في ربة عمون ويتصل بطريق الصحراء الى دمشق. وانشأ الرومانيون بعد هذا طريقاً عظيمة من ربة عمون الى بترا ليجمعوا مدن طرف الاردن الشرقي تابعين السكة السلطانية القديمة في قلب موآب والاحجار الدالة على الاميال وخرق الصخور العظيمة وانقاض الجسور الحجرية والتبليط اميالاً عديدة كل هذا لم يزل شاهداً لمقدرة رومية في القطائع البعيدة حتى في عصر انحطاط الامبراطورية

السكة السلطانية العظيمة في الصحراء ان السكة السلطانية الرئيسية من الجنوب الى الشمال كانت طريق الحج الحاضرة من دمشق الى مكة التي عليها تمتد الآن السكة الحديدية الحجازية الحديثة . وهذهِ الطريق كانت حلقة الاتصال الرئيسية بين بلاد العرب واراضي البحر المتوسط الشرقي

ولكنها تدور دورة واسعة غربًا لتصل الى مرفإ ايلة وحينئذٍ تدور الى الشمال الشرقي من بترا وتمتد في مرتفع الصحراء بين ٣٠ و٤٠ ميلاً شرقي الاردن ووادي البحر الميت وتعبر الصحراء الجافة المكشوفة المنتشرة فيهـــا في محالّ كثيرة انقاض الصخور السوداء الحورانية. وهي مثل طرق الصحراء تمدد فوق السهول الحارة لا تحصرها الحقول ولا المعابر الجبلية والمحطات ليست الاّ مواضع للوقوف للسياح والتجار لانها تجتنب في كل مكان الارض المزروعة ما عدا محلّ مرورها فرعها الغربي في قلب حوران في طريقها الى دمشق. وهي هنا تمتد ملاصقة المدينتين المهمتين اذرعي الحصن المشهور على يرموق العالي وعشتروث قرنايم. واحد فروعها شمالي شرقي ربّة عمون ينحرف للشمال الشرقي ويمرّ في بصرى مدينة الصحراء. ومن ثم يتاخم جانب اللجاة الشرقي ويصل الى دمشق. وتمتد طريق قوافل من اذرعي وبصرى الى الجنوب الشرقي الى دومة القديمة دومة الجندل الحاضرة ومن هناك الى جرعاء تيماء

صفة مداخل فلسطين الجنوبية الامر الخطير ان المداخل الرئيسية لارض غربي الاردن من الجنوب ليس من البلاد الجنوبية بل من موآب. ان الطرق التي توصل رأسًا الى اليهودية تحرفها سلسلة جبال البلاد الجنوبية (السلسلة الجرداء الكالحة) اما الى بئر سبع في الجنوب الغربي او الى العربة في الجنوب الشرقي. والطرق نفسها تمتدّ في البلاد الجافة البريّة التي يغشاها البدو ويستحيل على القبائل الكبيرة او الجيوش ان تسير عليها. واحدى سكتي الاردن الشرقي التي في قلب موآب تمرّ في جبال منحدرة وتنزل في اودية عميقة. وكانت تمتد قديمًا في منطقة مكتظة بالسكان محمية تمام الحماية. والسكة السلطانية العظيمة السهلة تمتد على حدود الصحراء. وعلى الارجح سار على هذه السكة اكثر غزاة الجنوب ودخلوا الى ارض الاردن الغربي

الطريق الساحلية ان اربعًا من السكك السلطانية الرئيسية في فلسطين الغربية المتصلة بالطرق الناشطة (مطلبات الطرق) تمتد من

الجنوب الى سورية الشمالية وشرقاً الى اشور وبابل والاولى كانت الطريق الساحلية المستقيمة التي وصلت مصر بفلسطين واسية الصغرى . وفي امتدادها ظلت ملاصقة للبحر ولكنها في بلاد فلسطين اضطرت الى الدخول الى الداخلية بسبب الرمال المتكومة . وبواسطة الرصيف الصناعي دارت حول طرف جبل الكرمل وتقدمت شمالاً في سهل عكا فوق سلم الهاب صور الصعبة الى سهول فينيقية ثمَّ امتدَّت في الطريق المكشوفة مارَّة ببيروت حتى وصلت الى ممرّ نهر الكلب الصعب

وهناك الكتابات المحفورة والنقوش على الصخور تشير الى انهُ ليس من ايام رعمسيس الثاني قد مرَّ الفاتحون العظامُ القدماء في طريق الامم هذهِ بل ان كثيرين منهم قد اشتركوا في فتح الطريق في هذهِ الالهاب الصعبة

طريق البحر ان السكة الثانية العظيمة الشمالية المعروفة "بڤيا مارس" الرومانيين تتشعب من الطريق الساحلية عند اشدود او يافا وتمتد في سهل شارون الشرقي بقرب تلال السامرة

وبقرب الموضع الذي فيهِ تتصل بالطريق المهمة التي تنزل من وادي الشعير من نابلس والسامرة تنقسم هذهِ السكة العظيمة الى ثلاثة فروع الواحد يمتد الى الشمال في جانب جبل الكرمل الشرقي والشمالي ويتصل بالطريق الساحلية وآخر وهو الاصلي حسب الظاهر يدور الى الشمال الشرقي ويمرّ في وادي عرا ويبرز في سهل مرج ابن عامر بجانب حصن مجدوّ القديم الشهير. ومن هنا يمتدّ باستقامة في السهل مارًا بجبل الطور (طابور) في وسط لوبيا وينزل في المنزلة (النزلة) المنحدرة من النجد الى طرف بحر الجليل الشمالي الغربي . وبما ان اراضي سهل مرج ابن عامر لينة لزجة فلا تُعبَر شتاءً وربيعاً فالقوافل والجيوش تسير في الفرع الثالث من سهل شارون الذي يمتدّ اولاً معظمهُ نحو الشرق في سهل دوثان ويمرّ بمدينة الكنعانيين القديمة يبلعام ومن ثم يعبر سهل مرج ابن عامر عند زرعين ويتصل بالطريق المستقيمة التي تمرّ

بجبل الطور الى بحر الجليل

ومن طرف بحر الجليل الشمالي الغربي طريق البحر هذه المطروقة تصعد على المرتفعات الى الشمال وتعبر الاردن تحت بحيرة الحولة قليلاً عند المخاضة التي عليها الجسر الحجري المعروف بجسر بنات يعقوب . ومن الاردن يتبع الطريق خطًّا مستقيمًا تقريبًا الى الشمال الغربي مارًّا بالقنيطرة في الجولان الشرقي عابرًا الصحراء الى دمشق

اهميتها التجارية والحربية ان فرعًا من هذه السكة السلطانية حيث تقطع الاردن يمتد غربًا في الوادي بين الجليل الاعلى والاسفل الى عكا القديمة فرضة دمشق الخاصة . وهكذا مرّت تجارة دمشق والعالم المقفر بطرق الجليل وانصبّت في عكا

وهذه السكة السلطانية الثانية لسورية تمتد معظمها في صحارى واسعة وسهول مكشوفة وهي كانت الطريق الرئيسية في قلب مملكة اسرائيل الشمالية التي فيها سار ليس التجار فقط بل الجيوش المنتصرة ايضًا جيوش بابل واشور

الطريق المتوسطة وطرقها الناشطة (المصلبات) في الجنوب ان السكة السلطانية الثالثة العظيمة الشمالية كانت متصلة بمصر والجنوب بواسطة طريق بئر سبع . وهي تمتد بقرب ظهر اليهودية المتوسطة في طريق العربات الحديثة من حبرون الى اورشليم وتمتد مارة ببيت صور وبيت زكريا المشهورتين في الحرب المكابية ومن بيت صور تنحرف طريق سلطانية مهمة الى الشمال الغربي تابعة وادي الصور وجانب الارض الشرقي الى وادي عجلون على تخوم سهل فلسطين . ومن اورشليم تمتد عدة طرق في الاودية الى الغرب والشمال الغربي وتتصل بالسكك السلطانية في سهل شارون . والرئيسية منها تمتد الى الشمال الغربي مارة بجبعون في المنزلة المنحدرة الى بيت حورون العليا والسفلى الى يافا . وغيرها تمتد الى ابعد من هذا الى الشمال الغربي الى جفنة لتتصل بالسكة الثانية العظيمة عند انتيباتريس

في الشمال ان الطريق السلطانية المهمة تستمرّ على امتدادها رأساً للشمال من اورشليم الى نابلس ومن ثم تدور قليلاً الى الشمال الغربي مارة في مدينة السامرة في وسط السهول المكشوفة الى يبلعام حينما تتصل بالفرع الشرقي الى طريق البحر الشهيرة التي تمتد في الطرف الشمالي الغربي طرف بحر الجليل الى دمشق . وفرع من الطريق المتوسطة يدور مقابل جبل جرزيم الى الشمال الشرقي ويمتدّ في ناباص وبيسان وجانب بحر الجليل الغربي . وتمتد بقية من السكة السلطانية المتوسطة الى الشمال في الجليل المتوسطة في وادي مرجعيون الى الوادي العظيم بين جبل لبنان والجبل الشرقي ومن هناك تستمر هذهِ السكة في ربلة وحماة عابرة الفرات الاعلى عند كركميش . واذ تدور شرقاً في هذا الموضع تمرّ في الجزيرة (ما بين النهرين) الشمالية مارة بحاران والسهول المستوية بين دجلة والفرات الى نينوى وبابل وعلى هذهِ السكة السلطانية العريضة سار المتصرون الاشوريون والبابليون مراراً ليغزوا فلسطين وبعد هذا اسروا العبرانيين من مملكتي اسرائيل ويهوذا

طريق الاردن ان السكة الرابعة الرئيسية في الشمال تخرج من اورشليم وتمتد الى الشمال الشرقي في برية اليهودية الجرداء الجذابة الى اريحا . ومن ثمّ تتبع جانب وادي الاردن الغربي وبحر الجليل الى خان منيه حينما تتحد الطرق العظيمة الاخرى التي تمتد الى سورية الشمالية ودمشق . ومن هذهِ السكة الرابعة عدة طرق ناشطة تمتد شرقاً وغرباً فمن اريحا تمتد طريق غربية في وادي سوَينيت الى مخماس ومن ثم تقطع بلاد السامرة الجنوبية الغربية واذا ابتعدت الى الشمال ترى اربع طرق اخرى تمتد من سهل الاردن الى نابلس ومن ثمّ بواسطة وادي الشعير الى سهل شارون. والطريق الممتدة الى الشمال في بيسان تقاطعها سكة اخرى تمتد من جلعاد غرباً في سهل زرعين. وهناك تقطع سكة جانب سهل مرج ابن عامر الشمالي الغربي وتصل الى الطريق

الساحلية العظيمة في حيفا وعكا . ومن طرف بحر الجليل الجنوبي الغربي تمتد طريق اخرى مهمة في سهل اسوفس الى عكا . ومن وادي الاردن الاعلى تمتد سكة الى الشمال الشرقي في دان القديمة وبانياس على حضيض جبل الشيخ الشرقي الى دمشق

الطرق شرقي الاردن تمتد من دمشق طريق قوافل عظيمة الى جهة الشرق وتمرّ في طرف الصحراء العربية الشمالي وتصل الى الفرات بقرب سفّار ثم تدور جنوباً الى بابل ومدن بلاد بابل السفلى

وبعد هذا اشتهرت طريق اخرى كانت على الارجح مستعملة في العصر الاشوري البابلي جعلت دائرة كبيرة الى الشمال ووصلت الى تدمر ومحطات اخرى في الصحراء فلذلك كانت فلسطين ولاسيما سهل مرج ابن عامر المتوسط بؤرة السكك السلطانية العظيمة التي ربطت كل مواضع العالم القديم بعضها ببعض

السكة من انطاكية الى افسس ان السكة الاصلية الممتدة على شاطئ البحر المتوسط الشرقي مرّت في جبال أمانُس في ابواب سورية (بيلان) بقرب شمالي انطاكية . وفي هذا الموضع يمتد فرع منها شمالاً ليتصل بالطرق التجارية العظيمة التي تأتي من بلاد بابل والشرق . ومع هذا فالطريق الاصلية شرقاً بعد ان تصل الى اسكندورنة تدور حول الطرف الشرقي طرف البحر المتوسط حينما تتصل باعظم الطرق التجارية التي تاتي من وادي الفرات . وبعد ان تمرّ بطرسوس تدور حالاً نحو الشمال تقريباً وتعبر جبال طرسوس بواسطة ممر كيليكية وحينئذٍ بعد كثير من التلويّ والالتفاف تمتد غرباً وتتبع بالاجمال الخط الفاصل بين نجد اسية الصغرى المتوسط والجبال الجنوبية الوعرة . وعند كيبسترا تتشعب فالفرع الشمالي يعبر النجد باستقامة الى لاودوكية والفرع الجنوبي والاكثر استعمالاً يكوّن دائرة كبيرة في مدينتي دربة وقونية المهمتين وعند جوليا الى الشمال الغربي تنفصل السكة الغربية العظيمة

ثانية ولكن فرعًا اصليًا يمتد في الجهة الجنوبية الغربية في اباميا وكولوسي ومن ثمَّ في الوادي العريض المخصب وادي نهر مياندر الى افسس المدينة التجارية التي صارت بعدئذٍ قصبة اسية الصغرى السياسية. واما السكة الاكثر استقامة والاقل استعمالاً فتمتد في وادي كايستر الى افسس

الطريق من اسية الصغرى الى رومية ان الفرع العظيم الآخر فرع السكة الاصلية من جوليا غربًا كان الطريق البرية الى رومية. هذهِ تمتدُّ اولاً نحو الشرق وفرعان مهمان ينزلان من دوريلاين في الشمال يصلانها بنيقية والاستانة. والطريق البرية القديمة تمتدُّ شرقًا في فلادلفيا وساردس ومن ساردس يمتد فرع باستقامة الى ازمير مناظرة افسس في التجارة. ومع هذا فالطريق الاصلية تدور الى الشمال الغربي من ساردس مارَّة بثياتيرا وبرغامس قصبة بر الاناضول القديمة الى ترواس. ومن هناك يقدر المسافران بحر الى نيابوليس وفيلبي. وتمتد سكة اخرى شمالاً عابرة الدردنيل ومن ثمَّ تمرُّ في ثراكيا الجنوبية الى فيلبي

ومن هذا الموضع تمتد "ڤيا اجنيتا" العظيمة نحو الغرب في تسالونيكية وبلاً الى اڤلونا ودبراكيوم

ومن هذهِ الثغور الادرياتيكية يسافر السائح سفرة صغيرة في البحر فيصل الى برندزي حيثما يجد سكة مطروقة تمتد باستقامة في ايطالية الجنوبية الى ان تصل الى رومية. وهذهِ الطريق الشاقة الطويلة في اوربة الجنوبية واسية الصغرى المتوسطة كانت السكة الاصلية للسياحة والتجارة والمواصلات القانونية بين رومية وقطائعها الشرقية

من افسس الى رومية ان السياح الذين يفضلون قِصَر السفر برًا وطوله بحرًا يسافرون بحرًا من افسس الى كورنثوس حيث يعبرون البرزخ برًا ويسافرون في فلك يسير امام شواطىء ابيروس ويوصلهم الى برندزي. واذا فضلوا ان يسافروا سفرة بحرية اطول يأخذون سفينًا في افسس يقلهم

حول طرف اغريقية الجنوبي و يوصلهم الى برندزي والاَّ فيسيرون في مضايق مسينا ومن هناك الى بوطيولي او الى اوستيا فرضة رومية نفسها

من سورية الى رومية بحراً ان السياح او التجار الذين يحبون ان يسافروا من فلسطين بحراً امامهم طريقان

ان السفر الاكثر شيوعاً ان يسافروا بحراً من احد ثغور سورية كقيصرية او عكا او صور او صيدا فيمرون بسواحل سورية واسية الصغرى الى رودس ويصيبون ثغراً كل ليلة اذا ارادوا او يضطرون ان يفعلوا هذا اذا كانت الريح غير موافقة والسفر العادي من رودس ان تسافر الى طرق كريت الشرقي ومن ثمَّ تمرُّ بشواطئها الجنوبية حيث تجد الثغور الصالحة. وكان التجارة القدماء يسافرون من طرف كريت الغربي على محاذاة شواطئ اغريقية الجنوبية ومن هناك يسافرون بمساعدة الريح الشمالية التي يوصلها البحر الادرياتيكي فيصلون الى مسينا ومن هنا يقلعون الى بوطيولي او الى مصب التيبر

من الاسكندرية الى رومية ان الطريقة الثانية للوصول الى رومية من سورية بحراً كانت عن طريق الاسكندرية التي يقدر المسافر ان يصل اليها بحراً بمركب شراعي او براً في الطريق الساحلية. ومن ثغور مصر العظيمة هذه في العصر الروماني كانت تجر السفن الكبيرة الشراعية (اساطيل) حاملة الحبوب الى رومية. قال المؤرخ اللاتيني فجيتيوس ان الفصل الموافق للسفر في البحر المتوسط هو من العاشر من اذار الى العاشر من تشرين الثاني ومع هذا فالفصل الموافق كان في الاشهر الاربعة القصيرة من السادس والعشرين من شهر ايار الى الرابع عشر من ايلول

ان الرياح الموسمية (الاتيزية) الشهيرة تهب حول العشرين من تموز الى آخر آب عادة من غير انقطاع من الغرب وهذه الرياح تمكن اساطيل السفن المسافرة الى الشرق ان تسافر من رومية الى الاسكندرية في مدة ٢٠ الى ٢٥ يوماً كان يحسبها القدماء مدة قصيرة عجيبة واما السفر الى الغرب

فكان اصعب . وبسبب الرياح الغربية السائدة كان التجارة مضطرين ان يعبروا البحر المتوسط الى احد المواضع في شواطئ اسية الصغرى الجنوبية ومن هناك يسيرون غرباً من مرفإٍ الى مرفإٍ على طول الطريق العادية على جانب كريت واغريقية الجنوبي

اهمية السكك العظيمة في هذهِ السكك العظيمة في البحر المتوسط وحوله سار تمدن العالم القديم وانتشر الى اطراف الارض. وعليها سار اليهود المنفيون في رحيلهم الغربي. وفي بداءة العصر المسيحي وُجدت المستعمرات اليهودية وجماهير من المتهودين في كل المدن التي تصل اليها هذهِ السكك شرايين التجارة . وعلى هذهِ السكك سارت الجيوش وحضارة الغرب لفتح الشرق . وعليها سارت تصورات الشرق ومذاهبه لفتح الغرب . لذلك كانت هي الروابط الطبيعية التي ربطت السلالة البشرية في أُخوَّة واحدة عامة

القسم الثاني

الجغرافية التاريخية

الفصل العاشر

فلسطين القديمة :

غرض الجغرافية التاريخية وقيمتها ان الجغرافية التاريخية تبحث اولاً عن مسببات التاريخ اكثر مما تبحث عن الحقائق التاريخية نفسها بالتفصيل. وتقصد ان تذهب الى ما قبل الحوادث وتدرس الافعال الطبيعية واسبابها. ان الناس الاولين كانوا يتأثرون من القوى الطبيعية حولهم اكثر من السلالات المتمدنة . والناس الحديثون قادرون بمساعدة الفن والعلم ان يصيروا اعظم من ان تؤثر فيهم العوامل الطبيعية فلذلك ان معرفة القوى الطبيعية العاملة في التاريخ الفلسطيني لها قيمة خاصة في تذكيرنا بهذا الزمن المعروف قليلاً الزمن الذي يبحث عن حياة السلالة

مصادر المعرفة بشأن فلسطين الاولى ان الاكتشافات في آخر القرن الماضي قد اظهرت بطريقة عجيبة ملخص تاريخ الولايات الاول على الاقل الواقعة على شاطىء البحر المتوسط الشرقي والاشارات الكتابية القليلة قد أضيفت اليها الشهادة المعاصرة شهادة الآثار البابلية والمصرية لان المقدمات البابلية

في ذلك العصر القديم كانت غير كاملة اذ كانت محصورة بانباء بعض المتصرين الأول كلو جالزاجيزي وسرجون الاول الذين حلوا على البلاد الغربية. وبما ان الانباء مؤرخة في السنة ١٦٠٠ ق . م فهي تمثل احوال سورية وفلسطين في كثير من الحوادث بالتفصيل . لان توتمس الثالث الذي ملك بين ١٤٧٩ و١٤٤٧ ق . م قد دوّن انباء محاربتهِ وانتصاراتهِ في الاراضي شرقي البحر المتوسط ومن انبائهِ المنقوشة على جدران هيكل الكرنك العظيم علمنا انهُ افتتح ٢٨٠ مدينة منها ١١٩ في فلسطين ومن ملك احد خلفائهِ امنهوتب الرابع ملك مصر المصلح العظيم قد حصلنا على مجموع مكاتيب تل العمرنة وهذهِ قد اكتشفت في الانقاض على جانب النيل الشرقي على بعد ١٧٠ ميلاً جنوبي القاهرة وقد اكتشف نحو ٣٠٠ من هذهِ الالواح المخططة باللغة البابلية وهي تمثل المنابأة بين امنهوتب الرابع وخلفائهِ وبين ملوك بابل واشور ومتاني ولاسيما الولاة المصريين في فلسطين

شهادة الآثار ان الاكتشافات الحديثة في فلسطين عند مدينة لخيش القديمة وعند جازر في الساحل وعند تعنك ومجدّو على الجانب الجنوبي الغربي من سهل مرج ابن عامر وعند اريحا في وادي الاردن قد زادت معرفتنا زيادة عظيمة في فلسطين القديمة. لان معظم الكتابات والآثار القديمة التي ظهرت في هذهِ المواضع هي من العصر السابق للعصر العبراني واعظمها ما اكتشف في خرَب جازر بعناية جمعية البحث والتنقيب الفلسطينية وهذهِ افادتنا افادات ثمينة باسباب اكثر من سواها

جازر المدينة القديمة قائمة على حدود بلاد فلسطين على الخط بين اليهودية واسرائيل الشمالية . بنيت على احدى الآكام التي تمتد الى السهل ما وراء وادي عجلون وبينما هي تابعة للبلاد الجبلية كان يحيطها كلها تقريباً السهل وكانت معرَّضة لكل التأثيرات التي تؤثر في مدن البحر المتوسط الساحلية والمدينة الاصلية قائمة على تلين الواحد في الشرق والاخر في الغرب وتمتد في الوادي

المتوسط القريب الغور

وقد اكتشف المنقبون هنالك اربع مدن او خمساً بُنيت بالتتابع الواحدة فوق الاخرى

اقدم سكان فلسطين ان الآثار التي اكتشفت في طبقات تل جازر السفلى قد عرّفتنا باقدم سكان فلسطين الذين كانوا على الارجح تابعين للعصر الصوّاني . ولسلالة ليست سامية وقد ظهر من العظام التي اكتشفت انهم كانوا قصار القامة معدل طولهم من خمس اقدام واربع اصابع الى خمس اقدام وسبع اصابع وانهم كانوا قد بدأوا يحرثون الارض ويصنعون الادوات الصوانية البسيطة وانهم كانوا يقتنون البقر والخنازير والغنم والمعزى . وقد كشف في بعض الكهوف المحفورة في ذلك العصر وقبلهُ ان السكان حاولوا ان يصوّروا تلك الحيوانات وكانوا يصنعون خزفهم بايديهم دون دولاب ويزينونهُ بخطوط حمراء وبيضاء وكان يحيط بمدينتهم القديمة سور ترابي ثخنهُ عشر اقدام وجههُ من الداخل والخارج مبني من الحجر . واختيرت جازر لتكون موضع مدينة قديمة لانهُ كان حولها عدة كهوف مساكن هؤلاء السكان الاولين وكانوا يعبدون حسب الظاهر آلهة تسكن تحت الارض لعلاقتها بالكهوف المقدسة ووجد خارج مدخل هذهِ الكهوف عند جازر اكثر من ثمانين نقرة على شبه الكأس في الصخر كانت تستخدم على الارجح للذبائح

الغزو السامي من الصحراء ولما كانت كنعان قائمة على تخوم الصحراء كانت عرضة بالطبع لغزوات القبائل الرحّل الذين كانوا يتدفقون عليها تدفق الموج فيدخلون اوديتها العريضة وسهولها الساحلية . ومما علمناهُ من آثار جازر وشهادة الكتابات المصرية نعلم تماماً ان هذا ما حصل في محل ما بين ٢٥٠٠ و٢٠٠٠ ق . م ولا شك ان الساميين دخلوا فلسطين قبل هذا العصر ولكنهُ يتضح من المكتشفات الحديثة ان هذهِ الحركة العظيمة من الصحراء الى شواطىء البحر المتوسط الشرقية سبقت عدة قرون حركة مماثلة لها نحو

الشرق حملت من سورية او بلاد العرب الشمالية الى بابل موسسي سلالة ملوكها الاولى وملك هذهِ السلالة يجب ان يؤرخ حسب الاكتشافات الاخيرة بين ٢١٠٠ و ١٧٠٠ ق ٠ م

وتبين آثار جازر وجود سلالة سامية في ذلك العصر طول الواحد منهم خمس اقدام وسبع اصابع الى خمس اقدام واحدى عشر اصبعاً كانوا اقوى واشدّ من السكان الاصليين السابقين وكانوا بالنسبة اليهم مرتقين ارتقاء يذكر وكان يحيط بالمدينة سور ثخنهُ عشر اقدام مبنيّ من الحجارة الكبيرة تحرسهُ الابراج وكلاهما من الحجارة المنحوتة وكانت المسافة بين البرج والآخر ٩٠ قدماً

وكان يدخل الى المدينة من الجنوب من بوابة هائلة عرضها تسع اقدام وعلوها ٤٢ قدماً وعلى جانبيها برجان وجهاهما مبنيان من الآجرّ غير المشوي ومن الادوات النحاسية والشبهانية التي اكتشفت لنا براهين عديدة على ان سكان البلاد كانوا متمدنين تمدناً يذكر

تأثير التمدن الاموري الاول في بابل ان ما كتبهُ الاستاذ كلاي في كتابهِ (الاموري) قد اعاد البحث في مسألة التمدن الاموري الاقدم وما حاول بعض العلماء ان يثبتوهُ ان تمدن الامم السامية وعاداتهم ودياناتهم اصلها بابلي قد ثبت اليوم انهُ غير الواقع. والبراهين تزداد على ان تمدن سورية الاول أثر في بابل اكثر من تمدن بابل في سورية وكثير من العادات البابلية تشير الى ان اصلها سوري لان اكثر من عشر الاسماء في الكتب البابلية من زمن حمورابي اعظم ملوك السلالة الاولى البابلية هو من اصل اموري او سامي سوري. واكثر آلهة البابليين وصفاتها تفهم اكثر اذا نسبناها الى مصدر سوري . وعادة البابليين في بناء المرتفعات (زغرات) لآلهتهم في سهول بابل يظهر انها مقتبسة عن السوريين الذين كانوا يعبدون آلهتهم على المرتفعات الطبيعية وزد على هذا ان سورية كانت اصلاً موطن عبادة الشمس التي اشتهرت جداً بين البابليين

موضع اقدم تمدن سامي على ما يُرجح ان الاشارات المتعددة الى الاموريين في التاريخ القديم المصري والعبراني تشير الى انهم انشأُوا تمدنًا قديمًا راقيًا ويظهر ان مركز قوتهم الاصلي كان في سورية المتوسطة ولاسيما في السهول المتسعة الخصيبة البقاع بين لبنان والجبل الشرقي التي ترويها مياه نهر العاصي العليا. ومن المحقق انهُ كانت هنالك الاحوال جغرافيًا موافقة تمام الموافقة لحضارة قوية قديمة . وكان الهواء حارًا على انهُ منشّط والتربة مخصبة يسهل حرثها والجبال العالية على الجانبين كانت حصنًا طبيعيًا لها ومع هذا لم تقدر ان تمنع هجمات غزاة العرب المتعددة كاسلاف الاموريين من الصحراء المجاورة وكانت الاتصالات سهلة في كل جهة. وفي هذا السهل العظيم امتدت السكك السلطانية التجارية من الشمال الى الجنوب والشرق والغرب وكانت الفرصة سانحة للتوسع من كل جانب وظهور الاموريين في فلسطين وفي محلات أُخر على سواحل البحر المتوسط الشرقي يفهم جيدًا اذا كان موطن تمدنهم الاول سورية المتوسطة اي البقاع

بقايا التمدن الاموري القديم ان الاكام الكبيرة التي هي من غير شك بقايا المدن الامورية القديمة ترصع السهل المتسع بين لبنان والجبل الشرقي وهذهِ التلال لم يمسها للان معول المنقب وهذهِ هي وحدها قادرة ان تنبئ عن التمدن الاموريّ القديم وصفتهِ وتاريخهِ . وهذهِ الاكام كثيرة في الارض السامية تعدُ المنقبين بالخير العميم ولم تزل هياكل الشمس النفيسة باقية على مرتفعات الجبال المجاورة . وهذهِ الهياكل التي ربما شادها الفينيقيون بعد هذا كانت قائمة لاشك في مواضع مقادس الاموريين القدماء . والشمس كما في القديم عندما تشرق وترسل اشعتها الاولى في ممر جبليّ عالٍ تشعُّ في باب الهيكل المفتوح وتنير المذبح داخلاً . وخرَب هيكل بعلبك العظيم القائم في السهل لم تزل من عجائب العالم ومع ان هذا الهيكل المتسع بني موخرًا في العصر الروماني يشهد لخصب الوادي الواسع الذي هو فيهِ وللعادات

الدينية التي تنسب الى هذا الصقع المحبوب الذي كان مقاماً مقدساً من القديم

التأثير البابلي في فلسطين واذا سلمنا ان اصل التمدن السامي القديم في وادي الفرات يمكن ان يظهر لنور الاحافير المستقبلة أنه سوري . ولاشك انهُ من ايام حمورابي نحو ١٩٠٠ ق . م كان لبابل تأثير عظيم في سورية وفلسطين . والاشارات المتوالية في الكتب التي جاءت من الملك حمورابي الى الحكام والمهاجرين الاموريين تظهر كم كانت العلاقات متصلة بين الارض الغربية (سورية) وبين وادي دجلة والفرات . وحمورابي في احدى كتاباته المكتشفة حديثاً يدعو نفسهُ "ملك الاموريين" واللغة البابلية وطريقة كتابتها كان يستعملها في فلسطين مؤخراً الى القرن الرابع عشر ق . م الولاة المصريون في سورية وفلسطين في المكاتبة مع ملك مصر . وكل المؤلفات والمعارف التي كتبت قبل العصر العبراني واكتشفت في تلال فلسطين كانت مكتوبة بالحروف البابلية وهذهِ الحقائق حجج لا تنقض على قوة ومدة التأثير الذي اثرهُ تمدن بابل الرفيع في الاعصر الخمسة بعد حمورابي في سورية

التأثير المصري في مدن السهل ان الحفر في فلسطين قد اظهر ان التأثير الاعظم كان لمصر اذ اكتشت في جازر الجعلان (الخنافس) من السلالة المصرية الثانية عشرة (بين ٢٠٠٠ و١٧٨٨ ق . م) وظهر ان طريقة الدفن المستعملة في سورية هي ليست نفس الطريقة المستعملة في مصر في نفس العصر . والاحافير في لخيش القديمة وتعنك تبين ان تأثير مصر كان عاماً في كل السواحل والاودية الداخلية المتصلة بالسهول وهذهِ هي الحال التي يتوقعها المرء من العلاقة بين مصر وفلسطين

وتربط هذين القطرين الواحد بالآخر سكتان عظيمتان او ثلاث تمتدّ حول طرف البحر المتوسط الجنوبي الشرقي . ومصر بالنظر الى خصبها واحوالها الطبيعية الموافقة نشرت تمدناً اسمى واقدم مما فعلت فلسطين فلذلك كان لا مناص من ان مدن فلسطين المتوسطة الغربية هذهِ ستقتبس عاجلاً او

آجلاً التمدن القديم

انواع التمدن المتعددة في فلسطين ان الاحافير في مدينة الكنعانيين اريحا بخلاف المدن الكائنة على تخوم السهل الفلسطيني قد اظهرت قليلاً من الاشارات الى التأثير المصري هناك في ذلك العصر القديم حتى ان الموانع الطبيعية (الجبال) التي تفصل اقسام فلسطين المختلفة بعضها من بعض تثبت ان معيشة المدن المتعددة وتمدنها في كل الارض تختلف اختلافاً بيناً لذلك اختلفت انواع التمدن وكانت كل المدن الساحلية القوية السامية التي تحيط بها الاسوار الثخينة حائزة على تمدن ممتزج من تمدن الاموريين والبابليين والمصريين القدماء وآثار تأثير التمدن الميسيني والايجي قد ظهرت في طبقات التلال الصناعية طبقات ذلك العهد القديم وكانت المدن الفينيقية في الشمال تقرب من اوج قوتها. وبين تلال النجد المتوسط لم يزل البدو يرعون مواشيهم دون ان يزعجهم احد ما عدا المدن الكبيرة حيث يضطرون على الارجح ان يؤدوا جزية

الاحوال التي حملت المكسوس (الرعاة) على غزو مصر انه في السنة ١٧٠٠ ق.م حصل تغيير معروف في السياسة في اسية الجنوبية الغربية ونزل الكاسيتيون في بابل من الجبال الى الشمال الشرقي وافتتحوا وادي دجلة والفرات نحو مصبهما وفي نفس الوقت ثبتت بلاد اشور استقلالها وبدأت تؤسس لعظمتها المستقبلة وبعد هذا بقليل نزلت سلالة اريّة (تعرف بالمتاني) من الشمال وتسلطت على سهول ما بين النهرين (الجزيرة) وانشأت هنالك مملكة عظيمة

وهذه المملكة الجديدة وضعف بابل نفسها قد انقذا فلسطين من الغزو الشرقي ومزّقت مصر في ذلك العهد الحروب الاهلية والانشقاقات بين الشرفاء وفي هذه الاحوال الملائمة اتحدت الشعوب السامية في فلسطين وسورية وبلاد العرب ايضاً على الارجح لغزو مصر

حظ الغزاة ان الانباء المصرية لا تخبرنا الاّ القليل لسوء الحظ عن هذا الغزو المكسوسي ومع هذا فالحقيقة ثابتة ان المتمصرين الاسيويين قد تسلطوا على مصر الشمالية نحو قرن حتى بداءة القرن السادس عشر ق . م وكانت اسماؤهم سامية ولما طرد الملوك الثيبيون في الجنوب هؤلاء الغزاة الاجانب اضطر هولاء الى التقهقر الى فلسطين وسورية فتبعهم الملوك الحربيون النشيطون الذين قاموا في هذا العصر الخطير في تاريخ مصر

ووقف القواد المكسوسيون اولاً في شارُوهن مدينة يظن انها كانت في اليهودية الجنوبية وبعد هذا افتتح الملوك المصريون مدن فلسطين وآخراً بعد حرب طويلة نجحوا في افتتاح مدينة قادش القديمة عند بحيرة حمص على نهر العاصي المدينة التي كانت حسب الظاهر مركز الممالك السورية المتحدة

الموضع الطبيعي الوحيد في سورية ليكون مملكة عظيمة ان تاريخ الغزاة الرعاة يكشف حال مملكة الاموريين القديمة (التي يظن انهم احيوها بعد هذا) ويبين ان الوادي العريض بين لبنان والجبل الشرقي الذي كانت قادش مركزه كان فعلياً الصقع الوحيد في سورية الملائم ان يصير مقرّ تمدن عظيم ومملكة كبيرة. ولكون هذا المحل تحيط به السهول الشمالية وتحميه سلاسل الجبال كان يسهل على شعب نشيط فيه ان يمدّوا سلطتهم فعلياً على كل سواحل البحر المتوسط . وبالطبع حينما حانت الفرصة لغزو مصر انتهزوها لان وادي النيل المخصب كان دائماً مطمح انظار الشعوب من الخارج وتاريخ المملكة الحثية المتأخرة التي كانت قصبتها ايضاً في قادش يؤيد هذا القول . واقرب شاهد ما عملته المملكة السلوقية التي كانت قصبتها انطاكية الى الشمال قليلاً والاربع الممالك الوحيدة في التاريخ ممالك البحر المتوسط الشرقي التي استولت على كل هذه البلاد وتاقت الى فتح اكبر نشأت ليس في فلسطين بل في وسط الاحوال الاكثر موافقة في سورية المتوسطة

تاثير الارض في اساليب العبادة الاولى ان احوال فلسطين

الطبيعية الغريبة لم تغير فقط تاريخها تغييرًا عظيمًا بل اثرت ايضًا تأثيرًا عميقًا في ديانة السكان . وصخر فلسطين الكلسي كان ملائمًا جدًا لنقر الكهوف فيه ولم تكن هذهِ الكهوف والسراديب في الصخور مواطن السكان الاولين فقط بل كانت ايضًا لها علاقة قوية باقدم انواع العبادة الدينية وكان تحت مقادس جازر وتعنك القديمة كهوف لها علاقة بالمذهب القديم الذي زها مرة هنالك. والارجح ان الآلهة التي كانت تُعبَد هنا هي آلهة ما تحت الارض. وشهرة الموحى في اديان فلسطين الاولى يمكن ان تعزى الى السهولة التي بها يقدر الكهنة عمدًا ان يخدعوا الشعب الغرير باستخدامهم غرف ما تحت الارض بمهارة. واعظم المجالي الجذابة في فلسطين القنن العالية والصخور المسنَّنة والعيون المتدفقة من سفوح التلال والاشجار الخضراء المباينة في اللون لما وراءها. فكل من هذا كان لهُ مقام سامٍ في مذاهب الكنعانيين الاولى وكانت المحلات العالية او المذابح القديمة المنقورة في الصخر قائمة على المرتفعات تشرف على الاودية والسهول ولم يزل كثير منها للآن بين جبال فلسطين الصخرية . وكانوا يعتبرون ان بعض الصخور المقدسة كانت قائمة بقرب كل مذبح كنعاني قديم حتى في تعنك امام مداخل بيوت السكن. وقد اكتشف تسعة من هذهِ العواميد في دار هيكل جازر وكان في تعنك صفان من هذهِ الاعمدة واهم هذهِ العواميد والمثال الاشد تأثيرًا العمودان الماثلان اللذان يحرسان المصعد الى المرتفع الشهير في بترا. وهذهِ الحجارة المقدسة او العواميد تنعمها شفاه العبَّاد او السكائب التي تسكب عليها وترى الحُفَر غالبًا على رأس العمود او جانبهِ حيثما تقدَّم الذبائح الى الاله الذي كانوا يعتقدون انهُ ساكن داخلهُ . وتحت كل مقدس او بجانبهِ كما الحال في جازر وتعنك كانت عين او بئر يستعملونها ظاهرًا في العبادة. وبجانب هذهِ المقادس القديمة كانت تنمو الاشجار رموز الحياة وسرّ التناسل وكانت تُمثَّل هذهِ الاشجار اوقاتًا بالسواري المقدسة التي اشار اليها كثيرًا الانبياء العبرانيون

تأثير الارض في معتقدات السكان ان الامر الاساسي الباقي هو الذي اثره ُ محيط فلسطين الطبيعي المتنوع في معتقدات سكانها القدماء . وحيثما جعل محيط الارض الوحدة السياسية مستحيلة كان بالضرورة عدة سلالات وممالك مستقلة وكل منها يعبد الله او آلهتهُ الحامية ولذلك صارت مذاهب فلسطين متعددة جداً وصارت عبادة اله واحد الامر المهمّ وهذا مما لم يصل اليه الشعب لولا تأثير القوة القاهرة من الخارج ومذاهب فلسطين المتنوعة كان يوثر فيها ايضاً طبيعة البلاد التي انتشرت فيها تأثيراً عميقاً .

ان آلهة الكنعانيين العائشين في السهول المخصبة كانت اما آلهة الخصب او انها كانت تمثّل مبدأ التناسل السرّي ولذلك صارت عبادتهم طبيعياً شهوانية . والجبال العبوسة لفلسطين المتوسطة والمضايق البركانية المظلمة للاردن والبحر الميت ولدت نوعاً من الدين والعبادة قاسياً لا يلين صارت الضحايا البشرية مظهراً من مظاهره المهمة وهكذا مع انهُ وضعت الاساسات لنوع من التمدن الاعلى فتاريخ فلسطين الديني والسياسي في مدة هذا العصر القديم ما بشر بنظام فائق قدّر لهُ ان يلعب دوراً مهماً في حياة البشر

الفصل الحادي عشر

تسلُّط مصر على فلسطين

اسباب انتصار مصر على فلسطين تسلَّط المصريون على فلسطين نحو السنة ١٥٨٠ ق ٠ م ودام (ما عدا مدتين طويلتين) نحو ثلاثة قرون . ان توتموس الثالث اعظم حربي ومنظم في التاريخ المصري بعد ان حارب ١٥ حربًا بنشاط مدَّ حدود مصر الى الفرات وجعل كل ممالك فلسطين وسورية الصغيرة المناظرة تحت سلطانهِ وسبب نشاطهِ العظيم ليس الشوق فقط الى النصرة والسلب بل لينجيَ مصر من خطر هجوم آخر شبيه بهجوم الرعاة (الهكسوس)

ان حدود مصر الشمالية الشرقية كانت محصنة من عهد قديم جدًّا لانهُ لم يكن بينها وبين مصر حصون طبيعية . وسكان بلاد العرب الشمالية كانوا متفرقين قاصرين عن ان يهددوا سلم مصر ولكن فلسطين وسورية بحقولهما المخصبة وشعبيهما النامي كانتا سبب قلق وخوف لساكني وادي النيل المحبين للسلم

وممالك دجلة والفرات القديمة كانت تشتاق منذ القديم للافتتاح في الغرب وهكذا ابتدأت المعركة العظيمة في القرن السادس عشر ق ٠ م بين مصر وبابل من اجل امتلاك فلسطين

مكان مجدو الحربي المهم كانت مدينة مجدُّو في كل العصر المصري تكسف بهاء غيرها في الاهمية وهي كانت قائمة على جانب سهل مرج ابن عامر الجنوبي الغربي . فيها وقف ملوك سورية وفلسطين المتحدين تجاه توتمس

الثالث وبعد فتح هذا الحصن الحصين صار الملك المصري سيداً لفلسطين وسبب نبل مجدّو وهذا الصيت كان بالنظر الى اهميتها الحربية وقوتها العسكرية وما اكتشف حديثاً من الاحافير كاد لا يبقي شكاً ان هذهِ المدينة الكنعانية الشهيرة هي نفس تل المتسلم الحاضر وهي احد الثلاثة او الاربعة تلال الاكثر اهمية في كل فلسطين وهي قريبة من جبال السامرة ومع هذا فهي قائمة في السهل نجداً مستدبراً هائلاً علوهُ من ٥٠ الى ٧٥ قدماً وهي تشرف فعلاً على كل قسم في سهل مرج ابن عامر حتى الى سهل زرعين نحو الاردن الى ان يصير جبل جلبوع حاجزاً للنظر . وهي ترى مستقيمة في سهل مرج ابن عامر في اعرض مواضعهِ في الاودية التي تتصل بجبل الطور الى بحر الجليل . والى شماليها جبال الجليل الاسفل وهي تشرف في الشمال على سهل عكا والبحر المتوسط من خلال الممر الضيق واماما الى الشمال الشرقي تمتد الطريق المهمة الممتدة الى الشمال الغربي من الاردن . وفلسطين المتوسطة متصلة بالسكة السلطانية على الشاطئ الشمالي . وعلى جانبها الجنوبي الشرقي تمتد السكة السلطانية في وادٍ مخصب عريض من السواحل الجنوبية ومصر الى الشمال الغربي الى دمشق ويمتد منها فرع شمالي في السهل الواسع بين لبنان والجبل الشرقي

قوتها العسكرية ان مدينة مجدّو ليست الا خراباً الآن ولكن جوانبها منحدرة شرقاً وغرباً حتى انهُ يستحيل على خيل العرب القوية ان تصعد الى رأسها من هاتين الجهتين ويصعب على الماشي المتعود التسلق ان يصعد اليها ولكن قطعة منخفضة من الارض تصل هذا التل بجبال السامرة من الغرب فتصيّر الدخول من هذهِ الجهة سهلاً بعض السهولة والاكتشافات الحديثة قد اظهرت قوة هذهِ المدينة الحصينة . كان يحيط بها سور ثخنهُ ٢٨ قدماً تحرسهُ الابراج المتناهية لهُ في القوة

وعلى قمتها ارض مساحتها عدة فدادين محل متسع لشعب كنعاني كبير

قديم لانَّ البيوت لم تكن الا صغيرة جدًّا والشوارع ضيقة والازقة مشتبكة وفي محلات كثيرة تكاد لا تكفي لمرور شخصين بالراحة والبنايات العمومية التي تشتمل على صرح او هيكل كانت امتن واكبر كثيرًا

محاربة توتمس الثالث لمجدّو اذا وقفت على تل مجدّو ليس صعبًا ان تتصور الواقعة العظيمة الفاصلة التي وصفها كتبة توتمس بطلاوة وبالتفصيل

ومما يحملنا على العجب رفضهُ مشورة قواده ِان يتقدم من سهل شارون ثم ينعطف وعزمهُ على مهاجمة المدينة رأسًا من الوادي من الجنوب الغربي. والوادي يضيق في الجنوب على مسافة خمسة اميال جاعلاً فرصة سانحة للمدافع المستقتل ان يهاجم جيشًا غازيًا بكل سهولة . فالجيش المصري من غير مقاومة بسروجهم المجوهرة المبهجة صعدوا في الوادي وملكهُ النشيط كان في المقدمة يدلهُ على الطريق بخطواتهِ واذ وصل الى سهل مرج ابن عامر في جنوبي مجدو بعث الملك جناح جيشهِ الايسر بعد ذلك الظهر اي ليلاً الى التلال شمالي غربي المدينة حتى يمتلك الطرق الممتدة في الجانب الغربي من سهل مرج ابن عامر وبهذا أمن عدم رجوع جيشهِ وصار في موضع بهِ يمنع الهاربين الفرار اذا نال اكليل الانتصار وهذا الموضع اعطاهُ ايضًا اسهل الوصول الى مجدّو نفسها

الواقعة الفاصلة وفي الصباح التالي جمع الملك قواتهِ استعدادًا للحرب وبينما جناح جيشهِ الايسر حفظ موضعهُ الحربي تقدم جناحهُ الايمن الى التل جنوبي غربي المدينة وبهذا كان قادرًا ان ينزل على قوات الملوك الكنعانيين المتحدة الذين انتشروا في خط من الشمال الى الجنوب امام المدينة والملك البطل الذي لا يقهر قاد الجيش وهو راكب في عربة مصنوعة من مزيج من الذهب والفضة وامام هذا الجيش الذي انتصر في عدة مواقع دامية هرب الكنعانيون عند اول هجوم الى مجدّو واذ وجدوا البوابات مغلقة رفعهم اصدقاؤهم من الداخل واذ ابتهج المصريون لنيلهم الانتصار بسهولة وجذبتهم

الاسلاب الثمينة في معسكر ملك قادش المتقهقر انهمك المنتصرون في السلب والنهب وخسروا فرصة عظيمة فرصة فتح المدينة بالحال

الاستيلاء على مجدّو وامر توتمس الثالث باحاطة المدينة بالحال غير خائف من اسوارها التي يظهر ان فتحها مستحيل وارسل عبيدهُ ليحصدوا حقول الحنطة التي تمتد من سهل مرج ابن عامر وليجمعوا قطعان المواشي العظيمة التي كانت ترعى في الجبال والاودية الخضراء على الحدود ولم يكن في المدينة مؤونة من اجل الحصار. والالوف الذين حُبسوا في داخل اسوارها جاعوا حالاً

وبعد عدة اسابيع اضطرت المدينة ان تسلم وهرب ملك قادش ولكن أُسرتهُ وأُسر شرفائهِ وقعوا اسرى في يدي المنتصر. والاسلاب التي وُجدت في المدينة المفتوحة تبين غنى هذا التمدن الكنعاني القديم الى درجة تكاد لا تُصدَّق وهي ٩٢٤ عربة و٢٢٣٨ حصاناً ومئتا حُلَّة حرب والخيمة الملكية مع قضيب المُلك صولجان ملك قادش وتمثال الملك من الابنوس المطعم باللازورد والذهب وتمثال فضة على الارجح انهُ تمثال احد الآلهة ومقادير كبيرة من الذهب والفضة. كل هذا كان بين الاسلاب التي ادعى الفاتح انهُ وجدها في المدينة المفتوحة

مدن فلسطين ان الكتب المعاصرة التي اكتشفت سابقاً تدل على انهُ في السنة ١٤٠٠ ق. م كانت معظم المدن المذكورة في التاريخ العبراني مشيدة من قبل. وان فلسطين كان معظمها ان لم يكن كلها مكتظاً بالسكان كما في ايام العبرانيين ومن مدن الفينيقيين المهمة على الساحل ارواد في الشمال وجبيل وبيروت في سورية المتوسطة وصيدا وصور وعكا في الجنوب والسهول الساحلية جنوبي جبل الكرمل المشتملة على المدن دور وجازر واشدود وألتكو وعسقلون وجت وغزة وكان يستوطنهـــا في هذا العصر الفينيقيون او انسباؤهم الكنعانيون

وبين المدن التي افتتحها العبرانيون قادش وحنثون في الجليل ونابلس وبيت ايل وبيت حورون وعجلون واورشليم وبيت غابوث في فلسطين الجنوبية وسهل مرج ابن عامر كان كما كان في ايام الاحتلال العبراني مركز الاتحاد الكنعاني الذي يتضمن مجدّو وتعنك وشونم وبيسان وبعض المدن الاخرى التي لم نعرف مواضعها

تاثير السلطة المصرية المشوم ان السلطة المصرية في فلسطين منعت الى حين الحروب بين الامارات الصغيرة وقرّبتها بعضها من بعض بواسطة التمدن المصري . ولكن وادي النيل الخصيب بهواء الحار وجوه الرخي لم يكن ارضاً تنتج قوة عظيمة منظمة او معمرة ومصر لكونها متقول عليها في مركزها كانت دائماً محبة لذاتها لا تحب الاختلاط بغيرها ولم يطلب احد من الولاة المصريين في فلسطين نجاح الشعوب الوطنية او ان يوحد كلمتهم تحت رعاية حكومة بسيطة . انما كان غرضهم الوحيد في فلسطين ان يحموا ذواتهم من خطر الغزو من تلك الجهة . وان ياخذوا اكبر جزية من سكانها وابقت الحكومة المصرية بكل رضى شيوخ فلسطين الوطنيين في مناصبهم ما داموا يؤدون الجزية ولا يحاولون العصيان . لان الاختلاف البيّن بين هواء وادي النيل اللطيف وبين برد سواحل البحر المتوسط الشرقي في الشتاء جعل السكنى في سورية مكروهة للغاية عند المصريين واما المستوطنون المصريون فكانوا من ارباب المصالح الاميرية الذين كانت واجباتهم الخاصة جمع الجزية ووصف احوال البلاد واخبارها وارسالها لملكهم . ويظهر ان الفراعنة لم يحاولوا قط ان ينشئوا جيشاً دائماً في فلسطين او مصر ولكن حفظاً لسلطتهم كانوا يعتمدون على مشارفة امراء البلاد وارهاب الاهلين بالحروب المشهورة بالقساوة العظيمة في معاملة العصاة . ولذلك سلبت مصر ثروة فلسطين ودمها ولم تردّ شيئاً لها تقريباً مقابل هذا

قلة الاتحاد في فلسطين ان وصف بلاد فلسطين من الجهة الاخرى

كان بحيث لا يبنى اساساً لمحبة وطن عظيمة بها تتحد كل ممالكها الصغيرة وسلالاتها ضمن حدودها الطبيعية

وهذا العجز عن الاتحاد على العدو العمومي والاودية العريضة المتصلة بفلسطين المتوسطة والشمالية من الجنوب والغرب سهلت على الجيش المصري افتتاحها

تعرضها للغزو من الصحراء لفلسطين صفة اخرى معروفة وهي مفتاح لفهم الدرجة التالية من تاريخها . انها كما ذكر قبلاً معرضة للصحراء . وكما ان الهواء يندفع الى الفراغ هكذا قبائل الصحراء يزحفون من غير مقاومة الى فلسطين من المداخل الشرقية حالما يرون تناقص قوة سكان البلاد الداخلية

ان مصر المحبة لذاتها التي كانت تهاجم فلسطين مرة بعد اخرى وتهلكها ليس انها قللت فقط شعب فلسطين مراراً بل انها اضعفت مراكزها المصرية العسكرية على الحدود حتى انها حرّضت الامراء الوطنيين على ان يستنصر القبائل الرحّل لكسر نير المنتصر الثقيل

هجوم الشعب الهابيري ان مكاتيب تل العمرنة والمكاتيب التي اكتشفت في فلسطين تبين بالتمام حقيقة هذه الحال وكان في زمن ملك امنهوتب الرابع الذي كان يهتم في الاصلاحات الدينية اكثر من التسلط على ولاياته البعيدة ان سلطة المصريين في فلسطين بدأت تضعف

انهالت مكاتيب الولاة في مدن فلسطين على الملك يشي كلُّ واحد منهم بالاخر يتهمه بالخيانة ويخبرونه بتقدم شراذم الهابيري الذين في ذلك الوقت نحو ١٢٦٠ ق . م تدفقوا من الصحراء على فلسطين تدفق السيل . ولدارس التاريخ المقدس لذة خصوصية بهولاء الغزاة لان بينهم على الارجح كان اراميون وقبائل عربية اسلاف العبرانيين الذين جاؤا بعدهم

ويظهر ان هولاء كانوا قبائل مستقلين يقودهم رؤساؤهم فنجحوا في فتح

كثير من المدن المجاورة الضعيفة وكان يستأجرهم غالبًا امراء كنعان المناظرين فاتحدوا مع الشعب وصاروا يدًا واحدة لنزع نير مصر. وولاة المدن المهمة كمجدّو واشقلون وجازر طلبوا الى فرعون ان يبعث لهم جيشًا ليساعدهم على صدّ هولاء الغزاة الاشداء

وقد وجد المنقبون في خرَب تعنك مكتوبًا سارًا ارسلهُ ضابط في مجدّو والي المدينة وهاك مترجمة – الى استار واشور من امان هاشر حَفِظَ اداد حياتك. ارسل اخوتك مع مركباتهم وابعث حصانًا وجزيتك وهدايك وكل الاسرى الذين معك ابعثهم الى مجدّو غدًا

ووجدوا في خرَب لخيش مكتوبًا آخر بشابة الاول كتبهُ بالبابلية واليها زِمرِدا فيهِ يقول انهُ اذا لم يُرسل جيش مصري بالعجل تضطرُّ المدينة للتسليم الى الغزاة. واورشليم التي واليها ابدِيا كانت احدى المدن الاخيرة التي قاومت تقدم الشعب الهابيري ولكن غزاة الصحراء سادوا آخرًا. وكتب احد الضباط المصريين عن السكان الوطنيين قال – "انقرضوا وخربت مدنهم... بلادهم ماتت جوعًا. هم يعيشون كمعزى الجبل"

نمو القوة الحثية ان هذا الفصل في تاريخ فلسطين القديمة يوضح تاريخ العبرانيين المتأخرين. ان الغزاة امتزجوا بالتحقيق بالكنعانيين الاقدم منهم واكسبوهم دمًا جديدًا وهمة جديدة واحوال فلسطين بقيت فعلاً كما كانت في ايام الغزاة المصريين وصفات البلاد الجغرافية بقيت فعليًا على ما هي

ان المناظرات القديمة والحروب بين ولايات فلسطين الصغيرة عادت الى مجراها وحينما ظهر ملوك السلالة ١٩ المصرية النشيطون كانت البلاد مرة ثانية ناضجة للغزو. وفي اثناء هذا استفاد الحثيون من الاحوال الطبيعية الاكثر موافقة في سورية الشمالية ونزلوا من كبدوكية وجبال اسية الصغرى الشرقية وانشأوا مملكة قوية وجعلوا قصبتها الجنوبية قادش على العاصي

ومن هذا المركز مدّوا سلطتهم ليس على سورية فقط بل على فلسطين ايضاً

وحينما خرج رعمسيس الثاني ملك السلالة ١٩ العظيم في السنة ١٢٨٨ ق. م. ليفتتح سواحل البحر المتوسط الشرقي وجد نفسه كتوتمس الثالث قبله بمئتي سنة امام عدوّ قويّ محصنٍ تحصيناً عظيماً في الاودية العريضة بين لبنان والجبل الشرقي

فلسطين بين ١٢٧٠ و١١٧٠ ق. م. ان النصف القرن الذي ولي العهدة كان زمن سلم وفلاح لفلسطين لان رعمسيس الثاني وابنه مرنبته حفظا امبراطوريتهما العظيمة سالمة بهمتهما الشماء وتنظيمها الفعال

وبعد انحلال السلالة ١٩ جاء عصر فوضى فيه ضعفت السلطة المصرية في فلسطين الى حين. ان رعمسيس الثالث احد ملوك السلالة العشرين نهض لاسترداد حدود الامبراطورية السابقة فنجح اكثر من ربع قرن (١١٩٨ — ١١٦٧ ق.م.) في الاحتفاظ بفلسطين وانزاله الضربات المؤلمة القاسية على رؤوس الحثيين في الشمال ولكن ملكه رسم بان فيه انتهت عظمة مصر. ان وادي النيل لم يكن ملائماً بالطبع ان يكون مركزاً لمملكة عامة عظيمة وفتوحاته في الخارج كان معظمها راجعاً لنشاط اربعة او خمسة من فراعنته العظام ومقدرتهم الشخصية وسورية وفلسطين لمركزهما المتوسط كانا يحسان بكل حركات العالم العظيمة ليس في الجنوب والشرق فقط بل في الغرب ايضاً

وفي اثناء بداءة القرن العشرين ق. م حدثت نهضة عظيمة بين الشعوب الاريّة الساكنين في سواحل البحر المتوسط الشمالية والنتيجة انهم اضطروا ان يبحثوا عن مواطن في محل آخر فتدفقوا على شاطىء سورية بالالوف برّاً وبحراً واجتاحوا سورية وكسروا شوكة الحثيين الساكنين في سواحل البحر الشرقي كسراً ابدياً. وبعض قبائلهم هاجموا دلتا النيل فصدّتهم جيوش رعمسيس الثالث القوية النشيطة. والبلست احد فروع الاريين على ما في الكتابات المصرية هزموا الشعب الكنعاني القديم واقاموا في هذا الوقت في السواحل

جنوبي يافا . وهؤلاء هم المعروفون في التاريخ العبراني بالفلسطينيين

القرن الثاني عشر المشهور بحوادثه وفي اثناء القرن الثاني عشر العام بطل ايضاً استعمال اللغة البابلية المتبعة ونظام كتابتها في فلسطين وألف الفينيقيون بدلاً منها حروف هجائية صحيحة من اللغة المصرية والبابلية ايضاً على الارجح وشاعت هذه الحروف الجديدة ونقلها اليونان الايونيون وصارت اساس الحروف الدارجة الآن في كل اوربة والعالم الغربي ونفس هذه الحروف الفينيقية استعملها كهنة العبرانيين وانبياؤهم وحكماؤهم لايصال رسائلهم الخالدة الى العالم فالقرن الثاني عشر ق . م افتتح عهداً جديداً مهماً في العقليات وتاريخ البشر السياسي

الفصل الثاني عشر

العصر البدوي والمصري للتاريخ العبراني

دخول اسلاف العبرانيين الى ارض كنعان ان الاخبار الكتابية المقدسة بشأن بداءة التاريخ العبراني تختلف اختلافاً كبيراً في التفصيل ولكنها تتفق اتفاقاً تاماً بشأن التغييرات والحركات العظيمة لانها كلها تتفق على ان اسلاف العبرانيين كانوا من القبائل الرحّل وانهم دخلوا فلسطين من الشرق ان الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين يتضمن خبراً يصل ابرهيم جدّ العبرانيين بعصر حموراني (امرافل) الشهير القديم وكان حموراني في السنة ١٩٠٠ ق . م وهذه القصة يفهم منها تاريخياً ان العبرانيين يعرفون نسبهم الى حين تحرك القبائل الرحّل العظيم نحو فلسطين الذي حصل في بداءة الالف

الثاني ق . م والشعوب القديمة غير السامية في فلسطين طردتها في نحو هذا الوقت الشعوب السامية المعروفة فيما بعد بالشعوب الكنعانية واخذت محلاتهم واذا تتبعنا ذريتهم الى هولاء المهاجرين القدماء نرى ان العبرانيين مصيبون تماماً بقولهم ان السلالة الممتزجة التي احتلّت اخيراً فلسطين المتوسطة وكانت معروفة بالاسرائيليين قد ابتلعت الاموريين القدماء ابتلاعاً تاماً

واخبار يعقوب تشير الى مهاجرة قبائل رحّل نحو فلسطين حدثت بعد هذا وبنور التاريخ المعاصر تاريخ كنعان يرجح ان هذا هو مهاجرة الشعب الهابيري الذي فيه كان لا شك كثيرون من اسلاف العبرانيين القدماء. وغزوات العرب المتتابعة كانت نتيجة الاحوال الطبيعية المذكورة سابقاً التي لا مناص منها وكانت قسماً من امتزاج السلائل المطوّل الذي حدث في فلسطين في اثناء الوف من السنين والذي ينسب اكثرهُ الى رجولية الاسرائيليين وجَلدهم

الاشارات الى الاسرائيليين مدة العصر المصري ان الاشارات الى الشعب الهابيري في مكاتيب تل العمرنة وفي المكتوبات التي وُجدت في اطلال فلسطين الصناعية تتضمن ان معظم الشعب الهابيري اما انهُ انتصر على الكنعانيين الاقدم منهُ او انهُ امتزج بهم واستوطن في البلاد . وامتزاج هذا الدم الجديد كان فعلاً نتيجة قساوة مصر وسياستها المهلكة . النتيجة التي لا تُردّ في معاملتها لاهل فلسطين. ان سثي الاول ورعمسيس الثاني من السلالة ١٩ المصرية يشيران في انباء حروبهما في فلسطين الى ولاية تدعى اسارو او اسرو في الجليل الغربية وهذا هو الصقع الذي احتلّهُ سبط اشير العبراني. ويظهر انهُ يدلّ ان في السنة ١٢٠٠ ق.م اي نصف قرن بعد غزوة الشعب الهابيري كان هذا السبط مستوطناً ارض كنعان ومرنبته ابن رعمسيس الثاني يشير الى بني اسرائيل بطريقة لا تبقي شكّاً ان شعباً يسمّى بهذا الاسم كان ساكناً في ايامهِ في فلسطين . وهذهِ هي الاشارة الوحيدة الاولى التي ظهرت في

العاديات قبل القرن التاسع ق . م التي تشير الى بني اسرائيل . والقول باستيطان كثيرين من اسلاف العبرانيين ان لم نقل معظمهم في فلسطين منذ بداءة القرن الثالث عشر ق . م صار الآن معتبرًا حقيقة مقررة

الشعب الهابيري في فلسطين الشرقية والمتوسطة ان حدود فلسطين كانت ضيقة والشعب القديم فيها كان كثيفًا وظهر ان بعض الشعب الهابيري استوطن في اراضي الاردن الشرقي حيثما صارت عاداتهم بالتدريج عادات المزارعين الفلاحين وظهروا مرة اخرى في التاريخ بعد هذا باسم الموآبيين والعمونيين . و بالطبع ان بعض هولاء الفاتحين احتفظوا بقطعانهم ومواشيهم و بعاداتهم القومية البدوية . وهذا كان ممكنًا بسبب خصائص فلسطين الغربية ففي مرتفعات النجد المتوسط ولاسيما في الجنوب يرى السائح للآن مرة بعد اخرى قطعان الغنم والمواشي وخيام البدو السوداء وهنا على ما جاء في قصص الكتاب الاولية اقامت بعض القبائل العبرانية مدة قرن او اكثر بقطعانها وخيامها بسماح من ساكني المدينة الذين كانوا يحرثون السهول كما يعامل سكان فلسطين البدو في هذه الايام

الميل نحو مصر ان الروايات العبرانية تدل على ان بعض هذه القبائل كانت تسكن في جنوبي اليهودية بجانب السكك العظيمة الممتدة الى مصر والانباء المصرية القديمة تشير كثيرًا الى رحيل البدو الساميين من اسية الجنوبية الغربية الى وادي النيل . وقد ظهر في احد القبور في بني حسن صورة ٣٧ محاربًا ساميًا يرحب بهم احد الولاة المصريين الوطنيين . والذي يزور القاهرة في هذه الايام يرى في بعض فصول السنة مئات من البدو مخيّمين شرقي المدينة وهولاء البدو بعد ان يجولوا اشهرًا في صحراء بلاد العرب يجدون ضفاف النيل مرفأ الراحة الذي يشتهونه وكل السكك من بلاد العرب الجنوبية والشرقية والشمالية الشرقية ومن فلسطين تلتقي في وادي طوميلات بوابة مصر الطبيعية . ولما زاد ضغط كثرة الاهالي في فلسطين

وعادت السلطة المصرية كما كانت في السنة ١٢٨٠ ق . م . صار اسلاف العبرانيين البدو يبحثون عن مواطن في محل آخر . وكان يسهل عليهم ان يستبدلوا اراضي المرعى الجذابة في دلتا النيل الشرقية بمنازلهم القديمة والكتاب المقدس يخبرنا انهم ذهبوا الى مصر بدعوة يوسف نسيبهم القويّ

ارض جاسان ان الارض المصرية التي اقام العبرانيون فيها هي ارض جاسان على ما جاء في اقدم الانباء العبرانية . ان الكلمة جاسان لم يجدها المنقبون في العاديّات المصرية واما موقعها العمومي فقلما يشك فيه (وهي الآن المعروفة بمديرية الشرقية الممتدة من جوار ابوزعبل الى البحر ومن بربة جعفر الى طوميلات) وجاسان في اقصى حدودها يظهر انها تتضمن وادي طوميلات وتمتد من بحيرة التمساح الى فرع النيل الطنطاوي

كانت لسانًا ضيقًا من الارض طوله ثلاثون ميلاً او اربعون وفي الغرب حيث وادي طوميلات يتصل بدلتا النيل تتوسع جاسان فتصير مثلثًا غير منتظم . زواياهُ عند المدن الحديثة الزقازيق في الشمال الغربي وبلبيس في الجنوب وابو حمّاد عند بداءة الوادي في الشرق ويعتبر كثيرون من العلماء ان هذا المثلث هو ارض جاسان الاصلية

وفي ايام رعمسيس الثاني أُعطي هذا الصقع بتمامهِ ومن ضمنهِ وادي طوميلات الى الرعاة حيث يقدر الاسرائيليون يحرسون قطعانهم ويحتفظون بوحدتهم السبطيّة واستقلالهم الفعلي

وادي طوميلات (توميلات) ان وادي طوميلات هو وادٍ قريب الغور تحدهُ الصحراء الصخرية من كل جانب . وكان في الايام القديمة جافًا ما عدا زمن فيضان النيل اذ تغمر المياهُ احيانًا بطنهُ الضيق وهو يتصل في الغرب بدلتا النيل (المعروفة الآن بمديرية البحيرة) وشاد المصريون في عصر قديم في شرقي وادي طوميلات حصنًا (يُعرف بسور الامير) لانهُ اهون محل على الحدود المصرية تسهل مهاجمتهُ

وفي وسط هذهِ الاحوال الاكثر موافقة على حدود ذلتا النيل كان لامردّ منهُ ان البدو النشيطين مع انهُ ينقصهم الطعام والماء ينمون بسرعة ويتكاثرون ولنا في الشرق الحديث كثير ما يماثل هذا . وهذا الخوف الذي قام في اذهان المصريين حسب رواية الكتاب المقدس من نمو العبرانيين يشابهُ خوف سكان وادي النيل الدائم من البدو

سياسة رعمسيس الثاني ان التغيير العظيم الذي طرأ على مستقبل العبرانيين كان على الارجح نتيجة سياسة رعمسيس الثاني فلاتمام مساعيهِ ومطامعهِ في البناء كان من الضروري ان يستقدم العمال الكثيرين واجبر على هذهِ الخدمة طبيعيًا الاجانب الساكنين في مصر وعلى حدودها ولكي يجعل مصر متصلة تمام الاتصال بقطائعها الفلسطينية.وزد على هذا لينمي حاصلاتها نموًا تامًا ارتأى هذا المنظم الشهير ان يحوّل اراضي ذلتا النيل الشرقية ووادي طوميلات الى اراضي زراعية وحاول ان يتم مــا قصدهُ . والارجح انهُ لهذا الغرض اصلح الترعة التي كانت بين النيل والسويس وكبَّرها. الترعة التي حُفرت قبلاً على عهد السلالة ١٢ . كان عرضها نحو ١٥ يردًا وعمقها من ١٦- ١٧ ½ قدمًا وكانت تمتد شرقًا من ذلتا النيل في وادي طوميلات الى بحيرة التمساح وكان طولها حسب رأْي المؤرخ بلني ٦٢ ميلاً وهي موازية اليوم في اكثر مجراها لترعة المياه العذبة التي تروي هذا الصقع وتمدّ المدن على ترعة السويس بمياهِ الشرب. والترعة القديمة حفرت اولاً لاجل الملاحة وبالضرورة لاصلاح الارض على الجانبين

بناء رعمسيس وفيثوم للاهراء والمنازل لتحسين هذا الصقع بنى رعمسيس مدينتين مهمتين تسمت احداها باسمهِ وصارت اسمًا للاراضي المحيطة بها ويظن انها كانت على طرف وادي طوميلات الغربي

وفيثوم الاخرى حسب رواية الكتاب قد اثبتت المكتشفات الحديثة انها پ انوم القديمة اي بيت الاله انوم . وكانت هذهِ المدينة بقرب طرف وادي

طوميلات الشرقي واسمها الآن تل المسخوطة على بعد ١٠ او ١٢ ميلاً غربي بحيرة التمساح . وعلى الارجح انها كانت موضع الحصن القديم المعروف بسور الامير. وقد وُجد كثير من الكتابات هنا تتضمن الاسم ب اتوم وهذا كان على ما في البيانات الجغرافية المصرية اسم قطيعة مصرية . وهنا اكتشف الباحث السيد نافيل ما يظهر انهُ كان مستودعات عظيمة ثخن جدرانها من يردين الى ثلاثة مبنية من اللبن الذي جففتهُ الشمس وهذهِ الاهراء لم تكن متصلة بعضها ببعض وكان يلقى فيها القمح من نافذة في السقف

ويظهر ان رعمسيس جمع هنا مقادير عظيمة من الحبوب ضرورية لحروبهِ الفلسطينية لان هذهِ المدن بُنيت في اول ملكهِ زمن ميلهِ الاول الى الحرب

احوال العبرانيين المستعبدين اننا بنور حقائق التاريخ المصري المثبوتة والحقائق الجغرافية يسهل علينا ان نعرف احوال الاسرائيليين البدو . تحوّلت مراعيهم الى حقول زراعة واحتلها المستعمرون المصريون وابناء القفر المتمردون سخرتهم القوة الحاكمة المصرية واجبرتهم على بناء الحصون على الحدود مما جعلهم لا يرجون خلاصاً من هذهِ العبودية . وفلسطين كانت ملكاً لرعمسيس والبرية التي امتدت من ابوابهم تقريباً الى الصحراء الصخرية كانت الباب الوحيد الممكن للهرب ولكن الهرب جماعات كبيرة كان مستحيلاً على عهد رعمسيس الثاني وخلفهِ مرنبته الظالمين

تهذيب موسى ان العبراني الوحيد الذي تجاسر ان يقاوم استبداد الفراعنة ويقتل المصري الظالم نجح بالهرب الى ما وراء حصون الحدود ووجد وطناً بين انسبائهِ البدو من سلالتهِ في الجبال الوعرة الممتدة بين اليهودية الجنوبية وبين شبه جزيرة سينا . وهنا بين مخاطر القفر وخلواتهِ تهذب موسى النبي العظيم قائد الامة العبرانية ومؤسسها وهنا نعلم ان يثق بالله الذي يهدي انصبة (اقدار) الناس والامم وان يحتقر قوة مصر المتكبرة . وبرعيهِ قطعان

يثرون حميه في البرّية العادمة الخِلال (الخَلّ الطريق في الرمل وجمعهُ اخُلّ او خلاَل) التي تملأُها الحيوانات المفترسة والعرب المعادون صار صبوراً ماهراً في قيادة البشر

الحقائق التاريخية ما وراء قصص الضربات ان عمل موسى بقيادته العبرانيين واخراجهم من مصر هو فصل مألوف في التاريخ المقدس . وعند انحلال الحكومة المصرية وفي زمن الفوضى الذي ولي سقوط السلالة التاسعة عشرة صار فرصة ملائمة كل الملائمة للعبرانيين كي يكسروا نير عبوديتهم وينجوا بنفوسهم

وقد ذكر احد الكتاب المصريين انهُ في ذلك الوقت "لم يكن للمصريين ملك مدة سنين كثيرة . وكانت ارض مصر في ايدي الشرفاء وولاة المدن كل يذبح جارهُ الكبير والصغير"

واعلن احد السوريين نفسهُ ملكاً وجعل مصر كلها تؤدي لهُ الجزية وسلب الشعب وقد زاد طين هذهِ المساوئ بِلّة الغزو الاجنبي

ولا يخفى ان احوال مصر الصحية لا تبلغ الاتقان ولو كانت الحكومة صالحة ففي زمن الفوضى وسفك الدم سطا على وادي النيل الحارّ الامراض والاوبئة . والضربات العشر التي رواها الكتاب اكثرها مبنيّ على حوادث طبيعية تنتاب مصر من حين الى آخر وامراض موضعية ينفرد بها وادي النيل ولا يمكن ان تفهم الا بنور غرائب هوائهِ الطبيعية . ولا شك ان الله استخدم هذهِ الحوادث وعظّمها وزاد فعل ما هو طبيعي لتأديب المصريين وبعض هذهِ الضربات لها علاقة بعضها ببعض وبالحوادث التاريخية التي سطّرها المؤرخون المصريون المعاصرون . فالغزو الاجنبي والحرب الاهليّة والذبح الملازم لها يليهِ ولا مناص فساد مياهِ النيل ونجاستهِ . وعلى هذا النهر الوحيد تتوقف صحة سكان مصر وحياتهم . والاحوال غير الصحية ونجاسة المياه وفسادها تربي الضفادع والذبان وتنميها والذباب بدورهِ ينشر

جراثيم المرض الذي هاجم المواشي واما البَرَد والجراد فنادران جدًّا في مصر ولكنهما ليسا مجهولين كما اثبت الباحثون المدققون وتدرجهما مما تجعل ظهورها اكثر تأثيرًا

ولا بد ان فرعون العنيد كان قد لاحظ المشابهة بين هذهِ الضربات والاوبئة العادية فتقسى قلبهُ ولكنهُ بعد حدوث الضربة العاشرة أُسقط في يدهِ وغُلب على امرهِ

من اراد زيادة ايضاح في امر الضربات فليراجع كتاب مرشد الطالبين الوجه ٧٢

جسور البحر الاحمر وقاد الله بني اسرائيل بعمود من السحاب نهارًا وبعمود من النار ليلاً الى شاطئ البحر الاحمر بقرب مدينة السويس الحالية حيث كانت الجبال تحيط بهم من الجانبين وكان فرعون وجيشهُ يجدّان وراءهم وفي حين هذا الخطر والرعب انتقل عمود السحاب بجلال وهيبة من امام الاسرائيليين الى ورائهم (خر ١٤: ١٩) واستخدم الله الريح الشرقية فهبت كل الليل فانشقَّ الماء وجعل ممرًّا كافيًا في اليبس فدخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم ويسارهم وعبروا . وحينما تبعهم المصريون رجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل البحر ولم يبقَ من المصريين ولا واحد

وفي المحل الذي وقف فيهِ الاسرائيليون بعد عبورهم البحر الاحمر عيون موسى السبع وبجانبها عدة من اشجار النخل والطرفاء والدفلى التي يراها السائح اليوم . ومن هناك ساروا الى جبل طور سيناء حيث مكثوا مدة سنة ليتعرفوا بالله ويستلموا من يديهِ العهد والشرائع

قادش برنيع ان اقدم انباء الكتاب تشير الى ان الاسرائيليين سافروا من طور سيناء الى قادش برنيع التي هي في شمالي التيه والارجح انها العين المعروفة بعين قَدَس حيث تنفجر المياه من عدة محلات متقاربة من اللهب

(المثير) الكلسي . وهذهِ المياه تجمع في برك صناعية وتنزل الى الوادي وتحوّله الى جرعاء (واحة) وهذهِ المياه مثل سائر الجداول في الصحراء تغور في الرمال وهنا اقام الاسرائيليون مركزهم العام وهذا المكان يقرب من الطريق الممتدة بين العقبة وبئر سبع

تأثير البرية في العبرانيين ان عين قادش لم تزل محبوبة عند قبائل العرب فيجيئون اليها ولكن مياهها غير كافية اليوم لاعالة قبيلة من قبائل البدو على مدار السنة . هكذا فعل الاسرائيليون نحو اربعين سنة . وهذا الاختبار لم يكن من غير فائدة لسلالة كان عليها ان تقلع شوكها بيدها وتدبر لها مستقبلاً وسط الصعوبات العظيمة فعلمهم احتمال الاحتياج والمشقات. ووجود الخطر الدائم لم يعلمهم الشجاعة والحذاقة فقط بل وحّدهم في الغاية لانهم كانوا معرضين دائمًا لغزو البدو حولهم وحياتهم. وحياة أسرهم وقطعانهم كانت متوقفة على ايجادهم من وقت الى آخر ينابيع مياهٍ ومراعي في هذهِ البرية القفر واتكالهم العميق الدائم على الله انمى شعورهم الديني الذي يعظم في قلوب الساميين ابناء جنسهم

ان اسفارهم نهارًا وليلاً جعلت فيهم ميلاً للتأمل في الله الذي كان معهم في البرية وقادهم وعالهم واعتنى بهم. وهذا ثبت فيهم الاتكال على الاله الذي اخرجهم من ارض مصر والذي يقودهم الى غايتهم السامية المستقبلة . وهكذا بجولانهم في القفر بقيادة موسى وُلدت في العالم ديانة ادبية جعلت اهمية ليس للفرائض فقط بل للقداسة ايضاً

البرهان على ان العبرانيين قصدوا ان يدخلوا ارض كنعان من الجنوب انهم عسكروا في قادش برنيع في البلاد الجنوبية وهذا لاشك كان مختارًا ليكون مركزًا عامًا . منهُ يزحفون على فلسطين لانهُ كان قريبًا من الطريق السلطانية الممتدة الى جنوبي البلاد. وهنا أُرسل الجواسيس ليتجسسوا البلاد وعند رجوعهم ظهر عدم استعداد الاسرائيليين للهجوم فحكم عليهم

بالبقاء في القفر تكملة الاربعين سنة ليموت ذلك القرن (الجيل) لانهم كانوا جبناء ولم يتكلوا كفاية على الله وانباء الجواسيس تطابق احوال البلاد في ذلك الزمان لان المدن كانت محصنة ومستعدة لكل طارئ وهذا مطابق للانباء المصرية القديمة والعاديات

السفر الى شرقي الاردن ان اقرب طريق من قادش الى شرقي الاردن ان يعبروا ارض ادوم ولكن ملك ادوم بعد المشاورة رفض ان يسمح لهم بالعبور ولذلك اضطر الاسرائيليون ان يرجعوا في مسيرهم الى العقبة. ومن هناك داروا الى الشمال الشرقي وساروا في الطريق السلطانية العريضة شمالاً على حدود الصحراء في نفس الطريق التي تسير فيها اليوم القوافل من الشام الى مكة. وهذهِ الطريق تمتد في صحراء حارَّة صخرية ولا عجب اذا تذمَّر الاسرائيليون تذمُّرًا عظيمًا. والكتاب المقدس حفظ بيان اسماء المحطات على الطريق التي اوصلتهم الى موآب واكبر هذهِ المحطات كما يفهم من اسمائها مواقف في الصحراء كمحطات طريق الحجاج في هذهِ الايام كاسم آبار بني يعقان مثلاً التي نسبت الى بني يعقان الذين يُظن انهم قبيلة عربية جالت في هذهِ الصحراء من قبلُ. والمحطة الثانية يطبات الموصوفة انها ارض انهار ماء (تث ١٠: ٧) وهذا الوصف الموافق يوافق مدينة معان الحديثة المهمة الكائنة بقرب محطة السكة الحديدية بين دمشق ومكة التي منها يسافر السائح الى بترا التي تبعد نحو ٢٥ ميلاً غربًا. وما معان الا جرعاء (واحة) انشأها جدول يغور بعد حين في رمال الصحراء. وهي البقعة الوحيدة تقريبًا في تلك الطريق الجافة فيها يسمع السائح خرير المياهِ. والى شمالي معان تمرّ الطريق في الانجاد المحرقة حيث على ما جاء في سفر العدد ٢١: ١٨ احفر روساء العبرانيين والارجح عزّلوا البئر التي منها استقوا كفايتهم من الماء. وعمل الروساء من الحفر والغناء يظهر ان قد صار لهم روح حسنة جديدة لم تكن لهم من قبل ووصل الاسرائيليون الى حافة نهر ارنون الشمالية

فتح شرقي البحر الميت وزحف العبرانيون من شاطئ نهر ارنون حد موآب الشمالي لفتح مملكة سيحون الى الشمال . والواقعة الفاصلة حدثت في حدود القفر وموضع المدينة ياهص لم يعرف بعد . وانما هي بحسب الحجر الموآبي مركز الاسرائيليين العام في حربهم مع ميشع ملك موآب . وبعد هذا افتتحها الملك الموآبي واضافها الى مدينة ديبون التي هي شمالي ارنون . ويقول بوسيبيوس انها بين ميدبا وديبون وفي هذه الواقعة استولى العبرانيون على المراعي الجبلية والحقول المثمرة بين نهري ارنون والزرقاء

موضع حشبون ان حشبون قصبة سيحون صارت مركز الاسرائيليين الاول وهي كانت على قمة اكمة صخرية ترتفع بالتدريج عن السهول . والسهول الى الشرق تمتد كثيراً الى الصحراء التي تحدها الجبال . فحشبون قائمة في منطقة كثيرة الاثمار وتشرف على السهول الواسعة الممتدة في كل جهة . والمدينة نفسها غير محصنة تحصيناً طبيعياً كما يجب ولذلك اضطر سكانها ان يعتمدوا على الاسوار للدفاع عنها . وقنتها اليوم تكسوها خرب البيوت والحصن والهيكل وكانت تستقي المياه من برك كبيرة في الوادي القريب الغور شرقي المدينة لذلك كانت المدينة غير صالحة للحصار وهذا يبين سبب مقابلة الملك الاموري عدوَّهُ في الجنوب . والمدينة تعلو عن سطح البحر ٢٨٦٦ قدماً وهي تشرف على مجالي جبل جلعاد الجميلة في الشمال ومضيق الاردن في الجنوب الغربي ونجد كنعان المتوسط في الغرب وميدبا القائمة على تل مرتفع عبر السهول الى الجنوب

اقامة العبرانيين شرقي الاردن ان حشبون كانت مفتاح اراضي شرقي الاردن وفيها مرّت السكة السلطانية الى الشمال . والى غربي حشبون تنحدر الطريق بسرعة الى وادي الاردن في وسط آبل شطيم اي مرج السنط الى المخاوض مقابل اريحا . وهكذا كان العبرانيون في هذا المكان يشاهدون ارض كنعان تدعوهم للدخول اليها ولكنهم قبل ان يعبروا تسلطوا على مملكة

عوج ملك باشان التي هي الى الشمال ووصلوا الى شمالي نهر برموق

اهمية شرقي الاردن واراضي شرقي الاردن اعطتهم فرصة كاملة للتثقف الحربي الذي يحتاجون اليه في المعارك غربي الاردن وهنا تعلموا حرث الاراضي كما انهم كانوا يعرفون رعية المواشي . وشرع الذين نجوا من الامور ين يعلّمونهم فن الحراثة واسرار التمدن السامي الذي كان منتشرًا عصورًا عديدة في فلسطين . وفي هذه الاحوال الملائمة صاروا يزدادون في العدد حتى شعروا انهم بحاجة الى الاستعمار وفي نفس الوقت كانوا معرّضين دائمًا لغزوات العرب المستمرة من الصحراء الشرقية . وفي اثناء هذا انسحبت الجيوش المصرية من فلسطين وابتدأت التحزبات والحروب الاهلية بين سلائل البلاد ولم تقم في البلاد مملكة قوية في سورية الشمالية فصارت البلاد مستعدة حسب عناية الله لقبول الاسرائيليين

الفصل الرابع عشر

التوطن في فلسطين

الوصول الى الاردن ان القبائل العبرانية وصلت الى نهر الاردن حيث وادي كفرين تنصب الى المرج وهذا الوادي يسمّى في الكتاب وادي شطّيم. ونرى الآن مخاضتين لنهر الاردن الاولى مقابل وادي قلت وعلى بعد ٦ اميال شمالاً ترى الاخرى عند مصب وادي نمرين

عبور الاردن ان عبور النهر في ذلك الوقت كان من المعجزات لانهُ كان في ابّان فيضانهِ (يش ٣: ١٦) ولا يمكن ان نفسّر هذا العبور الا انهُ حصل بقدرة الهية حتى ان المياه من فوق وقفت سدّاً. والسفلى هربت للبحر حتى عبروا كلهم وهذا فعلهُ الله تثبيتاً لايمانهم

اريحا على بعد ستة اميال من الاردن بقرب حضيض النجد كانت مدينة اريحا القديمة الكنعانية. وكانت قائمة على تلّ صناعي ليس بعالٍ والمدينة القديمة الآن طولها ١١٠٠ قدم وعرضها ٥٠٠ قدم ومساحتها نحو ١٢ فداناً ومعدل علوها عن السهل اربعون قدماً وبجانبها للشرق عين السلطان التي كانت تسمى في زمن العبرانيين "ينبع اليشع" والى الجنوب وادي نخور فيه يجري جدول قلت الصيفي الذي ينحدر من مرتفعات السامرة الجنوبية

وما وراء المدينة القديمة تمتد الطريق على مرتفعات مخماس وعاي لتتصل بالطريق السلطانية المتوسطة مارة باليهودية والسامرة فلذلك كانت اريحا لا تحرس فقط مخاضتي الاردن الجنوبيتين بل كانت ايضاً مفتاح الطريقين السلطانيتين الممتدتين الى بلاد اسرائيل الشمالية والجنوبية وامامها كان سهل

مخصب للغاية ترويه جداول الغرب

نتائج الاكتشافات الحديثة ان الاحافير الحديثة قد ابانت لنا امتداد هذهِ المدينة القديمة الكنعانية وقوتها وقد اكتُشفتْ اقسام طويلة من السور في طرفي التل الصناعي شمالاً وجنوباً وهذا السور حفظ سالمًا لحسن صناعتهِ ومتانة بنائهِ . انهُ كان موسساً على الصخر وهو الآن حتى في المحلات المتخربة علوهُ ثماني اقدام

وعلى طرف المدينة الشمالي قلعة مبنية من الاجرّ ذات ثلاث "طبقات" وفيها سلالم مجربة من الاسفل الى السطح . ويسهل علينا ان تتصور تلك المدينة القديمة الكنعانية تحرسها الاسوار التي تعلو من ٣٥ الى ٤٥ قدماً وتخانتها تفوق بعض حصون العصور المتوسطة

افتتاح اريحا ان ما اكتشف قد اثبت الخبر الوارد في الكتاب المقدس عن افتتاح اريحا . وبقيت اسوار اريحا محفوظة اكثر من اسوار كل المدن الكنعانية التي اكتشفت لحد الآن ولاشك انها قد سقطت بمعجزة الهية تشجيعاً لايمان الاسرائيليين

وتشير هيئة خراب اريحا الى ان المدينة الكنعانية قد هجرت منذ عدة قرون وان قنة التل الصناعي قد حرثت وهذا يثبت ما ورد في الكتاب ان المدينة باسرها قد خربت

وبعد خراب اريحا بخمس مئة وثلاث وثلاثين سنة بُني بجانبها مدينة صغيرة اسرائيلية . ولايخفى انهُ ببناء هذهِ المدينة قد تم قول يشوع "ببكرهِ يؤسسها وبصغيرهِ ينصب ابوابها (يش ٦ : ٢٦) كما ترى في ١ مل ١٦ : ٣٤

ويظهر من التاريخ ان اريحا من ذلك الوقت فصاعداً لم تقاوم الفاتحين الذين وجدوها باباً للبلاد وبيت مؤونة

الطرق الممتدة من اريحا الى داخلية البلاد تمتد من اريحا الى نجد فلسطين المتوسط ثلاثة طرق كبيرة . الاولى تمتد غرباً من اريحا شمالي وادي

قلت . والثانية تمتدُّ في برية اليهودية المقفرة في مضايق صعبة الى اورشليم وهذا ما يعيق الفاتحين لا ما يشجعهم . والثالثة تدور الى الجنوب الغربي تاركة وادي الاردن وراءها مقابل طرف البحر الميت الشمالي عابرة مضيق قدرون بجوار دير مار سابا للروم الارثوذكس ومن هناك تمتدُّ الى بيت لحم لتتصل بالطريق المتوسطة وتمتد جنوباً

الافتتاح في الجنوب يظن بعضهم ان السبطين يهوذا وشمعون بحسب النصّ في قض ١ ساروا في الطريق الجنوبية لافتتاح الجنوب . والظاهر انهم لم يحاولوا افتتاح اورشليم التي بقيت في ايدي اليبوسيين الى زمن داود . واما بازق المدينة الاولى التي افتتحوها فلم تعرَف بعد . ومن الطبيعي انها إما بيت لحم او حصن بيت صور جنوبيها . وكان اهم ما كسبهُ سبط يهوذا حبرون في الجنوب . وهذهِ المدينة القديمة التي كانت في وادٍ قريب الغور لم تكن محصنة تحصيناً طبيعياً . وباتحادهم ببعض قبائل العرب مدُّوا فتوحاتهم جنوباً واخذوا دبير المعروفة اليوم بالظهرية وبجانبها بعض الينابيع التي يظن انها الينابيع التي وقعت في سهم كالب . ويهوذا بمساعدة الفينيقيين نجح في افتتاح حصن عراد على الحدود التي تبعد عن حبرون نحو ١٧ ميلاً الى الجنوب الشرقي . والشمعونيون بمساعدة يهوذا افتتحوا مدينة حرمة وفي هذهِ القطيعة صار بينهم وبين سكان الصحراء اختلاط اكثر مما حصل بينهم وبين اخوتهم العبرانيين في الشمال . وهنا عاشوا عيشة البدو

افتتاح عاي وبيت ايل ان بقية الاسباط بقيادة يشوع ساروا على الطريق شمالي اريحا ووصلوا الى عاي التي كانت مدينة صغيرة لكنها كانت قوية حتى قاومت هجوم الاسرائيليين الاول الى حين ثم سقطت بخدعة حربية . ثم افتتحوا في نفس هذهِ الطريق المدينة المقدسة بيت ايل التي يظن انها بيتين الحاضرة ويظهر من الآثار انها لم تكن قط مدينة كبيرة . كانت للمزار اكثر منها للسكن . وهنا رأى يعقوب رؤياهُ . وهنا نصب يربعام عجلاً لتضليل

بني اسرائيل

الافتتاح وعدم اكماله نعرف من التثنية ص ٧ ان العبرانيين كانوا مأمورين ان يستأصلوا الجنس الكنعاني من البلاد ولكن ليس بالحال بل بالتدريج خيفة من تكاثر الحيوانات الضارية (فاعترض احدهم ان هذا ليس سبباً كافياً لان الارض ليست متسعة والاسرائيليين كانوا مليونين ونصف مليون فلا يمكن مع هذا العدد الكثيف ان تعيش الحيوانات المفترسة بينه) ولكن المقصود بامر الرب كان ينبغي ان يتم في المستقبل وليس بالمال وذكر في القضاة ان استئصال الكنعانيين وغيرهم كان لحفظ التدريب ودوامه قض ٣: ١-٤ وذُكر في يشوع ان عدم الاستئصال تماماً صار تجربة لوقوع الاسرائيليين في عبادة الاوثان. وأوجهُ الاسباب ان الاسرائيليين لعدم اطاعتهم التامة وتوانيهم لم ينالوا المساعدة لاستئصال الامم فكان الرب يؤدبهم عند الاحتياج وصار الامم سبب عثرة لهم (يش ٢٣: ١-١٣)

ان يشوع عامل الاسرائيليين بكل الحاح ومحبة فتوسل اليهم بكل مراحم الله الماضية وكل رجائهم في المستقبل ان يتمسكوا بالله. والعبرانيون كانوا متقلبين وسريعي الانفعال وكان لقول يشوع تأثير عظيم في ذلك الحين حتى عاهدوهُ عهداً وثيقاً ان لا يتركوا الرب ولا يعبدوا آلهة اخرى كما نرى هذا منفصلاً في يش ٢٤: ١٦-٢٨ وكان يشوع يعرف تقلبهم فاستخدم كل وسيلة ممكنة لكي يخلّد ذكر عهدهم هذا فاقام حجراً كبيراً ونصبهُ هناك تحت البلوطة التي عند مقدس الرب كشاهد دائم يذكرهم بعهدهم الموقر وبعد ان اتمّ يشوع افتتاح فلسطين انضمّ الى آبائهِ. ونلاحظ انهُ لا راحة في عمل استئصال الامم وهذا العمل استمرّ كل حياة يشوع حتى ان ثلاثة ارباع الارض افتتحت في حياة يشوع ولكن كان ما عدا الفلسطينيين جمهور غفير من الكنعانيين في شمالي البلاد وعند مخرج الاردن

واستأنف الحرب بعد موت يشوع سبط افرايم واما بقية الاسباط فلم

بتمّوا واجباتهم في مداومة الحرب . وبعد موت الشيوخ المعاصرين ليشوع بدأ العبرانيون يكفّون عن مقـــاتلة الامم ثم صاروا يصاهرونهم وهذه الحال ابتدأت عند موت يشوع وازدادت بسرعة . والله لم يكن غافلاً عما كانوا يعملون فاذلّهم مراراً بواسطة الامم الذين غزوهم واستعبدوهم وحينما صرخوا الى الله اقام قواداً حربيين فخلّصوهم . أُستعبدوا سبع مرات لملك ما بين النهرين وللموآبيين والعمونيين والكنعانيين والمديانيين وللفلسطينيين مرتين واذا اعتبرنا ان بقاء الاسرائيليين تحت حكم القضاة كان على الاطول نحو ٤١٧ سنة فقد استُعبدوا منها ١٢١ . وقوادهم الحربيون كانوا يسمّون قضاة وليس في التاريخ ما يشابه هذا المنصب انما اقرب ما يكون اليهِ هو الحكم المطلق (دكتاتور) الذي كان في رومية من وقت الى آخر وكانت سلطة القاضي تختلف بحسب اختلاف الخطر وكان للقاضي اعظم سلطة في سبطهِ او في المحل المهدَّد بالخطر وكان القاضي ينبغ دائماً في القطيعة التي يتهددها الخطر وكان عدد القضاة ١٥ اذا لم نحسب دبورة لانها نبيَّة

اننا نعلم من انباء الكتاب عن واقعة مهمة معركة عجلون كانت نتيجتها طرد العدو من الوادي ومن بيت حور الاعلى والاسفل ويظهر ان الاسرائيليين لم يخربوا المدن المهمة كما فعلوا باريحا بل وضعوها تحت الجزية . ولما وجد سبط دان ان سهمهُ ضيق ارسل جواسيس الى شمالي فلسطين ولما وجد هؤلاء محلاً موافقاً رحل جمهور عظيم من سبط دان الى الشمال حيث وجدوا مستعمرة صيداوية عند حضيض جبل الشيخ عند مخرج الاردن الغزير حيث تندفق المياه . وهذهِ المستعمرة كانت محطة تجارية بين صيدا ودمشق وكان يفصل هذهِ المستعمرة عن امها مرتفعات الجليل الاعلى . فهاجمها الدانيون بغتةً وذبحوا سكانها وغيَّروا اسمها من لايش الى دان وصارت هذهِ المدينة بعد ئذٍ معبداً شهيراً في الشمال

تجمع العبرانيين لمحاربة الكنعانيين ان نمو العبرانيين حمل الكنعانيين

على التجمع في مجدّو وهكذا صارت هذهِ المدينة ثانية محل تجمع الكنعانيين وفي سهل مرج ابن عامر حصلت الواقعة الفاصلة . والذين حاربوا في هذهِ الواقعة من العبرانيين هم اسباط اسرائيل في القطائع المتوسطة . فسبط اشير في الغرب والدانيون في الشمال والرأوبينيون في عبر الاردن لبثوا في سفنهم ومع قطعانهم . ولم يشترك سبطا يهوذا وشمعون في هذهِ المعركة ونعلم من نشيد دبورة التي نادت بهذهِ الحرب انها كانت من سبط يساكر الذي كان سهمهُ القسم الشمالي الشرقي من السهل . واحتشد العبرانيون بجانب بيت دبورة وكانوا غير مدرّبين ولكنهم كانوا محبين لوطنهم شجعانًا

وكان العبرانيون سابقًا يحصرون حروبهم في التلال لموافقتها لاحوالهم ولكنهم الآن بعثوا اربعين الفًا الى السهل ليقابلوا الكنعانيين المحتشدين بخيلهم ومركباتهم في المحل الموافق للكنعانيين فنزل العبرانيون من الاعالي تحرسهم التلال من الجانبين فاضطرّ الكنعانيون ان يقابلوهم مواجهة فعبر الكنعانيون نهر المقطع الجاري وسط السهل الذي يصعب عبورهُ ما خلا بعض محلات خاصة فانتظرهم الاسرائيليون حتى عبروا النهر ولم يبقَ في امكانهم التقهقر بسهولة . ومن النشيد نعلم ان الاسرائيليين اختاروا فصل الربيع الموافق للحرب وان الرب حارب عن اسرائيل "يارب بخروجك من سعير بصعودك من صحراء ادوم الارض ارتعدت والسماوات ايضًا قطرت كذلك السحب قطرت ماء تزلزلت الجبال من وجه الرب وسيناء هذا من وجه الرب اله اسرائيل" (قض ٥ : ٤ و٥) ومن العاصفة العظيمة والمطر الغزير علم المتحاربان كلاهما بحضور اله اسرائيل . ان تربة السهل اللزجة تجف حالاً وتقسو ولكنها عند المطر السريع تصير غَرِقَةً . والكنعانيون الذين لم يكونوا مشهورين في الشجاعة وقعوا في ارتباك وهربوا وحاولوا ان يعبروا النهر الفائض والطائف قيشون فغرقوا هم ومركباتهم وخيلهم واما قائدهم سيسرا فهرب الى الشمال في تلال الجليل الاسفل واذ كان معييً من التعب التجأ الى خيمة زوجة

حابر القيني وهناك قتل احقر قتلة بيدَي امرأة وانتصر الاسرائيليون وصاروا سادة الارض ومالكي المدن الغنية التي كان التمدن يعمل فيها منذ الف سنة

قبائل شرقي الاردن واستقر الرأوبينيون شرقي الاردن شمالي نهر ارنون فهم اول من اخذ سهمهُ وهم اول من باد ذكرهم والارض التي امتلكوها كانت مخصبة ولكنها معرَّضة لغزو المؤآبيين من الجنوب ولغزو العرب من الشرق والعمونيين من الشمال الشرقي . وفي ايام ميشع الملك المؤآبي (القرن التاسع ق . م) باد ذكرهم ولم يذكر الاسبط جاد فقط وكذلك كان الجاديون معرَّضين للغزو من كل جهة انما كانوا في موقع اقوى بين التلال والاودية العميقة جنوبي نهر الزرقاء وكانوا بجانب انسبائهم الذين في الاردن يحرسهم من جهة الشمال سبط منسى القوي الساكن شرقي الاردن الذي يمتدُّ ملكهُ من نهر الزرقاء الى نهر يرموق

اسباط اسرائيل في جنوبي البلاد وكان سبط شمعون غربي الاردن يحرس الاطراف الجنوبية ولكن على تراخي الزمن اختفى ذكرهُ تقريباً من التاريخ العبراني . وسبط يهوذا القوي من مرتفعاته الجبلية انتشر نحو الشرق الى حدود سهل فلسطين ثم بعد حين امتلك اراضي المدن الكنعانية التي تمتد من جازر الى اورشليم . واما سبط بنيامين الصغير فكان محصوراً بين افرايم في الشمال ويهوذا في الجنوب وكانت حدود اراضيهِ الجنوبية ملاصقة لاورشليم وتمسّ الاردن في الشرق . وشمالاً الى سهل مرج ابن عامر ومن الاردن الى سهل شارون كانت تمتد ارض منسى وافرايم المخصبة

اسباط اسرائيل في الشمال وبما ان سبط يساكر كان لهُ اليد الطولى في المعركة التي حصلت عند نهر المقطع امتلك الارض المخصبة الواقعة جنوبي بحر الجليل وعلى الارجح امتدت غرباً في مرج ابن عامر . وسبط زبولون احتلّ تلال الجليل السفلى وقسمت الجليل العليا بين سبط نفتالي شرقاً واشير الذي تمتدُّ اراضيهِ الى اراضي الفينيقيين غرباً وكان سبط دان الحربي النشيط

في وادي الاردن عند سفح جبل الشيخ

تأثير الاستيطان في العبرانيين ان استيطان العبرانيين في كنعان اخذ مدة طويلة وبما انهم كانوا اقوى وانشط من سكان تلك الارض انتصروا عليهم بالتدريج وابتلعوهم ولكنهم لم يستأصلوا الكنعانيين تماماً. ونابلس واورشليم هما مثال معروف للطريقة التي بها عاش المنتصرون والمغلوبون الواحد مع الآخر وتصاهرا واختلطا حتى صارا واحداً وهذا الاختلاط كان طبيعياً في فلسطين لان سكانة الاقدمين كانوا من الشعب السامي الذي جاء قديماً من القفر واشترك المنتصرون والمغلوبون في العادات والقوانين. وبا لنتيجة ترك المنتصرون عاداتهم البدوية وتعلموا الزراعة والقوانين المدنية وتعلموا عبادة الاوثان وبعض الفرائض الدينية . والعجيب انهم في هذا العصر عصر الحلّ والترحال حافظوا على الولاء ليهوه الاله الذي قاد آباءهم في جولانهم في التيه

الفصل الخامس عشر

الاسباب التي اوجبت تأسيس المملكة العبرانية

نقص الاتحاد بين الاسباط العبرانية لم يكن اتحاد بين الاسباط العبرانية كما يجب مع انهم كانوا سادة ارض كنعان وكانوا كالممالك الكنعانية الصغيرة التي اخضعوها يهتم كل سبط لما لنفسهِ ويحارب منفرداً . وقصة يفتاح تبين نقص هذهِ الاحوال في بلاد شرقي الاردن وبالنتيجة اصبحوا فريسة سهلة الافتراس للغزاة الذين كانوا ايضاً يضايقونهم من كل جانب. والعمونيون في الشرق كانوا دائماً يشتهون ان يوسعوا حدودهم الى الاردن . وما خلّص العبرانيين من هولاء الغزاة سوى البطل يفتاح المتسي شرقي الاردن . وارض طوب التي التجأ اليها يفتاح هي على الارجح جلعاد الشمالية . ولعلها وادي الطيبة وقرينها في عبر الاردن شرقي بيسان . ونجاح يفتاح هاج حسد سبط افرايم القوي غربي الاردن والقصة في سفر القضاة ١٢ تبين حالة الخصام بين السبطين عوضاً عن اتحادهما على العدوّ العام

اعمال جدعون الحربية ومما رأينا نعلم انهُ لا يعود الاتحاد الى نصابهِ بين اسباط اسرائيل الا بمهاجمة عدوّ قويّ من الخارج

ان مهاجمات المديانيين المذكورة في قصص جدعون كانت منتظمة فلم توجد نظاماً تاماً واتحاداً كاملاً بين الاسباط . وانتصار جدعون كان عظيماً جداً لانهُ انشأ اول مملكة عبرانية

كان جدعون من قرية عفرة التي هي على بعد ١٠ اميال شمالي شرقي نابلس عند العين في وادي فرح بخلاف عفرة التي هي في سبط بنيامين

فجدعون وابطالهُ الثلاث مئة طردوا المديانيين وقطعوا نهر الاردن وراءهم والظاهر من ذكر الاسم يجبهة انهُ تبع الفارين الى جهة ربة عمون لان يجبهة تبعد اربعة اميال عن ربة عمون . وقتل جمهوراً غفيراً منهم والذين خلصوا خلصوا لانهم هربوا الى القفر

مملكة جدعون وكان نتيجة انتصار جدعون المبين انهُ عند رجوع جدعون طلبت المدن بقرب عفرة ان يتسلط عليها ويكون عليها هو واولادهُ من بعدهِ وهكذا صار القائد جدعون ملكًا في قومهِ . وكانت مملكتهُ في اعظم اتساعها صغيرة . وعلاوة على عفرة فشكيم التي كانت وقتئذٍ المدينة الرئيسية في بلاد السامرة المتوسطة وتاباص مدينة تبعد عن عين فرح شمالاً ثلاثة اميال ومدينتا سكوت وفنوئيل اللتان اخضعهما اعترفت بسلطتهِ ولم تكن مملكة جدعون في اوسعها اكثر من ٢٥ ميلاً طولاً ومثلهُ عرضًا من الشرق الى الغرب

اسباب تفوُّق الفلسطينيين ان الاعداء الذين ظلمهم الجأ العبرانيين الى الاتحاد للمدافعة عن نفوسهم وصيرورتهم مملكة هم الفلسطينيون . وهولاء المهاجرون الاشداء الذين جاؤُا من الجزائر وشواطىء البحر المتوسط الشمالية الشرقية دخلوا الى فلسطين الغربية على عهد رعمسيس الثالث في الزمن الذي فيهِ كان العبرانيون يتمكنون في شرقي الاردن . وكان لا بد من تصادم الشعبين . فالعبرانيون نجحوا في افتتاح النجد المتوسط ولكن الفلسطينيين فاقوهم في القوة العسكرية والنظام وهذا الفرق يعزى معظمهُ الى طبيعة الارضين التي اقام بها هذان الشعبان . وبما ان بلاد فلسطين كانت سهلاً لا شيء فيها يفصل الشعب بعضهُ عن بعض كانت مباينة لوطن العبرانيين وكان سكان فلسطين متحدين في العمل والرغائب . والنتيجة انهُ بينما كانت الاسباط العبرانية تحارب حروبها متفرقة او تحارب بعضها البعض تحالف اقطاب الفلسطينيين ملوك المدن الاربع او الخمس العظيمة الفلسطينية

وصاروا شعباً واحداً . وبما ان اراضيهم كانت على جوانب السكك السلطانية التجارية الممتدة من مصر الى سورية كان لهم ان يتناولوا تمدُّن مصر وغلالها من الوجه الواحد وتمدن فينيقية وغلالها من الوجه الآخر . فتعرُّض بلادهم وعدم وجود الحصون الطبيعية فيها اسرع نظامهم العسكري واستعدادهم فسوَّروا مدنهم باسوار متينة واستخدموا في حروبهم المركبات والخيالة والمشاة . ومن هذا نفهم بسهولة لماذا غلبوا العبرانيين في حروبهم الاولى معهم

مواضع قصص شمشون ان قصص شمشون تمثل الفصول الاولى في المعارك الطويلة بين سكان التلال وسكان السهول . ان موطن بطل هذهِ القصص صرعة مدينة الدانيين القائمة على التل الذي يحرس شمالاً مدخل وادي سورق . وعلى بعد ميلين او ثلاثة الى الشمال الشرقي حيث الوادي يتسع كانت مدينة الدانيين الجنوبية المهمة اشتأول . وبين هذين الموضعين كان معسكر دان حيث دُفن شمشون بعد ان اتم الاعمال الحربية العظيمة وفوق الوادي الذي يمتدُّ شرقاً من سورق كانت على ما يظن مغارة عيطم حيث اقام البطل العبراني مرة من الزمن وكانت بيت شمس مقابل سورق التي تشرف على تمنة البعيدة عنها خمسة اميال فقط وكل المحلات التي حارب فيها شمشون ما عدا غزة التي كانت على بعد سفر يوم طويل لم تبعد عن وطن شمشون اكثر من خمسة اميال الى ستة

وبما ان شمشون كان ذا قوة فائقة وهوى نفسيٌّ كان البطل الذي يمثل ابناء الجبال ورائد الخصام العظيم الذي سيهيج عن قريب بين ابناء السهل وسكان الجبال

المعركة الفاصلة ان المعركة الفاصلة التي انكسر العبرانيون فيها انكساراً تاماً وسقط تابوت العهد في ايدي الفلسطينيين حصلت شمالي البلاد التي نبغ فيها شمشون . لان افيق حيث كان محل الفلسطينيين كانت في جنوبي سهل شارون . وفي النسخة السبعينية ذكرت افيق انها في جنوبي سهل شارون

وثوتمس الثالث ذكر افيق في بيان المدن التي استولى عليها انها في شمالي اللدّ لذلك كانت افيق مفتاح الممرّ الى سهم بنيامين . وبعد المعركة بقليل نجد ان الفلسطينيين متحصّنين في مخماس وجبعة. وبعد ان استولى الفلسطينيون على تابوت العهد اخذوهُ بانتصار الى اشدود. ولما ضربهم الله من اجلهِ صاروا ينقلونهُ من محل الى آخر ولكنهم صمموا آخرًا على ارجاعهِ للاسرائيليين . وارجعتهُ البقرتان المرضعتان سارتا في وادي سورق الى بيتشمس التي تمر بجانبها اليوم السكة الحديدية في سيرها الى اورشليم . وقرية يعاريم التي استقر فيها التابوت كانت تبعد خمسة اميال عن بيتشمس

خيمة الاجتماع في شيلوه ان صموئيل الرائي الذي كان قادرًا ان يفسر معنى هذهِ الحادثة من انكسارهم وأخذ التابوت ويعين طريق النجاة ابتدأت حياتهُ في شيلوه . وهذهِ المدينة الصغيرة كانت شرقي السكة السلطانية المتوسطة وعند طريق السهل الشمالي المثمر الذي منهُ تتفرع الاودية الى كل الجهات . والمدينة نفسها قائمة على تلّ صخري مستدير انخفض من التلال حولهُ

ان الجامع البسيط والشجرة الكبيرة في المحل الذي يظن انهُ كان محل الخيمة قائمان امام التل المذكور الآن . وهنا يأتي الناس من كل الجهات ليعيّدوا الاعياد السنوية . وهنا قعد صموئيل عند قدمَي عالي الكاهن الشيخ وذلك المحل لا ضوضاء فيهِ ذو مناظر حسنة من جبال وسهول متوسط لكنهُ منفرد عن مجاري التجارة والحرب ولذلك هو محل موافق العبادة. وبعد ان اخرب شيلوه الفلسطينيون واخذوا التابوت منها لم تنصلح ولم تعد شهرتها اليها

الرامة وطن صموئيل ان مسقط رأس صموئيل على الارجح الرامة التي لم تكن بعيدة اكثر من ١٢ ميلاً عن شيلوه. كانت في سهم افرايم الجنوبي الغربي وهي توافق ما ذكر عنها في الكتاب . وتبعد عن جبعة بخط مستقيم

نحو ١٨ ميلاً الى الشمال الغربي . وهنا في الرامة على المرتفعات كان مذبح قدّم عليهِ صموئيل ذبيحة وبمشورة الله عيّن شاول ملكًا ومسحهُ ليتم الاعمال العظيمة وينجي شعب الله

موضع جبعة ورجع شاول الى وطنهِ جبعة وهي على الارجح القرية المعروفة الآن بتل الفول على بعد اربعة اميال شمالي اورشليم . وهي تعلو عن سطح البحر نحو ٢٧٥٤ قدمًا فتكون اعلى من اورشليم بمئتي قدم وتعلو جبل الزيتون بمئة قدم . وههنا عسكر تيطس عند تقدمهِ لحصار اورشليم بقرب هذا المحل حسب ما روى يوسيفوس المؤرخ ولذلك كانت كاورشليم محلاً متوسطًا وكانت محصنة طبيعيًا وموقعًا موافقًا لتكون القصبة الاولى لكل اسرائيل

موقع يابيش جلعاد ان هذهِ المدينة الاسرائيلية شرقي الاردن التي طلبت من شاول ان يخلصها من ناحاش العموني لا يعرف موضعها للآن بالتحقيق . هنالك وادي يابيش وهذهِ المدينة منسوبة اليهِ وهذا الوادي ينحدر من جبال جلعاد الى الاردن وهو جنوبي شرقي بيسان وعلى ما قال يوسابيوس المؤرخ تبعد سبعة اميال عن بلاّ على الطريق السلطانية الى جرش وبجانب اطلال هذهِ المدينة سهول كبيرة احتشدت فيها الجيوش العمونية . وههنا في الصباح الباكر التظت نار المعركة الاولى الشهيرة من اجل استقلال الاسرائيليين كامة واحدة

الاجتماع في الجلجال ذكر في الكتاب محلان باسم الجلجال الاولى الجلجال التي نصبت فيها خيمة الاجتماع عند عبور الاسرائيليين الاردن وفيها بقيت الخيمة الى ان نقلت الى شيلوه . والثانية على بعد ١٨ ميلاً شمالي بيتين والظاهر ان هذهِ هي الجلجال التي كانت فيها مدرسة الانبياء في ايام ايليا

والاجتماع الذي حصل لاقامة شاول ملكًا لا نعلم في ايهما حصل ولكن الارجح انهُ حصل في الاولى لانها مقدسة عندهم من ايام يشوع وحلولهم في البلاد

تقدم الفلسطينيين ان انتخاب شاول ملكاً كان بمثابة اعلان حرب على الفلسطينيين ولم يمضِ وقت طويل حتى قام ابنهُ البطل يوناثان وهاجم حصون جبعة فتجمهر اعداء الاسرائيليين الاشداء وتقاطروا الى بيت حورون لكي يخمدوا الثورة وعند اقترابهم هجر شاولَ اكثرُ رجالهِ ولم يبقَ معهُ الا القليل. ولكن شجاعة يوناثان حوّلت مجرى الحرب وحفظت لشاول العرش. والظاهر ان الفلسطينيين عندما تقدموا الى مخماس ولم يجدوا مقاومة تفرقوا للنهب ولم يبقَ منهم من يقاوم شاول سوى حرس مخماس وهذا المحل كان مفتاح بلاد كنعان الوسطى . وجنوبي شرقي مخماس لهب (شيرا يشرف على الوادي حيث الوادي ضيق والالهاب على الجانبين وهذا الموضع كان على الارجح المكان الذي اظهر فيهِ يوناثان اعماله الحربية التي تذكر فتشكر (انظر ١ صم ١٤: ٦-١٥)

الانتصار العظيم على الفلسطينيين كان شاول وابطال الحرب على المرتفعات جنوبي مخماس فاطلّوا على عبر الوادي فرأوا الشغب بين الفلسطينيين فالملك لحماقتهِ المشهورة اندفع دون ان يستشير الله ولحق الفلسطينيين الهاربين واجتمع بالعبرانيين الذين كانوا هجروهُ واختبأوا في تلال افرايم واوديتهِ . وتلك الارض كانت ملائمة للحروب الطاحنة غير المنظمة التي بها كان العبرانيون ماهرين . وبما ان الفلسطينيين كانوا متعودين حرب السهول كانت التلال والاودية غير ملائمة لهم فانتصر الاسرائيليون وطردوا الفلسطينيين في الاودية الى الغرب حتى عجلون التي كانت مفتاح البلاد الجبلية

حروب شاول كان انتصار شاول انتصاراً بيّناً حتى ان الفلسطينيين لم يعودوا الى محاربتهِ عدة سنين . فانتهز الفرصة واصلح شأن جيشهِ ونظّم مملكتهُ التي على الارجح لم تمتدَّ الى ما وراء سهل مرج ابن عامر شمالاً . وقصبتهُ جبعة كانت محلاً حربياً موافقاً لانهُ كان معرضاً للغزو من كل جهة .

وحارب العمالقة في الجنوب ولعصيان شاول في عدم تحريم العمالقة رفضهُ الله وهاجمهُ من الجنوب الشرقي الادوميون . وكان يطلب العمونيون من الشرق ان يوسعوا حدودهم نحو الغرب . وفي هذهِ المدرسة القاسية تعلم الاسرائيليون بقيادة ملك حربي شجاع ليس ان يحاربوا بشجاعة فقط بل ان يتحدوا ايضاً ولذلك افلحوا

الفصل السادس عشر

المحلات التي اشتهر فيها داود

بيت لحم مسقط راسهِ ان تاريخ المملكة العبرانية المتحدة يتعلق بمؤسسها داود وليس شخص في العهد القديم سُطّر عنهُ بتفصيل وطريقة جذابة اكثر من الصبي الراعي صبي بيت لحم . والمدينة مسقط رأسهِ كانت جميلة قائمة على رأس يمتد شرقاً من ظهر بلاد يهوذا المتوسطة تحيط بها الاودية العميقة من الجهات الثلاث . وتطلّ على برية اليهودية وحولها حقول القمح والشعير وعلى جوانب تلالها الكروم و بساتين الزيتون واللوز وهي احدى المحلات الاكثر خصباً في كل بلاد يهوذا . ليس من ينابيع في القرية نفسها واقرب ينبوع اليها يبعد نصف ميل عنها وسكانها يعتمدون الآبار المنقورة في الصخر والحياض التي هي كثيرة والمياه المجلوبة باقنية من برك سليمان . والارض حول بيت لحم موافقة للمرعى يرى فيها السائح قطعان الغنم والمعزى بكثرة

الحرب في وادي البطم تبعد بيت لحم عن جبعة قصبة شاول نحو عشرة اميال جنوباً على خط مستقيم ولذلك كان لا يصعب على شاول بعد ان

سمع ما عرضهُ داود ان يدعوهُ الى خدمتهِ . والحادثة التي جذبت انظار الامة الى الشاب الراعي حدثت في وادي البطم الذي كان يبعد اثني عشر ميلاً على خط مستقيم غربًا عن بيت لحم . وشكل هذا الوادي يوضح الحادثة الحربية المهمة في تاريخ اسرائيل ايضاحًا كافيًا . فالجيش الفلسطيني كان مصطفًا للقتال بين سوكوه وعزيقة في افس دمّن (الوادي ذي الاراضي الحمراء الغامقة) فسوكوه كانت على جانب الوادي الجنوبي وعزيقة كانت على الجانب الاخر نحو الشمال الغربي . وكان الفلسطينيون وقوفًا على جبل من هنا واسرائيل وقوفًا على جبل من هناك والوادي بينهم . وفي هذا الوادي مجرى فيه حجارة مستديرة بيضاء . وصعوبة المقام الذي احتلهُ الجيشان ربما سبب تأخرهم في المهاجمة و يوضح لنا شجاعة ذلك الشاب الذي خاطر بنفسهِ وعبر ذلك الوادي العميق وذهب وحدهُ لمحاربة الفلسطيني الجبار . ولا عجب بعد ان قتل داودُ جليات صار الراعي البيتلحمي مشهورًا ومحبوبًا من الجميع وموضوع آمالهم . والامر طبيعي ايضًا ان شاول السريع الانفعال يحسد الشخص الذي يظهر انهُ قد سلب منهُ قلب الشعب

موضع نُوب ان نوب حيث وضع داود عند الكاهن سيف جليات كانت قائمة على مرتفع بقرب اورشليم شمالاً . بجانب الطريق العامة الممتدة شمالاً نحو نصف الطريق بين اورشليم وجبعة نجدٌ طولهُ نصف ميل وعرضهُ اقل من ربع ميل ويظن ان هذا موضع نوب . والموضع سكوبوس الذي ذكرهُ يوسيفوس يشرف اشرافًا تامًا على اورشليم . وهنا وقف داود عندما كان هاربًا من غضب شاول . وهنا ارتكب احدى خطاياهُ العظيمة اذ خدع كهنة نوب وجعلهم ضحية لحماقة شاول وغضبهِ . وذهب داود من نوب الى الجنوب الغربي ليطلب ملجأً في المدن الكنعـانية في الارض المنخفضة بين اليهودية وفلسطين

حصن عدلاّم عدلاّم الحصن الذي لجأ اليهِ داود هو من غير شك

المحل المعروف اليوم بعيد الماء في وادي الصور على بعد ميلين او ثلاثة اميال جنوبي المحل الذي انتصر فيهِ داود على جليات . وهو تل مخدر ناشز الى الوادي عند حضيضهِ بئر ومغاور معتدلة الحجم عند قمتهِ والتل يشرف على الطريقين اللذين يمتدان من بيت جبرين في الغرب ومن حبرون في الجنوب الشرقي . ومن هذا المحل يمكن ان تُراقب الطرق النازلة من الشمال والشمال الشرقي وفي نفس الوقت كان الحصن على حدود ارض فلسطين التي كانت ملجأً للهاربين من بلاط شاول وكان من عدلام الى بيت لحم طريق قدَمية كان هين على اتباع داود ان يسيروا فيها

قعيلة كانت هذهِ المدينة المهمة التابعة لسبط يهوذا في وادي الصور تبعد عن عدلام جنوباً نحو ثلاثة اميال او اربعة وقد ذكرت عدة مرار في مكاتيب تل العمرنة وكانت في ذلك الوقت على حدود يهوذا ولم تزل حقولها تكسوها الحنطة كما في ايام داود

وهنا البيادر التي جاء اللصوص الفلسطينيون لينهبوها واذ خلَّص داود قعيلة كان قادراً ان يعلن باوضح عبارة اخلاصهُ لانسبائهِ ويربح قلوب قبائل الجنوب

مواضع هربهِ وجد داود انهُ اذا كان في مدينة مسوَّرة يكون عرضةً ان يقبض شاول عليهِ لذلك هرب الى حدود بلاد اليهودية الجنوبية حيث كان يصعب اتباعهُ ويسهل هربهُ الى البرية الصخرية التي تمتد الى البحر الميت ولكنهُ بقي قريباً من المحلات المسكونة وكان في جنوبي حبرون من احسن الاراضي المخصبة في اليهودية وهذهِ الاراضي كانت نجداً منبسطاً طولهُ نحو تسعة اميال وعرضهُ ثلاثة فيهِ الحقول المثمرة مع انها صخرية والقرى العامرة . والمدينة زيف التي تسمَّت البرية باسمها حيث اختبأَ فيها داود كانت وسط هذا النجد . وتل حخيلة الذي فيهِ عنا داود عن نفس شاول النائم يُظن انهُ اليوم ما يعرف بظهرة القلعة التي تسمت باسمها سلسلة التلال التي تمتد

شرقاً . وكان جنوبي زيف مدينتا الكرمل ومعون تحيط بهما الحقول المثمرة والمراعي الخضراء وعلى حدود هذه الاراضي يضرب العرب خيامهم ومن السكان يأخذون الاتاوة كما اخذها داود من نابال مكافأة له على حراسته للقطعان . وزواج داود بابيجايل بعد موت نابال قوَّت العلاقات الحبية بينه وبين قبائل الجنوب وجعلته مثرياً وذا مقام ثابت ولكن زاده تعرضاً لخطر القاء القبض عليهِ

داود في جت واضطر داود ان يقيم بين اعداء شاول ليجد عملاً للمحاربين القلقين اللذين تبعوهُ . ويُظن ان جت تل الصافي اليوم يشرف على فم وادي السنط الذي يمتدُّ الى السهل الفلسطيني . وجت هي اقرب مدينة فلسطينية الى المحل الذي نال داود النصرة فيهِ والى عدلّام التي هرب اليها اولاً . وكانت جت في كل ايام حكم داود وسليمان مفتاح ارض الفلسطينيين وملكها قبِلَ داود بالترحيب وكعادة الشرقيين اضافة لانهُ هارب من بلاط ملكٍ مناظرٍ لهُ . فاثَّر ناسوت داود الجذاب في هذا الملك الفلسطيني كما انهُ اثَّر في كل معارفهِ . والقطيعة التي كانت فيها جت كانت مأهولة بالسكان فلم يكن فيها مكان للعمل لاتباع داود وعيَّن الملك اخيش مدينة على الحدود واعطاها لداود وجعلهُ حارس الحدود الفلسطينية

في صقلغ ان موضع صقلغ غير معروف الآن وعلى الارجح انها في المحل المعروف بزحيلقة الذي يبعد ١٩ ميلاً الى الجنوب الغربي عن بيت جبرين و١١ ميلاً جنوبي شرقي غزة . واطلال صقلغ على ثلاثة تلال . ويظهر انها كانت مدينة حدود . ومن هذه المدينة كان داود قادراً مع محاربيهِ ان يشنَّ الغارة على قبائل الصحراء . وهي المدينة التي ربَّت لاسرائيل ملكاً وجعلت لاتباعهِ خبرة في الاعمال الحربية الصعبة وسمحت لهُ من غير ان يهيج اوهام الفلسطينيين ان يُظهر اخلاصهُ لشعبهِ ولاسيما للاسباط العبرانية اسباط الجنوب الذين كانوا اكثر تعرضاً للصوص البدو هؤلاء

اسباب غزو الفلسطينيين للاسرائيليين في الشمال ان وجود داود بين الفلسطينيين ومعرفتهم بضعف شاول حملهم على جمع قواتهم كلها وحاولوا ان يقرضوا المملكة العبرانية . وفي هذهِ كانوا حكماء اذ تجنبوا المحلات الضيقة التي يسهل الدفاع فيها في جنوبي اسرائيل وساروا في الطريق الساحلية في وسط سهل شارون مارّين بحصن مجدُّو الى جانب مرج ابن عامر الشرقي . وهذهِ الطريقة مكنت الفلسطينيين من التقدم في السهول الواسعة حيث المقاومة غير سهلة وحيث مركباتهم تمر بسهولة و بهذا فصلوا العبرانيين في الشمال عن الذين في الجنوب في المحل الذي كان فيهِ الاتصال ضعيفًا . وكان قصدهم من غير شك ان يجعلوا الطريق السلطانية العظيمة الممتدة من فلسطين في سهل مرج ابن عامر الى دمشق و بابل مفتوحة للتجارة. فاتخذوا لهم مقامًا على ما يظهر بقرب شونم عند حضيض جبل دُحي على الجانب الشمالي من وادي يزرعيل بينما كان الجيش العبراني محتلاً محلاً حصينًا على الطرف الشمالي من مرتفعات جبل جلبوع المنحدرة

سفر شاول الى عين دور ان سفر شاول ليلاً ليستشير عرّافة عين دور حملهُ على عبور يزرعيل والسير في الوادي الواسع شرقي شونم جبل دحي جنوبي جبل تابور. وضيعة عين دور الصغيرة على منحدرات جبل دحي الشمالية مقابل جبل تابور عبر الوادي. وقمة جبل دحي اليوم فيها المغاور العميقة التي يقيم فيها الوطنيون الفقراء وهذهِ المغاور بطرقها المظلمة كانت ملائمة لفن العرافة الباقي في البلاد مع ان شاول ذاته بذل جهدهُ في ابادتهِ من مملكتهِ

واقعة جلبوع ان شجاعة شاول ظهرت ظهورًا تامًا في واقعة جلبوع والموضع الذي وقف الجيش فيهِ اختارهُ اختيارًا لملائمتهِ لانهُ كان يشرف على وادي سهل مرج ابن عامر ووادي يزرعيل . والفلسطينيون لكي يتملكوا الطريقين المارين في الواديين كانوا مضطرين ان يطردوا الجيش العبراني من محلهِ الموافق ويقاوموا الصعوبات . وكان يصعب مهاجمة العبرانيين من

الشمال من جهة شونم بسبب جدول جلود وكان جلبوع على لمب (شير)
ولكي يتمكنوا من الهجوم سار الفلسطينيون على الارجح في الجانب الشرقي من
سهل مرج ابن عامر ومن ثم تقدموا نحو مرتفعات جلبوع من جهة الجنوب
الغربي حيث يمكن الصعود الى جلبوع بمركباتهم . وهذا الجيش المرعب
انتصر على جيوش شاول المتفرقة اليائسة . والمصيبة كانت عظيمة والملك
الشجاع واولادهُ حاربوا مستقتلين دون ان يفتكروا بالتقهقر . وعلى مرتفعات
جلبوع سقط الرجل الذي اسَّس المملكة العبرانية وامتلك الفلسطينيون
اسرائيل الشمالية. ومدينة بيت شان النصف كنعانية في سهل يزرعيل يظهر انها
سلَّمت بالحال للفلسطينيين لان جسد شاول واجساد اولادهِ الثلاثة علقت
للتعيير على اسوارها بعد انتهاء الواقعة . ومن مرتفعات جلعاد نزل رجال
يابيش جلعاد في نصف الليل وعبروا الاردن وانزلوا جسد شاول واجساد
اولادهِ ودفنوها في ارضهم لكي يفوا الدَين العظيم المدينين بهِ لمتقدم

بقية مملكة شاول ان قبائل شرقي الاردن كانوا في كل ذلك العصر
مخلصين جداً لبيت شاول لانهُ كان قد خلصهم سابقًا ولانهُ حارب اعداءهم
بعد ذلك في الشرق. ولذلك كان من الطبيعي ان تكون قصبة بقية المملكة في
محنايم في جلعاد. وموقع هذهِ المدينة المهمة لم يعرف الى الآن معرفة تامة. والارجح
انهُ عند اطلال محنة شمالي مدينة عجلون الحالية . و يظن بعضهم انها هي جرش
الحاضرة بجانب جدول يأتي من الشمال و يصب في نهر الزرقاء ونفهم من
عدة شواهد من الكتاب ان محنايم كانت اقرب من جرش الى الاردن . وهنا
ايشبوشث بن شاول الذي خلف اباهُ كان في امان من هجمات الفلسطينيين
وقبائل اسرائيل الجنوبيين الذين استقلوا بالحال بعد واقعة جلبوع

حبرون قصبة داود الاولى واختارت بالطبع هذهِ القبائل قبائل
الجنوب بطلها المحبوب ملكًا عليها . والطريقة التي بها وزَّع ما سلبهُ من العمالقة
قبل سقوط شاول تشير اشارة واضحة الى انهُ كان يسعى الى ارضائهم وجذبهم

اليهِ وبناء على هذا صار داود ملكًا في حبرون التي كانت المدينة الرئيسية في يهوذا وكل البلاد الجنوبية في ذلك الوقت . والمدينة القديمة كانت قائمة على التل شمالي غربي المدينة الحاضرة واهميتها لا تتوقف على قوتها العسكرية بل على موقعها المتوسط ووجود ينابيع صيفية فيها . وبركتان من بركها القديمة لا تزالان في الوجود . وطول البركة في شمالي المدينة ٨٥ قدمًا وعرضها ٥٥ والبركة التي في الوادي اكبر من الاولى لان طولها ١٣٠ قدمًا وكذا عرضها وعمقها ٢٨ قدمًا . وعلق داود على ما جاء في الكتاب قتلة ايشبوشث بن شاول بجانب هذهِ البركة . وشمالي مدينة حبرون بنحو ميل بقرب الطريق القديمة عين وبركة تسمى اليوم عين ساره حيث ذبح يوآب مناظرهُ ابنير غدرًا . وفي وسط حبرون تمر السكة السلطانية من كنعان المتوسطة الى مصر ومن حبرون تتشعب عدة طرق جاعلة المدينة مركزًا عظيمًا للتجارة بين فلسطين والقفر والبلدان المجاورة . وحول المدينة حقول مثمرة والتلال يكسوها شجر الزيتون والكرم وهذا ما حملهم على اختيارها لتكون قصبة المملكة الصغيرة مملكة داود

احوال المملكتين العبرانيتين وامتدت سلطة داود فعلاً الى بعد خمسة اميال شمالي اورشليم وكانت جبعون (الجب) على حد مملكتهِ الشمالي وكانت هذهِ المدينة المهمة قائمة على مرتفع علوهُ ٢٥٣٥ قدمًا قريبة من الطريق السلطانية وللطريقين الاثنتين من وادي عجلون الى الاردن . وعلى جانب التل عين ماء تجري الى بركة كبيرة طولها ١٢٠ قدمًا وعرضها ١٠٠ . وهنا على هذهِ البركة تبارز رجال يوآب قائد داود ورجال ابنير قائد ايشبوشث من كل فريق ١٢ واشتبكوا في النزال وقُتلوا جميعًا . وفي حربها التالية التي جرت بالحال اضطر ابنير ورجالهُ الى الهرب وهذا كان علامة على ان بيت شاول يضعف وبيت داود يقوى والارجح ان داود في ذلك الوقت كان لم يزل خاضعًا للفلسطينيين يؤديهم الجزية ولذلك كان امينًا من هجماتهم وقادرًا

ان ينظم مملكته

ومن الوجه الآخر كانت مملكة شاول على جانبي الاردن معرَّضة دائمًا لهجمات الفلسطينيين الحربيين من الغرب والعمونيين من الشرق

الحروب الاخيرة مع الفلسطينيين لما قتل ايشبوشث غلاماهُ غدرًا لم يبقَ لاسباط اسرائيل الشمالية من منقذ سوى داود وكل تمرينهِ الحربي السابق كان استعدادًا لهذا العمل العظيم وكان قبولهُ التسلط على الاسباط الشمالية بمثابة اعلان حرب على الفلسطينيين . ولم يتكلم الكتاب عن حوادث ذلك الزمن المهم الا بالايجاز ولكنهُ من الحوادث يتضح ان الفلسطينيين لم يتنازلوا عن سلطتهم على يهوذا الا بعد حروب طويلة شديدة . وكانوا مرة مالكين مدينة داود بيت لحم فاضطرّ داود ان يلجأ الى حصن عدلام على الحدود. وظهر انهم في بداءة الامر قد تسلطوا على سلسلة الحصون التي على حد يهوذا الشمالي وهكذا فصلوا عبرانيي الشمال عن الجنوب والمدن الكنعانية من جازر الى يبوس الخاضعة للفلسطينيين اتمت السلسلة الفاصلة

انتصارات داود واذ كان الفلسطينيون اقوياء بسبب هذهِ الحصون غزوا يهوذا من البابين الغربيين الرئيسيين وادي سورق ووادي السنط فصار داود مضطرًا ان يعوّل على مساعدة يهوذا ومساعدة البلاد الجنوبية وملائمة الارض التي كانت تستعر فيها الحرب غير المنظمة. واختبار داود وحذاقتهُ افادتهُ فائدة عظيمة وانالتهُ الانتصار .وكان الفلسطينيون مضطرين ان يعودوا كل سنة لزراعة اراضيهم وحصدها ولذلك خسروا كثيرًا من ثمرات انتصاراتهم . والمعارك المتعددة اسفرت عن انتصار داود وتشددهِ. وكانت المعركتان الفاصلتان في وادي رافايم الذي هو وادٍ عريض قريب الغور الى الجنوب الغربي من اورشليم. منهُ تمتدُّ الاودية المتصلة معًا الى بيت لحم والجنوب بينما الوادي الرئيسي رافايم يمتدُّ غربًا الى وادي سورق الكبير والفلسطينيون في هذا السهل ذي الحقول الواسعة المزروعة قدروا ان

ينظموا قواتهم وفي نفس الوقت ان يحافظوا على علاقتهم مع وطنهم في الغرب

وهنا كان داود قادرًا ايضًا ان يجمع تابعيهِ من الجنوب . فاذا انكسر يكون له طريق للنجاة الى برية يهوذا المجاورة في هذا المحل كانت المعركة الاخيرة الفاصلة لاستقلال العبرانيين واسرائيل نال الغلبة المبينة . والفلسطينيون على ما جاء في الكتاب كانوا مضطرين ان يتركوا كل حصونهم الشمالية من جبعون الى جازر وصار داود اخيرًا حرًّا ان يبني وينظم تلك المملكة التي صارت بعد حين مملكة عظيمة

الفصل السابع عشر

احوال فلسطين في ملك داود وسليمان

جعل اورشليم قصبة الاسرائيليين كان من اول اعمال داود كملك انهُ ازال تخوم المدن الكنعانية التي فصلت الشمال من الجنوب ليتخذ قصبة خالية من العلاقات المحلية واكثر توسطًا من قصبتهِ السابقة حبرون . فالمدينة اليبوسية اورشليم كانت ملائمة من هذا القبيل وفي نفس الوقت كانت طبيعيًّا اقوى واكثر تحصينًا من حبرون . وكانت مدينة داود الاصلية اورشليم التي تضمّ حسب الظاهر المدينة اليبوسية القديمة على تل اوفل . وبعض الاضافات التي تسمى الملعة تمتدُّ على الارجح الى احد الاودية الملاصقة ويظن انهُ في ملك داود وسليمان بدأت مساكن الاسرائيليين تصعد وتتعدى وادي تيروبيون والتل الغربي. ولكنهُ ليس من دليل على ان المدينة الغربية في

ذلك العهد القديم كانت مسوّرة وداخلة في مدينة داود

حدود اسرائيل الطبيعية ان اسباط العبرانيين المتعددة عند انشاء القصبة الجديدة اورشليم ونقل التابوت اليها من قرية يعاريم اتحدوا اتحاداً سياسيًا دينيًا وثيقًا . وكان العامل العظيم في هذا الاتحاد سياسة داود السلمية وذوقه وشهرته .وكان المعجل لهذا الاتحاد ضغط الاعداء من الخارج والسياسة العدائية التي اتخذها داود لمقاومتهم . ففي الغرب والشمال وصلت املاك اسرائيل الى حدودها الطبيعية ولم يحاول الفلسطينيون بعد هذا ان يغتصبوا التلال الغربية ويفتحوا ارض العبرانيين . والفينيقيون كانوا بفضل مستقرهم شعبًا تجاريًا لا طمع لهم في الغزوات العسكرية وكانت حدود اسرائيل الطبيعية من الشرق والجنوب الصحراء وما دامت الامم القوية كالعمونيين والموآبيين في الشرق تفصلهم عن الاسرائيليين الحدود غير المحصنة فقط لا ضمان للسلم الدائم وتاريخ الفلسطينيين الماضي يشهد كل الشهادة لهذهِ الحقيقة . وداود الملك لم يبطئ عن العمل بمقتضى تلك الاحوال

الحروب مع الموآبيين والعمونيين ان الموآبيين الذين في مدة السلم تقدموا الى مخاوض الاردن كان اول من يهاجمهم داود ويخضعهم فالعمونيون الذين اذ شاهدوا تقدم المملكة الجديدة غربي الاردن بدأوا الخصام واهانوا رُسل داود واستنصروا بعض امراء الشمال الارامبين في هذهِ الحرب لانهُ بعد سقوط المملكة الحثية القديمة كان قد اندفع هولاء الاراميون من الشمال الشرقي وامتلكوا معظم سورية الشرقية المتوسطة . وسكة الصحراء السلطانية التي تمرُّ في قصبة العمونيين وتمتدُّ شمالاً الى الطوائع الارامية جعلت بين الشعبين اتحاداً سياسيًا وتجاريًا . وبما ان الاراميين كانوا ساكنين في السهول ولهم اتصال بتمدن الساميين الراقي كان عندهم مركبات وذخائر حربية مما هو معروف في ذلك الزمن

وكانت هذهِ القوات المتحدة عدواً لداود لا يستخف بهِ ولكنهُ بواسطة الجدّ

والثبات والاختبار انشأ جيشاً حربياً قوياً وقائدهُ يوآب كان من احسن قواد العصر

موضع ربَّة بني عمون ان مواقع هذهِ الحروب الفاصلة جرت في ربَّة بني عمون او بقربها وكانت السهول المتموجة تحيط بهذهِ المدينة ولاسيما في الغرب مما جعلها ميداناً ملائماً لعرض الجيوش وتمرينها . وما جعل المدينة منيعة هو الاكروبلس (القلعة) الهائل الذي يطوّقها كما كانت الاودية تطوّق اورشليم

وكانت متصلة في الشمال بالتلال التي تحيط بها احاطة السوار بالمعصم وبلسان من الارض الصخرية مخفض . وفي هذا الموضع كانت قائمة الاسوار العالية والابراج العظيمة . والتل نفسهُ كان مؤلفاً من ثلاثة جلالي ترتفع من الشرق الى الغرب ولهُ مدخل رئيسي في الجهة الجنوبية وكل من هذهِ الجلالي الثلاثة يحميهِ سور . واعلى ميدان مساحتهُ عدة فدادين يرتفع تقريباً ٣٠٠ قدم عن الاودية المحيطة بهِ ولذلك كان اعظم حصن طبيعي في فلسطين ومن اوجهٍ عديدة اقواها

مدينة المياه ان مدينة المياه التي افتتحها يوآب اولاً يظن انها كانت في وادي نهر الزرقاء الذي يمتدُّ على جانب القلعة الجنوبي . وهذا الوادي وذاك الذي يدخل من الشمال على جانب القلعة الغربي هو موضع مدينة عمان الحديثة. والمدينة الرومانية العظيمة فيلادلفيا كانت ايضاً مبنية معظمها في وادي نهر الزرقاء او عمان كما يسمونهُ اليوم

وهنا مياه الجدول التي كانت تجري بقنوات مختلفة . وبعض الينابيع المندفقة التي اتحدت مع تلك المياه تجعل الاسم (مدينة المياه) ملائماً للمسمى ولكون هذهِ المدينة قائمة في الوادي كانت معرَّضة لهجمات العبرانيين . فاذا أُفتتحت يمكن منع الماء والطعام عن القلعة فتسليم المدينة كلها كما ذكر في الكتاب يكون نتيجة الحصار الطويل

اتساع مملكة داود ان انتصار داود على العمونيين والموآبيين وانكسار الاراميين مكنهُ من توسيع حدود مملكتهِ الى الصحراء . والارجح انها في الشمال الشرقي لم تتعدَّ جبل الشيخ الذي كان حدّها الطبيعي في تلك الجهة

وحارب داود الادوميين في الجنوب حربًا فاصلة في وادي الملح الذي يرجح انهُ كان عند طرف البحر الميت الجنوبي الغربي بقرب الحد الفاصل بين اليهودية الجنوبية وبلاد ادوم

وهذا النسل العربي في صروحهِ الجبلية الصعبة تسلط عليهِ العبرانيون بواسطة معسكراتهم التي انشأُوها في كل البلاد . وبهذهِ الوسيلة وسَّع داود حدودهُ الجنوبية الى لسان البحر الاحمر الشرقي والى شبه جزيرة سينا وهكذا صار لمملكتهِ حدود طبيعية من كل جهة . وفي اقل من قرن دوَّخ داود بجدِّهِ ولباقتهِ وسياستهِ حدود فلسطين الطبيعية وشاد مملكة عظيمة قوية على محاذاة البحر المتوسط الجنوبي الشرقي

عصيان ابشالوم ان وحدة المملكة العبرانية كما برهنت الحوادث بسرعة كانت متوقفة على جاذبية الشخص الذي اسسها وعلى مقدرته

ان الاحزاب المخالفة كانت لم تزل موجودة في المملكة لكنها كانت تتوقع فرصة للظهور واضرام نار الحرب الاهلية. فابشالوم الذي كانت تتودهُ المطامع نجح في استمالة اسباط الجنوب وهاج المناظرة بين الشمال والجنوب . ان منشأ هذهِ المناظرة ليس الاختلافات البسيطة فقط بل الاختلافات الاساسية الطبيعية ايضًا بين اسرائيل الشمال وبين اسرائيل الجنوب . ومن الطبيعي ان عصيان ابشالوم يبتدئ في حبرون قصبة مملكة داود القديمة

واذ هرب داود من العصاة قصد ان يجعل بينهُ وبينهم ذلك الحد الطبيعي وادي الاردن الذي يقسم فلسطين الى قسمين عظيمين . وبين تلال ارض جلعاد واوديتها العميقة كان يشعر داود انهُ في اعظم مأْمن حيث هو يقيم بين ظهرانَي شعب مفلح مخلص تمام الاخلاص للملك حروبهُ وانتصاراته

جعلتهم في مأمن من هجمات اعدائهم الاقوياء وكان قسم فلسطين هذا قلما تسود عليهِ اهواء ذلك الزمن وكان عظيم الولاء لمنقذهِ . وههنا كان يقدر داود ان يجمع تابعيهِ من دون ان يرتبط بالحزب الشمالي او بالحزب الجنوبي

داود في شرقي الاردن لما هرب داود من اورشليم لم يتبع طريق العربات الحديث النازل الى الاردن بل تقدم نحو الشمال فوق جبل الزيتون متجنباً البرية اليهودية الجرداء في الشرق

وعند تقدمهِ الى الشمال صار ممكناً له ان يصل الى السكة المستقيمة من مخماس الى الاردن عن طريق اريحا والارجح ان داود عبر الاردن من المخاضة العالية احدى المخاضتين الجنوبيتين . ومن هذا الموضع تتفرع عدة طرق الى الشمال الشرقي الى جلعاد وعند محنايم قصبة ايشبوشث شمالي نهر الزرقاء كان محل رئاسة الجيش . وأجمة افرايم كانت لاشك اما شمالي نهر الزرقاء او غربيهُ غير بعيدة عن الاردن بين التلال والاودية العميقة التي لم تزل تكسوها آجام البطم العظيمة التي تصل اغصانها الى الارض تقريباً . والسائح في هذهِ المنطقة اليوم لا يستصعب تصوُّر بطمة عظيمة يعلق باغصانها رأس ابشالوم امارب

عصيان اسباط الشمال ان العصيان الفجائي الغريب الذي نشب بين الاسباط الشمالية بسبب اظهار داود المحاباة في ساعة انتصارهِ لاسباط الجنوب انتشر في كل وادي الاردن

وكان قائد هذهِ الثورة رجل اسمهُ شبع من بلاد افرايم الجبلية وأُخمدت نيران الثورة بسرعة في بلاد اسرائيل المتوسطة . ولكن العصاة اتخذوا مقاماً نهائياً في الشمال في مدينة آبل بيت معكة في طرف وادي الاردن الشمالي الغربي . وهي اليوم تل صناعي كبير قائم في وسط الوادي يشرف على اميال من اراضي مرج اخضر . وكان على هذا التل قلعة عالية يسهل الدفاع عنها .

والاطلال في جانبهِ الجنوبي الشرقي تظهر قوة المدينة واهميتها . وقطع سكان المدينة بواسطة امرأة رأس العاصي وقُمعت الثورة

وتختلف طباع اسرائيلي الشمال عن طباع اسرائيلي الجنوب اختلافاً كبيراً لا يصلحهُ وقتياً الا داود بحذاقتهِ

موضع مؤامرة ادونيا وارتقاء سليمان الى العرش ان المنظر الاخير من مأساة حياة داود كان في اورشليم . ولما اثقلت كاهل داود اوزار اولادهِ ووزرهِ العظيم صار يعتزل الاعمال شيئاً فشيئاً واما مسئلة مَنْ يخلفهُ فكانت لم تزل تحت البحث ومؤامرة ادونيا اكبر اولادهِ الاحياء التي بها قصد هذا الامير الطماع ان يحقق تولي الخلافة قامت في شكل وليمة كبيرة اولمها عند حجر الزاحفة الذي بجانب عين روجل (١ مل ١ : ٩) ويظن كثيرون ان عين روجل هذهِ هي عين العذراء في وادي قدرون جنوبي شرقي اورشليم وهذا غير ممكن لانهُ في جيحون اسم عين العذراء القديم نادوا بسليمان ملكاً بعد هذا بامر داود

قيل في ٢ اي ٣٢ : ٣٠ ان " حزقيا هذا سدَّ مخرج مياه جيحون الاعلى واجراها تحت الارض الى الجهة الغربية من مدينة داود " اي الى بركة سلوام الحاضرة على جانب اوفل الغربي

وهذا يوافق ما ورد في امل انهُ حينما نادوا بسليمان ملكاً في جيحون صعد هو وتابعوهُ ثانية الى المدينة المبنية على المرتفعات . فلذلك يكون موضع وليمة ادونيا تحت الجنات الملكية جنوبي المدينة حيث يتصل وادي ابن هنوم بقدرون . ويرجَّح ايضاً انهُ كان شمالي بئر ايوب التي هي عين روجل وهذهِ البئر اما ان تصل اليها المياه من عين العذراء او من ينبوع خاص حتى انها سُميت ينبوعاً وكانت تعرف البقعة التي حولها في ايام اشعيا بعين روجل او القصار التي كانت على ما ورد في اش ٧ : ٣ قريبة من طرف قناة البركة العليا بقرب السكة التي كانت تمتد على الارجح الى ما وراء طرف المدينة الجنوبي الشرقي

ولا يصعب من هذا الموضع ان تسمع اصوات الابواق عند عين جيحون العالية ولكن تحجبها سلسلة اوفل

افتتاح جازر كان من سياسة خليفة داود تفضيل التنظيم على التوسع وبواسطة المعاهدات التي كانت تختم حسب العادات الشرقية بالزواج التمس ان يحقق السلم لمكتهِ فمعاهدتهُ مع مصر جلبت الى حين جيشاً مصرياً الى حدود فلسطين وكان الغرض من هذا الجيش مساعدة سليمان على افتتاح جازر الحصن القوي الاخير الذي بقي في ايدي الكنعانيين

وحصّن سليمان هذا الموقع الحربي المهم في ما بعد وجعلهُ احد الحصون السبعة التي جعل جلّ اعتمادهِ عليها في الدفاع عن مملكتهِ

حصون سليمان وحصّن سليمان ايضاً بيت حورون السفلى القائمة على التل الخصيب المنبسط الذي يشرف على السهول الغربية الواسعة . وهذا الحصن يحرس السكة المهمة الممتدة من الشاطىء مارّة بجبعون الى اورشليم ومنها يمتدُّ فرع شرقيٌّ الى الاردن . وبنفس الطريق حصّن المدينة الكنعانية القديمة مجدُّو على الجانب الجنوبي الغربي من سهل مرج ابن عامر فتمكنت سليمان من التسلُّط على الطريق التجارية العظيمة بين دمشق وفينيقية الى فلسطين ومصر . وجعل مدينة حاصور حصناً خاصاً في الشمال غربي بحيرة الحولة على الطريق الممتدة شمالي بحر الجليل وهذهِ المدينة ذكرت كثيراً في رُقم تل العمرنة وفي قصة السائح المصري في القرن الرابع عشر ق . م

وفي الجنوب كانت اورشليم المركز العسكري العظيم وتامار التي يُظن انها تامارا التي ذكرها يوسيبوس وجيروم جنوبي غربي البحر الميت على مسافة سفر يوم من حبرون تحرس الطريق الذي يمتدُّ الى عصيون جابر وايلة (العقبة) على لسان البحر الاحمر الشرقي . واما بعلة الحصن السابع فلم يعرف موضعهُ للآن . ومن مقامهِ في البيان يظهر انهُ احد الحصون الجنوبية مع انهُ يمكن ان يكون قرية يعاريم التي تحرس مداخل اورشليم الغربية في وادي سورق

سياسة سليمان الحربية والتجارية من المعلوم ان سليمان لم يرَ حسب الظاهر من حاجة ضرورية الى حراسة حدوده الشرقية لان غزوات داود الكاملة انقذت اسرائيل من اخطار الهجوم من تلك الجهة وكل حصون سليمان كانت في الغرب والشمال مما يشير ان الاعداء الذين كان يخافهم هم الفلسطينيون . والغزاة البعيدون الذين يتوقع مجيئهم من مصر او من سورية الشمالية . وكان المقصود من حصن تامار الجنوبي ان يحرس الطريق التجارية الى ثغر عصيون جابر الذي منه سافرت اساطيل سليمان وحيرام ملك صور وتجولت حول شاطىء العربية ووصلت الى المحيط الهندي

ان موضع ارض اوفير غير محقق ولكن صفة الاشياء التي جلبها الفينيقيون والعبرانيون واسماءها تشير اشارة واضحة انها من الهند والارض المسماة بارض اوفير يُظن انها ابهيرا عند مصب نهر الاندس او هي احد ثغور بلاد العرب التي بها محصولات الهند وصلت الى العالم الغربي

موضع هيكل سليمان ان اعظم ما عمله سليمان في ايام ملكه بناه قصره وبناه الهيكل . وشيد البنايات العمومية على طرف اوفل الشمالي عند ما يرتفع بالتدريج عن موضع مدينة اليبوسي القديمة . والصخر المسنن الكلسي المرتفع الى الشمال كان من غير شك بيدر ارونة اليبوسي القديم الذي عليه تشيد هيكل سليمان الفخم . والصخر الحاضر غير المنتظم ذو الحُفَر الغربية القائم الآن في وسط جامع عمر يدل على الارجح مذبح تقدمات المحرقة العظيم الذي كان في الشرق مقابل الهيكل العبراني . وهيكل سليمان هذا قام مقام المحل المرتفع القديم في جبعون حيث يرى للآن مذبح منقور في الصخر

اهمية ملك داود وسليمان ان ملك داود وسليمان منح فلسطين ما لم يكن لها من قبل وما ندر ان نالته بعد في تاريخها المضطرب . منحها عصر السلم والفلاح . فيه نمت ثروة البلاد ومواردها نموًّا عظيمًا ونجاح العبرانيين في تلك الخمسين سنة المجيدة كانوا عجيبًا . فبعد ان كانوا جمهورًا من القبائل

الرحّل المتفرقين المضطهدين صاروا فجأةً مملكة مثرية قوية متحدة وسادة ليس ارضهم فقط بل ارض اعدائهم ايضًا اعداؤهم ابًا عن جدّ والشعب الكنعاني القديم في فلسطين أُبتلع تمامًا وتقدُّمهُ في الزراعة ساواهم فيهِ المنتصرون

تاثير المملكة المتحدة في ايمان الاسرائيليين ان الخصام الحيوي الهائل الذي استعرت نارهُ في ذلك العصر عصر الفلاح قام بين عبادة يهوه التي جلبها العبرانيون من البرية و بين المذاهب الكنعانية المختلفة التي وجدها العبرانيون متأصلة في الارض . فلو انكسر العبرانيون بجانب قيشون او ان داود لم يتغلب على الفلسطينيين في وادي رافايم لكان يشك في نجاح ديانة يهوه في ذلك النزاع العظيم

ان طبيعة ارض فلسطين ملائمة لتوعدة معابد كل منها مخصص لعبادة اله محليّ ولا تقدر ان تتغلب على تأثير هذا المحيط الطبيعي وتبقى محافظة على ايمانها باله واحد سوى سلالة قوية لها حكومة متوسطة نشيطة. فتأسيس مملكة العبرانيين المتحدة في بدء تاريخهم كان عاملاً عظيمًا في انتشار ايمان الاسرائيليين في اله واحد قادر على كل شيء

غلطات سليمان المدمّرة ان مطامع سليمان الذاتية لتقليد البلاطات الشرقية حولة اعمتهُ كل العمى عن رغائب أسرتهِ وامتهِ . والقوة الوحيدة المهمة التي حفظت شعبهُ معًا من بعد خلاصهم من الخطر الاجنبي هي اخلاصهم لملكهم الالهي

فالملك باباحتهِ دخول آلهة محالفيهِ في ظل هيكل يهوه ومظاهرتهِ اياها مع ميل الساميين اليها قد ارتكب خطأً لا اصلاح لهُ لانهُ بهذا اضعف وحدة الامة العبرانية وسلطتهُ على الشعب. وقصّر في معرفة قيمة الروح والعادات التي ورثها رعاياهُ من عيشة الحرية في القفر ومن ايام استقلالهم السبطي حينما كانوا يناضلون من اجل اوطانهم في فلسطين . واذ كان العبرانيون لم يزالوا ذوي علاقة بسكان البادية كانوا يشكون بالسلطة المركزية

كانوا خاضعين بقلق لاوال يأمرهم بعظمة ان يعملوا تحت رعاية سادة مسخرين وان يجلبوا له احسن ثمار الارض وهم قد ورثوا من اسلافهم البدو الحرية الشخصية في المملكة التي واجبات الملك الاولى فيها ان يقود رعاياهُ لا ان يعاملهم كارقاء . وسياسة سليمان تهددت بسلب العبرانيين اثمن كنزين عندهم حبهم للحرية الشخصية واخلاصهم للاله الواحد الملك الوحيد عليهم

الاسباب التي ادّت الى الانفصال ان رجال المملكة المتحدة المشهورين في التاريخ كانوا من سبطي يهوذا وبنيامين الجنوبيين وكثيرون من الاسباط الشمالية كان اتصالهم الاول اتصالاً خفيفاً ببقية جنسهم في ايام داود وسليمان وكان في الشمال الجمهور الاكبر والخيرات الطبيعية الكثيرة المفرطة . وبذل سليمان اكثر جهدهِ في البناء بترقية الجنوب ومما لا مردّ له انهُ لم يمضِ وقت طويل حتى اظهرت الشمال قوتها وطلبت حقوقها بينما تلال يهوذا وبنيامين الجرداء المنفردة حصرت سكانها فلم يتقدموا الا تقدماً بطيئاً . فاودية اسرائيل الشمالي وحقوله المثمرة قطعتها طرق التجارة العظيمة وجعلت لسكانها الفرصة الملائمة لنيل الثروة والعلوم . وفي عصر الضيق والخصام قدر داود بحذقهِ النادر ومقدرتهِ على التنظيم ان يوحّد معاً الاميال المختلفة في المملكة ويتغلب على اختلافات المحيط الطبيعي الاساسية ومع هذا ففي ملكهِ ظهر الاختلاف العظيم بين الشمال والجنوب

ولعل داود نفسهُ لم يتغلب على هذهِ الاختلافات العظيمة في اول عهد تقدم الاسرائيليين . ان سياسة سليمان الحمقاء قوّت واسفاه هذهِ الاختلافات وجواب ابنهِ رحبعام الاستبدادي لمطالب الشمال العـــادلة جعل الاتحاد مستحيلاً

موضع نابلس (شكيم) ان موضع الانشقاق الاخير بين الشمال والجنوب كان نابلس المدينة الكنعانية في قلب ارض افرايم اقوى اسباط الشمال والمدينة كانت من اجمل مدن فلسطين في الموقع واقل قدرة على الدفاع لانها كانت

قائمة في الوادي الذي عرضهُ من نصف ميل الى ميل كامل بين جبلَي السامرة العاليَين عيبال وجرزيم وسفوح هذين الجبلين تكسوها الكروم وبساتين الزيتون . وينفجر شمالي جرزيم ٢٢ ينبوعًا من الصخر تروي جنائن المدينة القديمة التي هي كنابلس الحديثة في سفح الجبل الجنوبي . والمدينة بسبب موقعها الغريب كانت طويلة وضيقة تمتدُّ من الشرق الى الغرب . والوادي المفتوح على الجانبين ليس فيهِ حصن طبيعي ومرتفعاتهُ العالية تجعلهُ معرَّضًا لهجمات الاعداء . واهميتها قائمة على اراضيها الخصيبة التي تحيط بها وعلى السكك المهمة التي توصلها باورشليم وحبرون في الجنوب وباسرائيل المتوسطة ودمشق وفينيقية في الشمال وبالسواحل البحرية في الغرب وبوادي الاردن في الشرق . وكل هذهِ الطرق تتوحد في نابلس جاعلة المدينة في كل تاريخها قصبة تجارية ذات سلطة

اهمية الانقسام ان نتيجة مؤتمر نابلس المختوم هي قسمة اراضي اسرائيل على محاذاة الخط الطبيعي المعلَم من زمن يشوع واثناء الحروب الفلسطينية . كان الحد الفاصل يتبع وادي قلت من الاردن الى جوار مخماس ومن ثم يدور قليلاً جنوبي رامة بنيامين مارًّا في جبعون وشرقًا الى جازر فنالت مملكة اسرائيل الشمالية ثلثي فلسطين وثلاثة ارباع الارض الزراعية على الاقل . وهذا الانقسام جعل مملكة يهوذا متحدة تمام الاتحـاد جغرافيًا وسياسيًا وهكذا انفصلت من الامة المختلفة الاجناس . وصارت حرة كي ترقي حياتها وايمانها . فالانقسام والحروب الاهلية التي وليت اضعفت من غير مردّ قوة المملكتين كلتيهما واعدَّت الطريق للمصير الذي حلَّ بكل منهما بدورها . ومع انهما فقدتا القوة والوحدة حافظتا على افضل ما امتلكتاهُ واشهرهُ الحرية والاخلاص التام ليهوه

الفصل الثامن عشر

المملكة الشمالية

الامور المختلفة في الشمال ان المملكة الشمالية كانت غنية المصادر الطبيعية محتاجة الى الوحدة. فكان داخل ارضها المحدودة كل نوع تقريباً من الهواء والنبات والحيوان وسكانها كانوا مختلفين اختلاف محيطهم الطبيعي ففي اراضي شرقي الاردن كان الرعاة والبدو لم يزالوا سائدين واوديتها في غربي الاردن كانت موطن الفلاحين والمدن على حدودها الغربية وبجانب السكك العظيمة كانت بدأت في ممارسة التجارة . وكان حول بحر الجليل قرى الصيادين النامية ولذلك كانت ضمن حدودها كل انواع التمدن البدوي والزراعي والتجاري . وبالنظر الى شعبها الممتزج ورغائبها المختلفة وموقعها المعرّض فقوتها الوحيدة التي بامكانها حفظ وحدة المملكة الاسرائيلية الشمالية قائمة على نظامها العسكري . وحينما تضعف السلالة يقوم رجل اقوى منها ويستولي على العرش فلذلك نرى ان تاريخ مملكة اسرائيل الشمالية سلسلة عصيانات دموية فيها قام الناكثون من صنوف الجندية وتبوأوا العرش واسسوا سلالات قصيرة العمر

قصبات مملكة اسرائيل الشمالية ان يربعام الذي دعي لعرش مملكة اسرائيل الشمالية بعد الانقسام كان من عامة الناس من مدينة زرده في جبل افرايم وهي لم تُعرَف للآن فجعل قصبتهُ اولاً نابلس . وبما ان هذهِ المدينة كان تحصينها غير ممكن نقل مركز السلطة الى عبر الاردن الى فنوئيل بقرب سكوت ويرجح ان هذا الانتقال حصل عند ما غزا فلسطين شيشق

ملك مصر الذي افتتح غربي الاردن

وبعد هذا انتقلت القصبة ايضاً الى مدينة ترصه في محل غربي الاردن وموقع هذه المدينة غير معروف الآن تماماً ولعلهُ كان عند مدينة طلّوزا الحديثة القائمة على تل يعلو ١٩٤٠ قدماً عن سطح البحر شمالي جبل عيبال . وكان لهذه المدينة عدة حياض قديمة ولم يكن فيها ينبوع وهذا يوافق ما قالهُ احد السيّاح ان ترصه كانت على مرتفع علوهُ تسعة اميال شرقي السامرة والارجح ان موقعها عند تيسير نحو ١٢ ميلاً شمالي شرقي نابلس على السكة السلطانية الممتدة من هذه المدينة القديمة في عفرة جدعون الى بيسان ووادي الاردن الاعلى

ان تيسير ذات موقع عالٍ متوسط وفيها اطلال عظيمة الى الشمال تشير الى انها كانت مرة مدينة مهمة . قيل في ٢ مل ١٥: ١٤ ان "صعد منحيم ابن جادي من ترصه وجاء الى السامرة" وهذا ينطبق على تيسير المنخفضة بقرب الاردن لا طلّوزا التي تعلو ٥٠٠ اقدم عن السامرة ولذلك نشك بعض الشك من ان تيسير هي القصبة الشمالية القديمة

المملكة الارامية ان مملكة اسرائيل الشمالية قاست كثيراً بسبب موقعها المعرّض للخطر فنشبت الحرب اولاً بين مملكة يهوذا ومناظرتها مملكة اسرائيل الشمالية فدارت الدائرة على الاولى فاستنجدت الاراميين وطلبت اليهم ان يهاجموا اعداءها في الشمال فارتكبت بهذا غلطاً مبيناً . وكان الاراميون وقتئذٍ مالكين سورية الشمالية ومثبتين اقدامهم في مدينة دمشق القديمة القائمة في جرعاء (غوطة) في الصحراء على الحدّ بين سورية وبلاد العرب الشمالية . ودمشق بسبب موقعها المتوسط كانت متسلطة على تجارة مصر وفلسطين وفينيقية في الغرب وبلاد البصرة وبابل في الشرق . وكانت "دمشق فرضة الصحراء" فمملكة الاراميين التي كانت قصبتها في هذا الموقع الملائم تقدمت تقدماً سريعاً في الثروة والمصادر العسكرية وصارت حالاً خطراً على استقلال

المملكتين العبرانيتين لان خط توسع الاراميين الطبيعي كان الى جهة الجنوب وما خلّص العبرانيين من ان يذلّوا تمام الاذلال سوى موقع دمشق المكشوف

حصن جبثون الفلسطيني انتهز الفلسطينيون من الجنوب الغربي ضعف المملكتين العبرانيتين وحصنوا جبثون . وهذا الحصن كان موضعاً لعدة حصارات . ويُظن انه كِبيا القائمة عند حضيض التلال على بعد سبعة اميال شمالي شرقي اللدّ وتعلو كبيا ٨٤٠ قدماً عن سطح البحر وهي في وسط الاراضي المختلف عليها بين التل والسهل. وامتلاك الفلسطينيين لجبثون كان خطراً دائماً على مدن افرايم ويظهر ان قوتها قد اخرت الجيوش الاسرائيلية عدة عقود من السنين

مُلك عمري الشديد وحدث انه بينما كان الاسرائيليون يحاصرون هذا الحصن الفلسطيني جبثون مات المصلات زمري وانتخب جيشه عمري فبرهن هذا على انه من اوجهٍ عديدة اقوى ملك استولى على عرش مملكة اسرائيل الشمالية . ونقلة قصبتهِ من ترصة الى مدينة السامرة المتوسطة القوية يدلُّ على ذكاءهُ العسكري ومقدرتهِ على التنظيم. وهو الذي ايضاً انتصر ثانية على اراضي الموآبيين الى حد ارنون وبنى حصوناً منيعة كما ورد في الحجر الموآبي في هذهِ الاراضي ومع ذلك لم يكن قادراً ان يردّ الجيوش الارامية الزاحفة في السكك المفتوحة من الشمال

حروب آخاب الارامية واثبت آخاب بن عمري انهُ اقدر من ابيهِ في القيادة فصدّ الاراميين الذين غزوا ارضهُ في سلسلة وقائع حارب فيها جماهير غفيرة وجيوشاً مجهزة احسن من تجهيز جيشهِ فالعبرانيون في الواقعة الاولى بقرب السامرة انتصروا بواسطة هجومهم الفجائي واستفادوا من اغترار العدو بنفسهِ . والواقعة الفاصلة حصلت بعد هذا بسنة بقرب افيق . وافيق هذهِ ليست تلك التي على جانب سهل شارون الجنوبي الشرقي بل يرجح انها مدينة فيق الحديثة بجانب السكة المهمة الممتدة من طرف بحر الجليل الجنوبي

الى الشمال الشرقي نحو دمشق . واظهر آخاب شجاعة بخروجهِ لملاقاة عدوهِ على حد ارضهِ الشمالي الشرقي

ان المدينة فيق قائمة على قمة النجد عند اول الوادي الذي يُشرف على بحر الجليل من الغرب . ويرجح ان الواقعة حدثت في سهل الجولان الممتد شرقي المدينة فانكسر الجيش الارامي كل الانكسار وأُسر ملكهُ

قوة سياسة آخاب وضعفهُ العظيم وارتضى آخاب ان يبرم معاهدة ملائمة مع عدوهِ المنكسر بموجبها استرد المدن الاسرائيلية المغتصبة وافرز محلاً تجارياً في دمشق للتجار العبرانيين وبذل آخاب جهدهُ في ترقية المصادر التجارية في مملكتهِ. وتزوجهُ ايزابل بنت ملك صور قصد بهِ توثيق العلائق مع ذلك الشعب التجاري العظيم في الغرب

واذا نظرنا الى سياسة العالم نرى ان سياسة آخاب بمحافظتهِ على الحدود الطبيعية وبترقيتهِ مصادر أُمتهِ التجارية كانت صحيحة . واعتبرهُ معاصروهُ انهُ من غير شك من انجح الملوك. وغلطتهُ الفظيعة كانت كغلطة سليمان لانهُ باتباعه المجد العالمي لم يراعِ معتقدات رعاياهُ الموروثة وحقوقهم. والاعتراف قانونياً بالعبادة الكنعانية ديانة المملكة الفينيقية كان اشدّ خطراً على عبادة يهوه النقية في اسرائيل الشمالية في ايام آخاب مما كانت في اورشليم على عهد سليمان وكانت مملكة اسرائيل الشمالية موطن عبادة البعل حيث الكنعانيون كانوا قد وطدوا اقدامهم وعاداتهم الدينية وفرائضهم كانت سائدة في البلاد . والاتصال مع سواحل البحر المتوسط كان عظيماً وكان كثير في فرائض مذهب البعل القديم مما يجذب رعايا مملكة اسرائيل الشمالية المحبي اللهو الاحرار الراقين . ولم يقصد آخاب في سياستهِ ان ينظر في استبدال عبادة الاله الصوري بعل ملكارات بعبادة يهوه بل نتج من عملهِ انهُ غشى على صفات اله اسرائيل الاساسية ومطاليبهِ

وطن ايليا كان من الطبيعي ان النبي الذي كان قادراً ان يفهم الحال

ويظهر اخطارهُ ان يأتي من حدود الصحراء حيث كان موسى طبع على افئدة شعبهِ توحيد يهوه . ومدينة تشبة التي جاء منها النبي ايليا لا يُعرَف موضعها بالتحقيق ولكن يظن انها في ارض جلعاد . وفي حسب التقليد الحديث عند مار الياس قرية شمالي مدينة عجلون الحالية في جلعاد الشمالية ففي هذهِ الارض ذات الاغوار والتلال المنحدرة التي تكسوها الاشجار وتتصل بالتدريج بالصحراء ترنّى بطل يهوه وعدو مذاهب الشعوب الكنعانية المذاهب الدينية المنحطّة . وفي احد هذهِ الجداول التي تجري بين التلال الجلعادية نحو الاردن وجد ايليا ملجأً حينا جفف انحباسُ المطر الحنولَ غربي الاردن وكان وطنهُ الاخر جبل الكرمل الذي قمتهُ المخصبة ومجاليهِ البديعة تشبهُ وطنهُ عبر الاردن

حادثة جبل الكرمل ان ايليا اكمل معظم عملهِ في قطعة الارض الضيقة بين جلعاد والكرمل اذا غضضنا النظر عن التجائهِ الى مدينة صرفة الفينيقية القائمة على لسان من الارض يبعد عن مدينة صيدا جنوباً نحو ثمانية اميال . والى طرف جبل الكرمل الشرقي البارز الى سهل مرج ابن عامرَ دعا الملك والشعب الى مؤتمر عظيم اظهر لهم فيهِ الفرق الجوهري بين ديانة يهوه وديانة البعل . والتقاليد الحديثة تبين ان ذلك المحل هو المكان الذي يسمونهُ محل المحرقة ووجود ينبوع تحت هذا المحل يدعم هذا الاستنتاج انهُ كان معبداً قديمًا وهذهِ البقعة المنفردة البعيدة عن ملاهي الحياة المدنية كانت موافقة تمام الموافقة لابلاغ رسالة النبي المختصرة المؤثرة . وكانت تشرف على كل جانب السهل الغربي الى حصن مجدّو القديم مركز المالك الكنعانية القديمة . والى الشرق كان ميدان القتال بجانب قيشون حيث حارب يهوه من اجل شعبهِ واظهر جليًا ان امة طفلة تقدر ان تُهزم تفوقهُ على آلهة البعل المحلية . والى الجنوب كانت تلال السامرة المائجة المخصبة واوديتها . والى الشمال تلال الجليل العليا والسفلى والى الشرق عبر السهل كانت التلال حيث كان وطن النبي وعلى بُعدٍ في الشمال الشرقي كان جبل الشيخ العالي المعمم بالثلج

وهذا المكان كان يحدث بوضوح وتأثير بقدرة يهوه ومحبتهِ وعنايتهِ بشعبهِ واخيراً بعد ان انتهى امر المجمع الكبير لمع البرق ودمدم الرعد في كل السهل فلم يشك احد ان يهوه كان لم يزل بين شعبهِ يتطلب ولاءهم الكامل الذي لا يشاركهُ فيهِ احد

يزرعيل القديمة يُظن ان يزرعيل قصبة آخاب الشمالية هي قرية زرعين الحالية ولكن عدم وجود الاطلال في هذا المكان يجعل هذا الظن مشكوكاً فيهِ . ان زرعين قائمة على مرتفع عريض يعلو ٢٠٠ قدم عن السهل تحيط بهِ الحقول المثمرة التي تمتدّ اميالاً في كل جهة تقريباً . وما ورد في ١ صم ١:٢٩ "كان الاسرائيليون نازلين على العين التي في يزرعيل" يدل على ان موضع المدينة القديم اما على بُعدٍ في الشرق بقرب الينبوع الغزير الذي يدعى اليوم عين الميتة او الى الجنوب الشرقي تحت طرف جبل جلبوع الشمالي الغربي بجانب عين جلود التي يُظن انها عين حرود الشهيرة المذكورة في قض ١:٧

كانت يزرعيل على السكة المتوسطة الممتدة من مملكة اسرائيل الشمالية الى الجنوبية تحرس مدخل وادي يزرعيل ويسهل ان تحول هذهِ الارض المخصبة برعاية الاسرة المالكة في وقت قصير الى فردوس من الجنات والكروم. ومع ذلك فيزرعيل القديمة كانت فردوساً فيهِ الرجل يصغي الى صوت زوجتهِ الحلو لدمارهِ . وآخاب بخروجهِ واخذهِ بيديهِ القاسيتين كرم نابوت قضى على اسرتهِ بالنفي والموت وصوت نبي جلعاد البطل اعلن هذا القضاء وبقرب هذا الكرم عينهِ لحست الكلاب دم آخاب حينما ارجعت جثته وسير بها في سهل يزرعيل من موضع واقعتهِ الاخيرة مع الاراميين

موضع راموت جلعاد ان موضع راموت جلعاد الشهيرة التي كانت ميدان مواقع كثيرة بين العبرانيين واعدائهم الشماليين غير معروف تماماً ككثير من المواضع في شرقي الاردن . ويظن بعضهم انها هي ريمون على بعد بضعة اميال غربي جرش على احد فروع يبوق الشمالية ولكن هذهِ ليست على

سكة مهمة وليس لها ماء ولا اطلال مدينة قديمة . ويظن يوسيبوس ان راموت جلعاد هي السلط على بعد ١٥ ميلاً غربي راموت عمون . ولكن هذه بعيدة اكثر من اللازم في الجنوب ولا توافق تماماً خبر الكتاب المقدس وليس من سهل كبير قربها فيه تتمكن المركبات من الحركات الحربية. ويظن ان جرش الحديثة القائمة على احد روافد نهر يبوق الشمالي كانت موضع الحصن الشهير . والاسم راموت يعين انها كانت على مرتفع عريض وشهرتها كمدينة حدود في الحروب الارامية تشير الى انها كانت في جلعاد الشمالية ولعلها كانت قائمة في موضع قرية رمثة الحديثة في جلعاد الشمالية الشرقية . والمدينة الحديثة اليوم فيها ثكنة عسكرية وهي قائمة بقرب الموضع حيث الطريق الرئيسية من بيسان ووادي الاردن الاعلى تتصل بسكة الحج العظيمة على طرف الصحراء . وهذا يطابق ما ورد في سفر ا مل ٤: ١٣ من ان احد ولاة سليمان الذي كان يقيم في راموت جلعاد جمع الجزية ليس فقط من المدن المنسية حووث يائير في جلعاد بل من قطيعة ارجوب (اللجاه) ايضاً في باشان . ويظن ان ارجوب المذكورة في شمالي وشرقي مخرج يرموق . وراموت جلعاد تبعد مسافة ثلاثة ايام عن مدينة السامرة على ما جاء في تاريخ يوسيفوس . وهذا يوافق القول انها كانت في اقصى حدود ارض الاردن الشرقي . والارجح ما قاله الرئيس سمث انها هي مدينة جدرا الحاضرة التي تعلو عن سطح البحر ١١٩٤ قدماً وهي قائمة على نجد يبرز من تلال جلعاد . وهذا المرتفع الذي عرضه ميلان وطوله على الاقل اربعة اميال من الشرق الى الغرب يحدّه شمالاً وادي يرموق العميق وغرباً الاردن الذي يبعد عنه نحو ٤ ١/٢ ميل ويسفل عنه نحو ١٨٠٠ قدم ومن الجنوب وادي العرب الذي يمرّ في مضيق عميق في تلال جلعاد . والى جنوبي افيق حدثت الواقعة العظيمة بين العبرانيين والاراميين بقيادة آخاب على احدى الطرق الخاصة التي تصعد من الاردن في وسط اربيلا لتتصل بسكة الحج الى دمشق وبلاد العرب . فهي اذاً البوابة

الخاصة والحصن الطبيعي ايضاً الذي يحرس جلعاد الشمالية . وعلى النجد المستوي الواسع محل لتمرين المركبات الحربية وطريق يمتد رأساً منهُ ماراً بالاردن الى قصبة آخاب الشمالية

وطن اليشع روى ايرونيموس ان آبل محولة وطن اليشع كانت على نحو ٩ اميال جنوبي بيسان ومعنى آبل محولة مرج الرقص او مرج "الدبكة" اي الارض المنخفضة وكل هذا يشير الى عين الحلوة خربة بجانب ينبوع غزير على جانب وادي الاردن الغربي تحيط بها الحقول المثمرة واليشع . في كل خدمتهِ كان بخلاف ايليا اظهر معرفة عمومية واتصالاً تاماً بتمدن مملكة اسرائيل الشمالية الزراعي وميدان. معظم اعمالهِ النشيطة كان وادي الاردن وسهول ومرج ابن عامر المتصلة بهِ

انقلاب ياهو كان اعظم اعمال اليشع دعوتهُ ياهو الى الاستواء على العرش فجاءت هذهِ الدعوة بينما كان يدبر حصار راموت جلعاد ويسهل على المنصور ان يتبع نزولهُ السريع راكباً في المرتفعات من راموت جلعاد عبر الاردن وجانبهِ الغربي ماراً ببيسان وصاعداً في وادي زرعين الى زرعين قصبة آخاب الشمالية . وفي السهل البراح بقرب مدينة يزرعيل ذبح سيدهُ ومن ثمَّ ذهب راكباً الى المدينة ليتم ذبح بيت آخاب . وبالسيف لم يتبوأ العرش فقط بل استأصل عبادة البعل التي جاهد في سبيلها ايليا واليشع

سلطة بيت ياهو ان تاريخ مملكة اسرائيل الشمالية مدة القرنين التاليين تاريخ مذلة ومصائب وياهو حافظ على عرشهِ بتأديتهِ جزية كبيرة لملك اشور الذي كان يحوم جيشهُ على حدودهِ الشمالية . غزا مملكة اسرائيل الشمالية حزائيل ملك الاراميين النشيط القاسي واباد معظم رجال الحرب وفرض عليها جزية كبيرة. وفي ساعة ضعف الاسرائيليين هذهِ غزا الفلسطينيون مملكة الجنوب واخذوا العبرانيين عبيداً الى الاسواق الاجنبية ولم تتغير الحال حتى تبوأ عرش اسرائيل يهوآش حفيد ياهو . ودمشق التي كان يهاجمها

الشعب الارامي الشمالي لم تقدر ان تقاوم الجيوش الاسرائيلية. واسترد اراضي شرقي الاردن ابن يهوآش يربعام الثاني ووضع الجزية على الموآبيين ثانية وللمرة الاولى في تاريخ اسرائيل قام نبيٌّ في ارض الجليل. وفي المدينة الصغيرة جت حافر القائمة على تل غربي السكة التي تمتدّ شمالاً من الناصرة كان يقيم يونان بن امتّاي . وهذا النبي انبأ بان مملكة يربعام ستمتدّ كما صارت من طريق البحر الميت الجنوبي الى المدخل بين جبلي لبنان في الشمال اللذين كانا الحد الجنوبي لمملكة الاراميين القوية الشمالية التي كانت قصبتها حماه

ووصلت مملكة اسرائيل الشمالية ثانية الى اوج عزّها واتسعت اكبر اتساع وسادت على الامة الكبرياء والاعتداد بالنفس واغتنى الشرفاء العسكريون الذين التفوا حول الملك من الغنائم الحربية واستعبدوا وطنييهم الذين استنزفت الحروب الارامية المشومة ثروتهم . وكانت مملكة اسرائيل الشمالية حسب الظاهر قوية ومفلحة ولكن في الداخل كان استبدادها وظلمها الاجتماعيان ينهشان اعضاء الامة الحيوية

تقدم اشور وفي هذا الوقت صارت اشور العامل المتسلط في تاريخ مملكة اسرائيل الشمالية وهذه الامة ذات المطامع والجسورة كانت نبتاً من الامبراطورية البابلية القديمة واحتلت السهول الخصبة شرقي دجلة الاعلى وفي بدء القرن الثامن عشر ق . م بدأت تتخلص من سلطة بابل. وفي نحو السنة ١١٠٠ ق . م وضع تغلث فلاصر الاول اساسات الامبراطورية الاشورية بحروبه في بلاد بابل وعيلام والجزيرة وسورية . ولكنها لم تحارب اسرائيل الا نحو السنة ٨٥٤ ق. م وشلمناصر الثاني بحسب تواريخ الملك الاشوري غلب آخاب وامراء سورية الاخرين في واقعة كركر وافتتح فعلاً في السنة ٨٤٢ ق . م كل سورية واخذ الجزية من ياهو ملك اسرائيل وفي مدة مُلك الملكين الاشوريين التاليين توقف تقدم هذه القوة العظيمة ولكن حينما انشأ تغلث فلاصر الرابع سلالة جديدة اوجد في الامبراطورية همة جديدة واسترجع املاكها المفقودة

ونقدم الى فتح فلسطين

تقوع (تقوعة) وطن عاموس يُظن انهُ في نحو الوقت الذي فيهِ بدأ تغلث فلاصر الرابع يؤسس سياستهُ العدائية لفظ عاموس موعظتهُ التاريخية المؤثرة عند المعبد الملكي في بيت ايل وكان موطنهُ في تقوع على بعد ١٢ ميلاً جنوبي اورشليم و٢٢ ميلاً من بيت ايل. وتقوع كانت حصن يهوذا الشرقي الى شمالها وغربها الحقول الواسعة المخصبة ولكنها تشرف من الشرق على التلال المستديرة الجرداء التي تنحدر الى البحر الميت وعلى مرتفعات موآب العالية. وهي قائمة على نجد مرتفع يشرف على معظم المحلات التي ذكرت في سفر النبي وعلى قريوت في موآب والمنطقة حول بيت ايل والجبال والطرق التي تمتدّ الى بلاد فلسطين ومصر وادوم . والمهم في هذا المنظر هو البحر الميت بمياهِ الزرقاء وضبابهِ المرتفع والمايهِ الصفراء الارجوانية الرمادية . وهذا المنظر الراعب الخشن العبوس اثر تأثيرًا عميقًا في فكر النبي وحياتهِ . وبين مراعيهِ الصخرية الجافة التي تمتدّ الى جانب تقوع الشرقي تعلم النبي . وهي اليوم كما كانت قديمًا ارض الخراف والمعزى . ووعورة تلك القطيعة وقربها الى الصحراء تتطلب رعاة اقوياء شجعاء متعودين المشقات حاذقين في معرفة وجود العدو سريعين في ردّ هجمات الحيوان المفترس ولصوص الغرب المختبئين لطفاء في العناية بصغار المواشي والمتألم منها . وبين هذهِ التلال الجرداء الساكنة او بجانب الينابيع النادرة يرى السائح اليوم مثال هولاء الرعاة ساكتين يعتمد عليهم مسلحين بعصيهم القصيرة الثقلية الخشبية (نبابيت)

تأثير المحيط في النبي هنا تعلم النبي ان يدافع عن المظلومين وان يعرف الخطر عن بعدٍ وان ينبه الناس بامانة اليهِ . ولاشك انهُ وهو في وطنهِ ذهب في الاعياد السنوية والمواسم (الاسواق) الى اورشليم وبيت ايل حيث ظهر تهذيبهُ الراعوي ولم يقدر ان يغض النظر عن ظلم الشرفاء الاغنياء الطاعين للفقراء والمعوزين ورأى عن بعد اقتراب الاسد الاشوري . وبما انهُ

كان راعياً اميناً لم يقدر ان يسكت. واذ تأمل في تلك الحال في وحدتهِ عندما كان يرعى بين التلال حول تقوع وتحقق ان يهوه كان يخاطبهُ بهذهِ الطرق المتعددة اعلن الخطر لكي يرى ولاة اسرائيل الخطر المقبل ويصلحوا الخطأ وبهذا يخلصون الامة. وتأثير حياتهِ الراعوية والخطر المحدق كان يظهر في كل اقوالهِ. وكانت رسالتهُ كعاصفة هبت من الصحراء على مدينة فسد هواءها وتلطخت بتمدن الكنعانيين المنحط الذي كان لم يزل ينجس مدن مملكة اسرائيل الشمالية

الادلة على وطن هوشع وبعد ما ظهر عاموس في بيت ايل ببضع سنين ظهر نبي في مملكة اسرائيل الشمالية نفسها فكرر رسالة راعي تقوع بعبارات موثرة كسابقهِ. ونبوة عاموس لسوء الحظ خالية من ذكر وطنهِ ولكن التقاليد الشرقية سدَّت هذا النقص لان احد مرتفعات جلعاد العالية يسمَّى بجبل هوشع. وهنا بحسب تقليد قديم (اعرف منذ ثلاث مئة سنة ولعل مصدر هذا تقليد يهودي اصلي اقدم منهُ) دُفن النبي. وهنا يضحي البدو للآن بالخراف اكراماً للنبي هوشع. ويمكن ان التقليد قد حفظ لنا حقيقة غير مذكورة في الكتاب والامر الخطير ان هوشع وحدهُ دون سائر الانبياء كرَّر ذكر ارض جلعاد واظهر معرفة صحيحة بتاريخها فيشير مثلاً في ص ١٠: ١٤ الى الوقت الذي فيهِ شلمان والارجح انهُ شلمناصر الثالث الملك الاشوري خرَّب بيت اربئيل في يوم الحرب. والمدينة المشار اليها هي احدى المدينتين اللتين تسميان بهذا الاسم في شرقي الاردن. والارجح انها اربل شرقي بلاً في قلب جلعاد الشمالية. ويصرح في ص ١٢: ١١ "انهم في جلعاد قد صاروا اثماً بطلاً" وفي ص ٦: ٨ يشير على الارجح الى نفس المدينة شرقي الاردن المذكورة في قض ص ١٠: ١١ حيث يقول "جلعاد قرية فاعلي الاثم مدوسة بالدم وكما يكمن لصوص لانسان كذلك زمرة الكهنة في الطريق يقتلون نحو شكيم انهم قد صنعوا فاحشة"

المنظر من جبل هوشع ان قمة جبل هوشع تشرف على اكثر المحلات المذكورة في نبوات هوشع وعبر وادي الاردن اراضي سبط افرايم الكبير الذي يذكرهُ النبي دائماً كمرادف لمملكة اسرائيل الشمالية . وعلى بعد قليل الى الشمال الغربي جبلا عيبال وجرزيم اللذان يحرسان شكيم والطريق الممتدّ باستقامة الى مدينة السامرة . ومن نفس جبل هوشع يرى في الشمال الغربي قمـة جبل تابور الذي هو ابعد مكان شمالاً ذكرهُ النبي .وعبر الاردن امامهُ كان الجبال الشمالي والى الجنوب الغربي قليلاً كان نجد بيت ابل والى الجنوب جبل الرامة . ونبوات هوشع تحوي عدداً عظيماً من الاشارات الى وادي الاردن الاسفل الممتد عند حضيض جبل هوشع . ويُظن انهُ كان مقابلهُ مدينتا ادمة وصبوبيم القديمتان .ويظن ان الاولى هي مدينة ادام المذكورة في يش ٣: ١٦ القائمة بقرب مخاضة دامية تحت مصب الزرقاء في الاردن. والى الشمال سهل زرعين الممتد الى الاردن بينما في الجنوب الغربي يمكن الانسان ان يرى وادي عخور اي وادي القلت نازلاً من بيت ابل وعاي . ويشير هوشع ايضاً الى بعل فغور في جلعاد الجنوبية والى شطيم في الوادي تحت مخاضة الاردن السفلى وهكذا نرى عدة اشارات في النبوءة القديمة ان هوشع كان يسكن بين تلال جلعاد وانهُ مثل عاموس كان يتجوَّل بين المرتفعات. والمجال متسع امام عينيهِ والرسائل التي اداها هذان النبيان كانت تختلف باختلاف المناظر. فعاموس استعمل في لغتهِ مجازات الراعي وهوشع استعمل مجازات الفلاحين فكان عاموس ينظر الى عدل الله وبطشهِ وهوشع كان ينظر الى الحقول المثمرة والتلال التي تكسوها الاشجار التي تحدّث بمحبة الله ورحمتهِ وهكذا رسالتا هذين النبيين المعاصرين كانت الواحدة متممة للاخرى الواحدة اعلنت عدل الله والاخرى رحمته

افتتاح الجليل وجلعاد ان ولاة مملكة اسرائيل الشمالية كانوا غير مائلين لتلبية دعوة هوشع كما فعلوا بتحذيرات عاموس العنيفة وكانت النتيجة

انهُ في السنة ٧٣٤ ق . م . اذ غزا تغلث فلاصر الرابع مملكة اسرائيل الشمالية كان مستويًا على العرش قاتل . وسحق الشعب واضطهدهم اولئك الذين من واجبانهم ان يحموهم واكتسحت جيوش الظافر مملكة اسرائيل . وعيون التي كانت مدينة في سهل الجليل الشمالي المخصب بين نهري الليطاني والحاصباني لم تزل تسمى بمرجعيون وبانوح مدينة في المرتفعات تبعد شرقًا عن صور ستة اميال وآبل بيت معكة على طرف وادي الاردن الاعلى وقادش وحاصور شرقي بحيرة الحولة كانت كلها بين المدن المهمة التي افتتحت في الجليل الشمالي. وغزا العدو ايضًا الجليل السفلي وجلعاد ونقل اهم سكانها الى اشور وصارت املاكها من الامبراطورية الاشورية

الاسرائيليون الشماليون المنفيون وترك تغلث فلاصر الرابع لهوشع آخر ملوك مملكة اسرائيل الشمالية الاراضي غربي الاردن وجنوبي سهل مرج ابن عامر فقط . وبعد ان ملك هوشع عشر سنين يؤدي الجزية لاشور عصى فثبتت قصبتهُ السامرة نحو ثلاث سنين امام الجيوش الاشورية ولكنها اخيرًا في السنة ٧٢٢ ق.م سقطت امام المنتصر فنقل من سكانها ٢٧٢٩٠ نفسًا واسكنهم في اقسام متعددة في الامبراطورية الاشورية فاقام بعضهم في قطيعة جوزان عند مصدر نهر خابور الذي يصب جنوبًا في الفرات ولذلك وجدوا وطنًا بقرب وسط الجزيرة . وتشير الكتابات الاشورية الى ان حلح كانت مدينة في غربي الجزيرة واقام القسم الثالث من المنفيين في المدن الميدية شرقي اشور

نصيب مملكة اسرائيل الشمالية وتُرك معظم شعب مملكة اسرائيل الشمالية في مدنهم وقراهم ولكي يزيل الاشوريون وحدة الاسرائيليين نقلوا المستعمرين من ثلاث مدن بابل وكوثا التي يظن انها كوتو الاشورية مدينة شمالي شرقي بابل وسفروايم شمالي بابل واسكنوهم في مملكة اسرائيل وجلبوا آخرين من حماه قصبة المملكة الارامية المغلوبة . وهولاء المستعمرون اختلطوا

على تراخي الزمن بالوطنيين واختفوا والتاريخ بعد هذا يسمي هذا المزيج بالسامريين والمملكة الاسرائيلية اكثرها خسرت في العصر الثاني اهميتها السياسية والدينية وصارت جزءًا من الامبراطورية الاشورية . وهي بتاريخها المختصر تثبت الحقيقة المأثورة ان الفلاح والفرصة السانحة والتهذيب ليس من الضروري ان تنشئ اخلاقًا قومية قوية . ومملكة اسرائيل في نفس الوقت منحت العالم بواسطة انبيائها بعض الحقائق بشأن عدالة يهوه ومحبته اللذين هما حجر زاوية ايمان البشر

الفصل التاسع عشر

المملكة الجنوبية

تأثير المجتمع في تاريخ يهوذا اذا قابلنا تاريخ مملكة يهوذا بتاريخ مملكة اسرائيل مدة القرنين اللذين وليا الانقسام نراهُ تافهًا وزهيدًا . ان مملكة يهوذا كانت تمنعها حدودها الطبيعية من الاختلاط بالشعوب الاعظم منها في سواحل واودية مملكة اسرائيل. وما دامت مملكة اسرائيل حيَّة كانت تحمي يهوذا من هجمات الاراميين والاشوريين . ولم يكن في مدة هذا العصر حوادث مهمة تستدعي نبوغ السياسيين والانبياء . فاورشليم بالنظر لكبرها وشهرتها كسفت بهاء مدن يهوذا الاخرى حتى ان اعظم الحوادث المهمة في تاريخ مملكة يهوذا حدثت فيها او بقربها . ووحدة هذه المملكة الطبيعية الصغيرة جرَّدتها من عوامل التفريق والتقسيم التي جعلت تاريخ مملكة اسرائيل تاريخ حرب اهليّ وسفك دم . والنتيجة ان أسرة داود حتى خراب اورشليم

في السنة ٥٨٠ ق . م لم ينازعها منازع فعلاً في السلطة والاستواء على عرش يهوذا

غزو شيشق اغتصب عرش مصر في السنة ٩٤٥ ق.م جندي ليبيٌّ مستأجر اسمهُ شيشنق الذي يسميه كتبة الكتاب المقدس شيشق فشرع بالحال في استعادة ما كان للامبراطورية من الامجاد . ولهذا الغرض غزا فلسطين وسورية وبحسب الاخبار التي نقشها على هيكل ثيبة افلح في افتتاح ١٥٦ مدينة وقطيعة من ضمنها المدن القائمة في سهل فلسطين التي منها سوكوه وعجلون وبيت حورون وجبعون في الشمال وشاروحين وعراد في الجنوب . ورحبعام بحسب انباء الكتاب سلب الهيكل ذهبهُ وفضتهُ لكي يؤدي الجزية لهذا الفاتح الغريب

الحرب بين المملكتين ان مملكة اسرائيل حالما انسحبت القوات المصرية استردَّت قوتها اولاً بسبب مصادرها العظمى وحصنت مدينة الرامة على بعد خمسة اميال شمالي اورشليم . وكانت الرامة قائمة على تل ظاهر يعلو ٢٦٠٠ قدم بقرب الطريق الناشطة (المصلبية) التي تمتدُّ الى الجهات الاربع وصار يمكنهم من هذا الحصن ان يقطعوا المواصلات بين يهوذا والشمال . فملك يهوذا ثار لنفسهِ واستأجر مساعدة الاراميين. وحينما انكسر جيش مملكة اسرائيل دُكَّ حصن الرامة الى اساسهِ واخذ ملك يهوذا مواد ذلك الحصن الخرب وحصَّن حصن جبع القديم القوي على بعد ميلين الى الشمال الشرقي فتسلط بهذا على السكة العمومية من الاردن الى سهل فلسطين. وبنفس الطريقة حصَّن المصفاة التل العظيم شمالي غربي اورشليم وهي قائمة على ميلين جنوبي جبعون التي فيها يمر الخط الفاصل القديم بين الشمال والجنوب . وهكذا بقي الحد الحربي بين المملكتين فعلاً كما كان واضطرت المملكتان كلتاهما بعد هذا بقليل ان تتحدا على اعدائهما الاراميين وهكذا لم تحاولا بعد هذا ما عدا مرة واحدة مشومة ان تتعدى الواحدة على الاخرى

حروب امصيا عند انقسام المملكتين وقعت ادوم والبلاد الجنوبية في سهم مملكة يهوذا فشيشق اضعف مملكة يهوذا كل الاضعاف حتى ظهر انها فقدت السلطة باكرًا على الادوميين . ان امصيا والد عزّيا كان اول من انتصر في معركة فاصلة على هولاء الاعداء الجنوبيين اعداء العبرانيين . وكانت تلك المعركة كما في ايام داود في وادي الملح جنوبي غربي البحر الميت والقصة تزيد انه افتتح سالع (الصخرة) عنوة . وغير واضح هل كانت سالع حصنًا على الحدود او كانت كما يظن كثيرون بترا (وادي موسى) قصبة الادوميين العجيبة القائمة في مضيق منقور في قلب الجبال الكلسية بين الغور وصحراء بلاد العرب

واذ نفخ هذا الانتصار في انف امصيا روح الكبرياء طلب بجهل مملكة اسرائيل الى النزال . وكانت المعركة الفاصلة في بيت شمس المدينة المتلحمة القائمة على الطرف الجنوبي من وادي سورق وهي غربي اورشليم على خط مستقيم وفي قلب الاراضي المنخفضة على الارجح اقترب منها جيش مملكة اسرائيل . وبعد الانتصار قوّض جيش مملكة اسرائيل مئتي يرد من سور اورشليم الشمالي الغربي في الموضع حيث المدينة تشرف على النجد الشمالي الموضع الذي كان اكثر تعرضًا للهجوم . ونهبوا الهيكل والقصر الملكي واذلوا مملكة يهوذا تمام الاذلال والمؤامرة التي انتجت هرب امصيا وقتله في لخيش آخر حدود يهوذا الجنوبية الغربية كانت على الارجح ثمرة جهله

ملك عزّيا القوي بنى عزّيا الذي خلف اباهُ اسوار اورشليم وقوّاها بواسطة ابراج كانت تحرس بوابات المدينة الشمالية الغربية والجنوبية الغربية واوصل سلطة يهوذا الى الجنوب ببنائهِ مرفأ ايلة (العقبة) وحارب الفلسطينيين وافتتح جتًّا التي كان قد كسر شوكتها الاراميون ويبنة غربي جازر واشدود جنوبيها

ان موت عزّيا القوي ضايق يهوذا لان خلفاءهُ كانوا ضعفاء . وفي ذلك

الوقت بدأت الجيوش الارامية تغزو فلسطين

اشعياء اورشليم في السنة التي مات فيها عزّيا شرع اشعياء نبي يهوذا العظيم في عمله. وولاؤهُ العظيم لأمته وتصورهُ جلال الله السامي الذي كان يملك على اسرائيل قد اظهر انهُ مولود في مملكة يهوذا ومهذّب فيها. ومعرفته بالملك والبلاط الملكي ومشاكل الامة لا تبقي مجالاً للشك انهُ كان من سكان اورشليم. وترجح انهُ ابن احدى الأُسر الشريفة فيها. وكقاموس خصّص نفسهُ في البداءة لاشهار جرائم الولاة ونتيجة قساوتهم وطمعهم وعدم مبالاتهم بالمسؤولية العامة

نصيحة اشعيا لاحاز في ضائقة ٧٣٤ ق.م اتحدت مملكة اسرائيل مع دمشق في السنة ٧٣٥ ق.م وحاولتا ان تجبرا مملكة يهوذا ان تتحد معها لمحاربة تغلث فلاصر. في ذلك الوقت بدأ اشعيا عمله كسياسي عظيم وذهب شخصياً لينصح احاز النصح وبما ان الملك كان على الارجح يفحص حصون اورشليم متوقعاً امكان حصول حصار قريب كان من المؤكد ان محل الاجتماع جنوبي المدينة حيث يتصل وادي تيروبيون بوادي هنوم بقرب البركة حيث جمع ادونيا قديماً اتباعهُ

وكانت نصيحة اشعياء لاحاز ان لا يتحد مع احد بل يثق فقط بيهوه ويتكل عليهِ في النجاة ولكن الملك والشعب رفضاها

وصار آحاز خاضعاً لاشور. ولم يسلّم فضة الهيكل والقصر وذهبهما فقط للغازي بل ذهب بنفسهِ الى دمشق لاظهار الطاعة لتغلث فلاصر

عصيان ٧٠٢ ق.م العظيم ان الضائقة العظيمة التي استدعت معظم مواعظ اشعياء حدثت بعد ثلاثين سنة اذ حُمل يهوذا على مخالفة ولايات فلسطين الاخرى للتخلص من سلطة اشور

ومملكة يهوذا بالاشتراك مع ولايات فلسطين الصغيرة كانت ضحية لموقعها المتوسط بين قوتي العالم العظيمتين اشور ومصر

واذ كان يتولى شؤون مصر سلالة كوشية بدأت مطامع مصر تتحرك وكانت اشور مطمح انظارها فوعدت ولايات سورية بالمساعدة وشجعتها على العصيان على اشور . فعصت فعلاً اشدود وجت الفلسطينيتان في السنة ٧١١ ق . م وجال اشعياء بثياب الاسر واعلن بهذه الطريقة المنظورة النتيجة اذا عصى يهوذا اشور . وبهذه الوسيلة قدر اشعياء ان يستلفت نظر الامة ويخلصها من المحالفة المميتة . ولما مات سرجون الملك الاشوري العظيم في السنة ٧٠٥ ق . م وكانت تجربة العصيان قوية حتى كان يصعب مقاومتها انتهز الفرصة مرودخ بلادان من نسل الاسرة الملكية البابلية القديمة واوقد نار العصيان الملحة في وادي دجلة والفرات الاسفل و بعث جواسيس الى فلسطين ليحرّضوا الولايات الخاضعة على العصيان عموماً على اشور . فرفعت صور وادوم وموآب وعمون والمدن الفلسطينية وبعض قبائل البدو المجاورة راية العصيان على عدوها الواحد ووعدتهم مصر بالمساعدة ايضاً ومع ان اشعياء احتجّ على هذا بكل قوته وقع يهوذا في الشرك وأُقيم حزقيا قائد العصيان الجنوبي

وطن النبي ميخا ان سنحاريب خلف سرجون بعد ان اخمد نار الثورة في بلاد بابل الجنوبية زحف بجيش جرّار لاسترداد ولايات بحر المتوسط الشرقية . وعلى الارجح انه بينما كان الملك الاشوري زاحفاً من الشمال ان ميخا النبي مُعاصر اشعياء لفظ انذارهُ لشرفاء يهوذا الطامعين المرتشين . ومورشة جت مسقط رأس النبي ميخا

يقول يوسيبيوس وايرونيموس انها قرية صغيرة شرقي بيت جبرين الحديثة التي تشرق على مدخل وادي صفاتة الذي تمر فيه السكة من اورشليم الى غزة . وهناك طريق اخرى مهمة تمتدّ من حبرون وتمرُّ بالاطلال التي تمثل من غير شك جت القديمة ومن هناك تمتد في السهول الساحلية الى الشمال

وكانت مورشة جت مركز اهل الزراعة الفلاحين وفي نفس الوقت

كان لها الصفات الخاصة التي كانت لمدن الحدود

ان ميخا من مسقط رأسهِ بين التلال كان بامكانهِ ان يراقب حركة الجيوش الاشورية و يظل قريباً من سياسة العالم في ايامهِ وأُوحي اليهِ كجاسوس فشعر باقتراب الخطر وعرف احوال الامة وحاول بكل قوتهِ النبوية ان يعدّ الامة للضائقة الآتية واصوات الرعب ترنّ في كل خطبهِ القديمة . وبالتصور صوّر نتيجة الغزو المقبل . وفي اسماء القرى حوله وجد اشارات الى المصيبة التي اوشكت ان تداهمهم . وقع نظرهُ اولاً على جت الواقعة الى الشمال الغربي على السكة التي يقترب منها الجيش الاشوري طبعاً . وامتدّ نظرهُ الى الجنوب فرأى شافير (صوافير الحديثة) على بعد خمسة اميال الى الجنوب الشرقي من اشدود في السهل الفلسطيني وصانان ولخيش الى الجنوب الغربي وقرى اخرى صغيرة على حدود يهوذا الغربية . واستقر نظرهُ اخيراً على مورشت جت التي يعتقد انها تل القديسة حنة الكبير على بعد ميل جنوبي بيت جبرين . والاخيرة كانت اهم مدينة بقرب وطن ميخا لانها تحرس الممرّ وقائمة بقرب ملتقى السكك العظيمة التي تتفرع من هذا الموضع

نصيب يهوذا في السنة ٧٠١ ق.م اصابت يهوذا في السنة ٧٠١ ق.م المصائب التي انبأ بها اشعيا وميخا. وكتابات سنحاريب تبين ان الملك الاشوري افتتح ٤٦ مدينة من مدن يهوذا وحصوناً لا تعدّ ومدناً صغيرة واسر اكثر من مئتي الف اسير وغنم خيلاً و بغالاً وحميراً وجمالاً وثيراناً وغنماً لا تحصى حتى قال المنتصر بلغتهِ البديعة "سجن حزقيا في وسط اورشليم كعصفور في قفصهِ" حتى اضطر ان يسلم و يؤدي جزية من الذهب والفضة

مشورة اشعيا في ضائقة بعد هذا ان حكمة مشورة اشعيا تحققت في هذه الضائقة العظيمة تحققاً ثابتاً . وصارت سلطتهُ عظيمة على الملك والشعب حتى حاولوا ان يزيلوا بعض الرموز الوثنية الباقية من العبادة العامة . وفي الضائقة التالية السنة ٦٩٠ ق.م اذ زحف سنحاريب ليغزو مصر كان النبي قادراً

ينصحوا ان يخلّص اورشليم . وبينما كان سنحاريب مشتبكًا في حصار لخيش الحصن العظيم في السهل الفلسطيني في طرف وادي الحبسيّ الجنوبي بعث رسلاً يطلب تسليم قصبة يهودا من غير شرط . وكان خطرًا في نظر الملك الاشوري ان يترك وراءهُ حصنًا منيعًا كاورشليم التي ثبت من قبل انها مركز العصيان ولكنهُ كان غير منصف في طلبهِ هذا اذ لا برهان على ان اورشليم كانت في هذا الوقت مرتكبة جريمة العصيان . فاشعياء بناء على توبتهم عوضًا عن ان ينذر بالمصيبة كعقاب على العصيان نصح لحزقيا ان يرفض تسليم المدينة للدمار وايمان النبي الثابت تغلب على مخاوف الملك وهكذا حفظ اورشليم قرنًا آخر . وسنحاريب لم ينتظر لينفذ تهديداتهُ التي تهدد بها اورشليم بل زحف على مصر . ويظهر من مصادر متعددة انهُ في الارض السبخة في طرف دلتا النيل الشرقي فتك بجيشهِ الوبأُ واضطر ان يتقهقر تقهقرًا شائنًا . وعند رجوعهِ الى القصبة قتلهُ ابناهُ

ملك منسى المضاد للاصلاح بقيتْ سيادة اشور على فلسطين في مدة ملك منسى خليفة حزقيا والعادات البابلية والاشورية والشرائع الدينية انتشرت في فلسطين اكثر من ذي قبل

وقد اكتُشف صكان شرعيّان مسطران حسب الطريقة الاشورية مؤرخان في السنة ٦٥١ والسنة ٦٤٨ ق . م في ملك منسى في اطلال جازر . احدها صك بيع حقل والاخر صك بيع ارض عليها بيت ومالك الارض كان عبرانيًا (نثنيا) ولكن مالكَي العقار المشتركين والشهود الاثني عشر كانوا كلهم تقريبًا اشوريين ما يدلّ على عظم التأثير الاجنبي في ذلك الوقت ومنسى الضعيف كان قائدًا لحزب التأخر المقاوم تعاليم الانبياء الدينية والادبية فأُحييت التعاليم الكنعانية القديمة كل الاحياء وأُدخلت عبادة الآلهة البابلية والاشورية حتى الى الهيكل في اورشليم . والانبياء والكهنة الامناء اسكتهم الاضطهاد فخصصوا نفوسهم لوضع المبادئ التي اذاعها هوشع واشعياء وعملوها

نواميس مقررة تكيِّف سلوك الشعب اليومي

المصلحان النبيان ان القائدين في حركة الاصلاح العظيم هما ارميا من عناثوث وصفنيا الذي يظهر انه كان له سلطة عظيمة على نسيبهِ يوشيا الشاب وكان صفنيا حسب الظاهر من سكان اورشليم واكثر نبوتهِ مخصصة لانتقاد انواع الضلال المتنوعة وجرائم الاضطهاد المنتشرة في القصبة بينما كان ارميا من غير سكان اورشليم جاء من قرية مجاورة وكان له اختبار تام باحوال القصبة السياسية والاجتماعية والدينية

موقع عناثوث ان بلدة عناثوث الصغيرة وطن ارميا كانت الى الشمال الشرقي من اورشليم خلف جبل الزيتون تماماً في الموضع الذي فيهِ تبتدئ التلال تنحدر الى البرية الجرداء شرقاً . وهي قائمة على تل مستدير منخفض والصخور الكلسية تبرز في مواضع متعددة وتشوّه محيا المنظر وبستان التين الخصيب على جانب المدينة الحديثة الغربي يذكرنا بالصورة المؤثرة التي بها قابل ارميا اليهود الباقين في فلسطين بالمنفيين في بابل . وبيوت المدينة الحاضرة المنخفضة المبنية من التراب والحجر الملتصقة بعضها ببعض والازقة القذرة والشعب تذكّر السائح بسكان عناثوث القديمة الذين اضطهدوا وطنيهم الشهير

ان التلال المرتفعة تحجب المنظر في الجنوب والى نحو الشمال الشرقي تجد جبعون ورامة والى الشمال مخماس بتذكاراتها المبهجة ومنظر عناثوث الرئيسي كمنظر تقوع هو منظر وادي الاردن والبحر الميت والتلال الجرداء الرمادية تنحدر بالتدريج على هيئة جلالي الى الاعماق تحت . والى الشمال الشرقي تلال جلعاد التي تكسوها الاشجار وفي عبر البحر الميت ترتفع الهاب النجد الموآبي المستديرة الصخرية وعناثوث كمعظم اوطان الانبياء العبرانيين محل يرى من كل جهة وتأثير منظرها العام مخيف وجاف ومظلم ومجالي الجنوب الجرداء نحوها بلاد الشمال الجبلية السارة المثمرة . وهكذا صفات ارميا كانت ممزوجة

بشدة العدل والمحبة والشفقة لامتهِ واهل وطنهِ حتى انهُ كان مستعداً ان يضحي نفسهُ اذا لزم ليخلصهم من الشرور التي رآها مقبلة . وكان هذان المحركان العدل والشفقة يتنازعان كل مواعظهِ فيظهر تارة الواحد وطوراً الاخر

ملك يوشيا وجد المصلحون في يوشيا قائداً نشيطاً ففي مدة ملكهِ نزلت القبائل السكيثية من اوربة الجنوبية الشرقية كالسيل الجارف وبعض هولاء البرابرة اجتاحوا شواطئ البحر المتوسط الشرقية وهيأوا لصفنيا وارميا موضوعاً لمواعظهما الاولى . وبعضهم داروا الى الشرق وهجموا على المملكة الاشورية واخيراً باتحادهم مع البابليين افلحوا في افتتاح نينوى نفسها . وسقوط اشور المقبل وافق عمل المصلحين ففي السنة ٦٢١ ق.م جيء بكتاب الناموس النبوي من الهيكل فاتخذهُ يوشيا كنائب عن الشعب دستوراً لهُ على رؤوس الاشهاد وقصة تعليم هذا الناموس الجديد تشير الى ان سلطة يوشيا فاقت حدود يهوذا القديمة . وكان من الطبيعي بعد انسحاب الولاة الاشوريين ان اسباط الشمال الباقية تنظر الى اورشليم كقائدة لهم في السياسة والدين

وهذهِ الحقيقة توضح سبب واقعة يوشيا الاخيرة المميتة التي بها حارب الملك المصري نخو بقرب حصن مجدّو الكنعاني القديم

مُلْك مصر القصير ان نخو بن بسامتك الاول الليبيّ الذي افلح في افتتاح مصر حثتهُ المطامع التي كانت تجول في خاطرهِ كثيراً ان يسترد الاملاك الاسيوية التي كانت من زمن بعيد تابعة لامبراطورية مصر . وكان لهُ من سقوط اشور المقبل فرصة سانحة فنجح في افتتاح المدن الفلسطينية بمساعدة اليونانيين المستأجرين . وانكسار يوشيا في مجدّو في السنة ٦٠٨ ق.م كان واسطة لتملكهِ فلسطين فعلاً . وبنفس هذهِ الطريقة افتتح كل ولايات سورية حتى انهُ بين السنة ٦٠٨ و٦٠٥ ق.م صار سيداً البحر المتوسط الشرقي وهذا المُلْك المصري القصير قوّضتهُ المملكة الكلدانية الجديدة التي قامت في بلاد بابل السفلى وبعد سقوط نينوى اكتسحت كل الامبراطورية الاشورية

والمعركة الفاصلة التي حصلت بين المصريين والكلدانيين كانت في كركميش عند الفرات في السنة ٦٠٥ ق.م وكانت نتيجتها انهزام جيش نخو انهزامًا تامًا فطُرد المصريون بسرعة من سورية وفلسطين وقامت مقامهم السلطة الكلدانية

ملك يهوياقيم وبموت يوشيا قاسى الحزب النبوي المحب لوطنهِ في يهوذا الذل والخسران فخلع نخو صغير ابناء الملك المتوفى عن عرشهِ واقام يهوياقيم الاناني ملكًا يؤدي الجزية لمصر فمال هذا مع حزب التأخر فكان منسى آخر. وحينما ظهر الكلدانيون في فلسطين قبلت سلطتهم بسرعة. ولكن بعد ان ملكوا عشر سنين اصغى يهوياقيم لمواعيد مصر المضلَّة وعصى سيدهُ الكلداني. وفي اثناء ملك يهوياقيم لفظ ارميا معظم مواعظهِ وخطبهِ الصريحة وتعليم امثالهِ انتقد جهالة الملك والشعب وجرائمهم وحاول ان يخلصهم من المصيبة التي رآها مقبلة. ولما كان روح العصيان منتشرًا بذل جهدهُ ليبقي اهل وطنهِ مخلصين للكلدانيين ولكنهُ لم يفلح وبينما كان الكلدانيون يغزون يهوذا مات يهوياقيم وخلفهُ ابنهُ الشاب يهوياكين

السبي الاول وسقطت اورشليم نفسها في السنة ٥٩٧ ق.م امام جيش نبوخذ نصر ونقل الملك وشرفاؤهُ وما بين ٨ الاف وعشرة الاف من سراة القوم وصناع الايدي (ومعدل عدد الكل ما بين ٣٠و٤٠ الفًا) الى بلاد بابل وكان غرض نبوخذ نصر من هذا ان يخلي البلاد من قوَّادها وكل الذين بامكانهم ان يوقدوا نار ثورة ثانية. والذين بقوا من يهوذا ملك عليهم صدقيا احد ابناء يوشيا وكان الملك الجديد مائلاً للاصغاء الى صوت ارميا وللقضاء حسب مسرة رعاياهُ ولكنهُ كان عاجزًا بين ايدي شرفائهِ العنيدين. وخضع يهوذا نحو عشر سنين لسلطة نبوخذ نصر القوية المترفقة على الغالب ولكنهُ في السنة ٥٩٢ ق.م شجعت مصر كما في القديم ملوك ادوم وموآب وعمون وصور وصيداء فنشروا راية العصيان فبذل ارميا جهدهُ ليخلص يهوذا من اشراكهم المميتة ولكن الانبياء الكذبة هدموا ما بناهُ وشجعوا الشعب على الرجاء ان يهوه

سينصرهم بمعجزة

السبي الثاني وفي السنة ٥٨٨ ق.م عصى صدقيا الكلدانيين واثبتت سورية وفلسطين انهما كما في كل التاريخ غير قادرتين على الاتحاد فاقام نبوخذنصر معسكرهُ الرئيسي في ربلة على العاصي بجانب السكة العظيمة الشمالية . ومن هذا الموضع الحربي الذي اثبت التاريخ سابقًا ان منهُ يمكن التسلط على السواحل العبرانية وجَّه نبوخذنصر الجيوش على الولايات العاصية فسلم لهُ معظمها في الحال انما اورشليم وصور ثبتتا وحدهما امام حصار طويل والجيش المصري الذي جاء لانقاذ اورشليم غلب على حدود فلسطين. والذي حمل اتباع صدقيا على المقاومة طويلاً هو الخوف من العقاب ولكن ارميا رأى ان الرجاء الوحيد هو في التسليم وعرَّض نفسهُ السجن والموت . واخيرًا يئس صدقيا وبعد سقوط اسوار المدينة الشمالية امام المحاصرين هرب ليلاً من بوابة المدينة الجنوبية الشرقية ونزل في مضيق قدرون الى اريحا حيث اسرهُ الكلدانيون وحملوهُ الى ربلة على نهر العاصي . وبينما هو سلمت حياتهُ قُتل الشرفاء والقواد الدينيون الذين كان لهم يدٌ في العصيان . ونُفي نحو خمسة الاف من اعيان اورشليم مع صدقيا الى بابل . وسلبت امتعة المدينة والهيكل وهدمت الاسوار وصارت قصبة يهوذا خرابًا يبابًا وتحوَّلت اعياد اسرائيل الى صيامات واغانيها الى مراثٍ

آخرة مملكة يهوذا ولم يشأ نبوخذنصر ان يترك ارض يهوذا خربة تمام الخراب فعيَّن جدليا حفيد شافان الذي كان مستشارًا ليوشيا واليًا على اليهود الباقين في اورشليم فاختار الوالي الجديد مقرًا لحكومتهِ المصفاة افضل موضع في يهوذا الشمالية على بعد اربعة اميال ونصف شمالي غربي اورشليم. وهذهِ كانت احدى مدينتي الحدود التي كان قد حصنها آسا عندما حارب مملكة اسرائيل الشمالية . وموضع قصبتهِ الشمالي يشير الى ان سلطتهُ امتدت كسلطة يوشيا الى قسم كبير من السامرة الجنوبية

وهذا الاستدلال تدعمة الحقيقة ان الاسرائيليين من شكيم وشيلوه والسامرة اتوا بحمايتهِ ليتدموا قرابين على الهيكل المتهدم في اورشليم . ورجع كثيرون من المهاجرين اليهود من موآب وعمون وادوم ليكونوا تحت حماية جدليا العادل اللطيف والوعد بردّ ملك يهوذا اتلفتهُ خيانة شخص اسمهُ اسماعيل من نسل يهوذا الملكي الذي باغراء ملك عمون ذهب الى المصفاة وذبح جدليا بالخيانة واليهود الباقون على رغم نصيحة ارميا هربوا الى مصر واخذوهُ معهم . وهكذا اصاب يهوذا اكثر ما اصاب المملكة الشمالية ومع هذا ففي ساعة تذللها العظيم قام شخصان شجاعان ارميا في فلسطين وحزقيال في بابل البعيدة واعلنا بصراحة ان اليهودية ستعمر ثانية وان مستقبلاً شريفاً ينتظر امتها . واعلن ارميا علاوة على هذا انهُ على قدر ما العهد القديم بين يهوه والامة قد مزقتهُ جرائم الولاة والشعب سيكون عهد روحي جديد افضل من ذاك بين يهوه وكل فرد

الفصل العشرون

العصران البابلي والفارسي

المهاجرون اليهود في مصر وبعد خراب اورشليم في السنة ٥٨٦ ق.م كان اليهود يقيمون في ثلاثة مواضع عظيمة مصر وبابل وفلسطين فمصر بسبب صداقتها لليهود وقربها الى فلسطين الجنوبية صارت ملجأً هرب اليه معظم المهاجرين اليهود. وبما ان اتيان الجيوش الكلدانية من الشمال فالسكة الرئيسية الممتدة جنوباً من حبرون في الصحراء المنفردة كانت الخط الطبيعي للنجاة والنتيجة ان قسماً عظيماً من النسل اليهودي وُجد من هذا الوقت فصاعداً في اراضي وادي النيل حتى ان ارميا وحزقيال من قبل خراب اورشليم النهائي خاطبا كتابة المهاجرين اليهود في مصر. وكان اليهود يقيمون في اربعة مدن مهمة والمدينتان القريبتان من فلسطين هما مجدل وتحفنحيس فالاولى معنى اسمها برج او حصن وهذا يشير بتأكيد الى احدى مدن الحدود التي تحمي حد مصر الشرقي والارجح انها مجدلوس المذكورة في كتاب سفرات انطونيوس وكانت قائمة في الوسط بين بلوسيوم على شاطئ البحر المتوسط وسبله غربي بحيرة التمساح ويظن انها الخراب المعروف بتل السيمط على بعد ١٢ ميلاً جنوبي غربي بلوسيوم بجانب طريق القوافل القديمة الممتدة بين فلسطين ومصر

موضع تحفنحيس ان تحفنحيس هو اسم المدينة اليونانية المصرية دفنة على ما في الكتاب وهي تل دفنة الحديث. وتحفنحيس قائمة على الضفة اليمنى من فرع النيل البلوسي وبقرب طريق القوافل بين فلسطين ومصر وعلى

بحيرة المنزلة السبخة . وكانت تحفنحيس قريبة من اراضي دلتا النيل الخصيبة ومدينة تجارية حربية مهمة من ايام بسامتك الاول . فيها اقام المستعمرون اليونان والفينيقيون . واليها التجأ اليهود الذين هربوا مع ارميا بعد قتل جدليا والمهاجرون هنا وفي مجدل كان لهم اتصال تام بانسبائهم الذين بقوا في فلسطين وكانوا مستعدين ان يعودوا الى بلادهم حالما تلائمهم الاحوال . ولاقامتهم بين اهل التجارة كان لهم فرصة عظيمة للمتاجرة التي كانت الحرفة الرئيسية للمدن على حدود الصحراء

ممفس ان الموضع الثالث الذي اقام بهِ المستعمرون اليهود في مصر هو نوف الاسم الذي اطلقهُ الكتاب على مدينة ممفس المندسة عند المصريين

تبعد هذهِ المدينة العظيمة عشرة اميال عن القاهرة جنوبًا على طرف دلتا النيل الجنوبي . وكانت قصبة كبيرة مخالطة السكان اختلاطًا عظيمًا . ان هيرودتس المؤرخ وجد بقرب هيكل بتاح المصري مستعمرة صورية فيها هيكل مخصص للالاهة "افروديتس الاجنبية" وعلى الارجح اقام هنا اليهود الذين عزموا ان يستوطنوا في مصر والذين يظن انهم بنوا هنالك هيكلاً ليهوه

المستعمرة عند الفانتين (انس الوجود) ان الموضع الرابع الذي اقام بهِ اليهود في سابني في ارض فتروس مصر العليا على ما في الكتاب ويظهر ان سابني هي مدينة اصوان المصرية الحديثة تحت جندل النيل الاول ومجدل وسابني في نبوة حزقيال (٢٩: ١٠) يمثلان حدود مصر الشمالية والجنوبية واكتشاف العاديات الحديثة في طرف جزيرة الفانتين (المعروفة بمصر بانس الوجود) الشمالي القائم في النيل مقابل اصوان اثبت وجود مستعمرة يهودية كبيرة في ذاك المحل الذي زها في القسم الاول من العصر الفارسي والارجح انها أُسست حالاً بعد سقوط اورشليم . والجزيرة احدى جنائن وادي النيل واطلال المدينة القديمة تغطي التل المنخفض على الطرف الجنوبي الذي هو ثلاثة ارباع الميل من الشرق الى الغرب . والى الشرق عبر النهر مرتفعات

اصوان والمنظر الى الجنوب يمتدّ نحو جندل النيل الصخري والى الغرب عبر النهر تمتد الصحراء الصخرية السمراء

نتائج الحفر ان اهمية المدينة القديمة قائمة بموقعها الذي منهُ يتوقف الابحار . ومنهُ تسافر القوافل الى نوبيا والنيل الاعلى والجرعوات (الواحات) في الشرق . والمدينة مبنية من اللبن بيوتها صغيرة وازقتها ضيقة . ومن المحقق انها كانت في بعض الازمنة موطن شعب عظيم كثير العدد وقد اكتشفت صكوك في جانبها الغربي مكتوبة على ورق البرديّ بالارامية تشير الى انهُ كان هنا مستعمرة يهودية مساوية في الحقوق المدنية للمصريين والفينيقيين والبابليين والفرس الذين كانوا سكان تلك المدينة القديمة الكثيرة السكان . وقد ظهرت في هذهِ الصكوك اسماء عبرانية مألوفة وما آل تلك الصكوك بيع اراضٍ وبيوت . وقد اكتشف رقيم ارامي مؤرخ في السنة ٤٠٨ ق . م مرسل الى باجوهي والى فلسطين الفارسي . ويظهر من هذهِ الصكوك وهذا الرقيم انهُ كان على عهد بدء العصر الفارسي هيكل يهودي ليهوه في مدينة انس الوجود تحيط بهِ الاسوار المنيعة والابراج الحامية وفي هذا المعبد اليهودي كانت تقدَّم القرابين بانتظام ليهوه وكانت تحفظ الفرائض الدينية اليهودية القديمة في قلب المدينة القديمة الوثنية

صيرورة اليهود تجاراً من المعلوم ان المستعمرين اليهود في مصر اقاموا في اربعة محلات تجارية والتجارة كانت الحرفة الرئيسية التي كان يسهل عليهم استعمالها لذلك صار رعاة يهوذا وفلاحوهُ حالاً تجاراً وباعة فتفرقوا كثيراً . وفي كل مدينة مهمة صار لليهود مستعمرات وهولاء في حينهِ انتظموا شركات تجارية بوكلائها وفروعها سادت اكثر فاكثر على تجارة الشرق القديم . واليهودي اليوم هو ثمرة تلك القرون قرون التدرب في التجارة التي ابتدأت بابتداء العصر البابلي

وطن المنفيين في بلاد بابل ان نبوخذ نصر في ابعادهِ الاسرى اليهود

من فلسطين الى بابل سار من غير شك في الطريق الشمالية الطولى مارًّا بربله وحماه وعبَر الفرات عند كركميش ومن ثمَّ اتجه جنوبًا في الجزيرة. وعوضًا عن ان يفرّق المنفيين اليهود في كل الامبراطورية اسكنهم في مستعمرة على نهر خابور الذهب هو على الارجح ترعة خابارو القديمة . وهذهِ الترعة بحسب العاديات المكتشفة حديثًا كانت تجري شرقًا من بابل الى معبد نبور. وهذهِ المنطقة كانت في القسم الشمالي من السهل الصلصالي العظيم بين دجلة والفرات تتقاطعهُ الترع في كل جهة التي كانت تستعمل للري والتجارة. ولتجنب فيضان الربيع كانوا يبنون القرى على روابٍ صناعية او غالبًا على اخربة مدن سالفة . والنبي حزقيال راعي المنفيين في بابل ومستشارهم الروحي كان يقيم في ضيعة سميت تل ابيب باسم التل الصناعي الذي بُنيت عليهِ . وهناك تلان آخران مشابهان لهذا الواحد تل الملح والآخر تل الاجة . واليك ما وصف بهِ حزقيال وطنهم الجديد "وجاء بهِ الى ارض كنعان وجعلهُ في مدينة التجار. وجعلهُ على مياهٍ كثيرة "(حز ١٧: ٤و٥)

كيفية معاشهم في بلاد بابل اننا نجد في بعض المزامير صدى حب اليهود لوطنهم وحنينهم لتلالهم الوطنية اللذين كانا يملآن قلوب المنفيين اليهود ولكن تربة بلاد بابل المخصبة عوضتهم جزئيًا مما خسروهُ ومعيشة بابل التجارية العاملة كما في مصر اظهرت فيهم الحذاقة السامية الكامنة في التجارة فاقاموا في الاول كجماعة منفردة كيهوذا صغيرة في قلب الامبراطورية العظيمة . وها هنا عاشوا بحسب شرائعهم يحكم بينهم شيوخهم يبنون البيوت ويغرسون الجنائن ويربون اهل بيوتهم كما نصح لهم ارميا في الرقيم الذي كتبهُ لهم (ار ٢٩) وكانت النتيجة ان معظم اليهود في الشرق صاروا متعلقين باوطانهم الجديدة فلم يحب الا القليل منهم بعد هذا ان يسافروا السفر الشاق سفر ١٥٠٠ ميل ليرجعوا الى تلال يهوذا الحجرية لان معظم الذين نفوا او هربوا من يهوذا في السبي الاول والثاني لم يعودوا الى بلادهم مع سنوح الفرص تكرارًا

احوال اليهود في فلسطين ان المحل الثالث للسلالة اليهودية كان يهوذا نفسها ومع ان اورشليم خربت وشعبها تفرّق فمعظم رعاة يهوذا وفلاحوها لم يتركوا اوطانهم. ويظهر ان الاسرى الذين ابعدهم البابليون معظمهم من القصبة والذين بقوا في فلسطين يرجح انهُ تولاهم والي القطيعة التي كانت تسمى قطيعة " ولاة عبر النهر" ولا شك ان هذا اللقب أُبتدع في بابل لانهُ كان يشير الى الارض التي غربي الفرات ومن ضمنها سورية وفلسطين وحظ الفلاحين اليهود لانهم من غير نظام ومن غير والٍ وطني يحميهم كان لابدّ مما يرثى لهُ. وسفر المراثي يتضمن اشارات الى الاضطهاد المحزن والغارات المتعددة التي كانوا عرضة لها. وكلما ضعفت الحكومة اليهودية المحلية كانت يهوذا موضوع المهاجمة من كل جهة ففي الشمال كان السامريون الذين لم يقدروا ان ينسوا بالكلية مناظرتهم الموروثة لاسباط الجنوب

وظهر في هذا الوقت ان الاراضي السامرية امتدت جنوبًا حتى ضمّت مدينتي جبعون والمصفاة. والعمونيون من الشرق قد نجحوا اخيرًا في دفع حدودهم غربًا الى الاردن واحتلوا تلال جلعاد الجنوبي المثمرة واوديتهُ وشرقي البحر الميت. وامتدت اراضي الموآبيين شمالاً الى ما احتلهُ حديثًا العمونيون. والادوميون في يهوذا الجنوبية تقدموا شمالاً بتقدم سلالة عربية قوية تُعرَف بالنبط وامتلكوا ليس البلاد الجنوبية فقط بل القصبة حبرون القديمة والاراضي شرقًا وغربًا ايضًا واحتلوا في الجنوب مريشة المهمة والمنخفضات الفلسطينية المجاورة

اتساع الاراضي اليهودية ولذلك انحصر اليهود تقريبًا في مرتفعات اليهودية. وعلى اقصى حدودهم في الجنوب الغربي كانت قعيلة وبيت صور وفي الغرب زانوح التي تحرس مدخل وادي السنط. والحد الشمالي يبعد خمسة اوستة اميال عن اورشليم. ويظهر ان اليهود في الشمال الشرقي ملكوا مدينة اريحا والسهل المجاور للاردن. وهكذا كانت اراضي اليهود الزراعية اكثر

بقليل من ٣٥ ميلاً طولاً وعرضاً تحتوي على نهاية ارض الفلسطينيين

البرهان على ان المنفيين لم يرجعوا عموماً في السنة ٥٣٦ ق . م انه عندما اسقط سيروس في السنة ٥٣٦ ق.م. المملكة الكلدانية صار فرصة لليهود في بابل ان يعودوا لان ملك الفرس عاكس سياسة الاشوريين والبابليين وقصد ان يبني مصادر كل من الشعوب الكثيرة في امبراطوريته ويزيد ولاءهم. ومع هذا فليس من برهان على ان اكثر من شرذمة من اليهود في الشرق انتهزوا هذه الفرصة. وكان سياسة سيروس ايضاً ان يقيم الامراء الوطنيين ولاة في بلادهم فاقام وارثاً من نسل بيت داود الملكي والياً على قطيعة يهوذا الصغيرة. وهذا التعيين منح اليهود حكومة محلية جذبت من غير شك الى الوطن كثيرين من المهاجرين من عمون وموآب ولاسيما من ارض مصر . ولكن مواعظ النبيين المعاصرين حجي وزكريا تشير بوضوح ان الذين كانوا من سبط يهوذا واعادوا بناء الهيكل كانوا من شعب الارض وان رجوع المنفيين العام كان حادثة ستتم في المستقبل كانوا بشوق عظيم اليها

اعادة بناء الهيكل ان الذبائح كانت تقدم حتى في العصر البابلي على مذبح عظيم في صخرة اصلية كانت مقابل واجهة هيكل سليمان وقبل ان يأذن سيروس اذناً تاماً للشعب الوطني ان يعيدوا بناء مدنهم وهيكلهم يظن ان رجع قليلون ليستوطنوا خرب اورشليم

ان الجماعة التي خاطبها حجي خطابة المحرك في السنة ٥٢٠ ق . م كانت جماعة صغيرة مجاهدة ضعيفة العزم. فمناداته للقيام ولاعادة بناء الهيكل صادفت اذاناً مصغية بالحال وايده في هذا معاصره زكريا. والعصيان الذي كان يهز وقتئذ الامبراطورية الفارسية من اساساتها شجع اليهود على الرجاء ان الساعة الملائمة قد حضرت لارجاع الملك واقامة زربابل ملكاً . ولانتعاشهم بهذا الرجاء تقدموا تقدماً سريعاً في بناء الهيكل ووجدوا الحجارة لاصلاح الاسوار على تل الهيكل واقتطعوا الخشب من اجل الابواب من التلال حول اورشليم

التلال التي كان في هذا الوقت قسم منها على الاقل تكسوهُ الاشجار

وفي السنة ٥١٦ ق.م. تم العمل وصار للسلالة اليهودية معبد ديني عام مرة ثانية فيهِ يعبدون ربهم

خوار عزم اليهود ورجاؤهم ان الآمال باعادة المملكة اليهودية يتسلط عليها واحد من نسل داود قد ذهبت هباء منثورًا لان داريوس افلح في اخماد الثورات المتعددة وتنظيم الامبراطورية الفارسية ثانية واختفت في هذا الوقت ذرّية داود من التاريخ وساد على الامة اليهودية مدة قرن او اثنين الخمول لانها صارت ضحية اعدائها من الخارج وولاتها الطاغين من الداخل الذين استعبدوا الشعب واغتصبوا ارضهُ . والسبب الذي اثار روح الامة اليهودية الخائرة العزم غير واضح ويغلب انهُ رؤيا النبي العظيم الذي اغانيهِ الخالدة محفوظة في الاصحاح الاربعين وما يليهِ في سفر اشعياء والى المدينة القصبة القديمة وجَّه خطابهُ مبدئيًا . وزِد على هذا ان خطابهُ كان دعوة لكل بقية السلالة المتفرقة لترجع وتعمل ما عليها لتحقيق نصيب اسرائيل الشريف. وكانت دعوتهُ للتطوّع والخدمة لتضحية النفس وهو يعلمهم ان الفتور والمصائب والعار التي كانت وقتئذٍ سائدة على سلالتهِ ليست قصاصًا من الله بل فرصة سامية اذا انتهزت بشرف تبرهن للعالم صفات الاله الذي يعبدونهُ وقوة الايمان المخلص الذي يملأ صدورهم

تلبية نحميا لدعوة الخدمة وقبل رجوع المنفيين العام كان من الضروري اعادة بناء اسوار اورشليم وهذا يتطلب ثروة وسلطة في البلاط الفارسي وفوق الكل قائدًا مقتدرًا نشيطًا

واظهر يهود فلسطين حذاقة عظيمة بارسالهم نوابًا الى ارميا ساقي الملك ارتزركسيس وكان قائد ذلك الوفد حناني اخا نحميا فقابلوهُ تلك المقابلة الشهيرة في القصر الملكي في شوشن قصبة الامبراطورية الفارسية . ان اطلال هذهِ المدينة الهائلة القديمة التي محيطها لا اقل من ثمانية اميال قد اظهرت

للمنقب الحديث عظمتها

ويذكر نحميا شدة تأثره من سمعه المصائب التي حلت بمدينة اسلافه. وروح رسالة اشعياء ٤٠-٤٥ تخلل صلاة نحميا المذكورة في الفصل الاول في سفره فوُجد يهودي واحد على الاقل وهو نحميا يلبي الدعوة الالهية للخدمة وهذا اذ وجد فرصة ملائمة نال اذنًا بالرجوع واعادة بناء اسوار اورشليم وما اعدّ له الطريق هو الحرس الملكي والرُقُم الى والي القطيعة عبر النهر

وسفرهُ من شوشن كان على الجانب الجنوبي للجبال العيلامية ومن ثم بجانب الفرات في وسط الجزيرة في احدى الطرق العظيمة الممتدة بين سورية الشمالية وفلسطين

احوال الجماعة اليهودية ان نحميا وصف احوال اليهودية وصفًا مؤثرًا واعداء اليهود المثبطون كانوا سنبلط الحوروني الذي يظهر ان موطنه كان بيت حورون العليا او السفلى وشخصًا اسمهُ طوبيا صاهر اسرة رئيس الكهنة في اورشليم وجشم العربي. فسنبلاط قاد السامريين وطوبيا العمونيين وجشم بعض القبائل العربية التي يرجح انها كانت استوطنت في فلسطين. ولما كانت الجماعة اليهودية قد افترسها ولاتها الطامعون يتودهم رئيس الكهنة وتابعوهُ وجد نحميا ان من الضرورة ان يعمل مبدئيًا بعض الاصلاحات الاجتماعية بشدة وعنف. وكفى قدوم وعظ الولاة وبذوته وسلطته الملح في اقناعهم ان يحرروا اهل وطنهم الذين استعبدوهم وان يعيدوا لهم حقول ابائهم وكرومهم وان يعدوا ان لا يعودوا الى اغتصابها بظلم

الاستعداد من اجل اعادة بناء الاسوار كان عمل نحميا الرئيسي ان يعيد بناء اسوار اورشليم. وبناء على المنحة الملكية أُذن له ان يقطع الخشب من اجل الابواب من حديقة الملك التي كانت تدعى جنات سليمان جنوبي اورشليم بقرب عيطام. وكان يدبر القوات العاملة وينظمها باعتناء نحميا نفسهُ. وبدأ العمل في كل اقسام السور في وقت واحد. ولكل قسم من السور تعيّن جماعة

من العمال ليبنوه وكان نصف الشعب يعمل والنصف الآخر متسلح مستعدّ لردّ غارات العدو . وتأثير شخصية نحميا النشيطة والخوف الدائم من الهجوم انجحا العمل فتقدم بسرعة حتى تمّ اصلاح الاسوار بعد اثنين وخمسين يوماً

صحة الرواية المُنزلة ان خبر بناء الاسوار المفصّل وتخصيصها باحترام لله مرة ثانية يظهر احسن صورة لاورشليم القديمة واوضحها . وهذا الخبر يثبتهُ ويتممهُ من كل جهة تقريباً ما ظهر من الاحافير على طول الاسوار الغربية والجنوبية والشرقية ولاسيما ما اظهرتهُ جمعية الاكتشاف الفلسطينية والذي بناؤهُ كان مهماً لان نحميا اصلح اسوار المدينة التي كانت قبل النفي. والمحقق ان الاسوار أُعيد بناؤها في كل موضع ما عدا السور الشمالي الذي تغطيهِ بيوت المدينة الحديثة لذلك لم يعرَف امرهُ

الاسوار والابراج في الشمال ان الكتاب يبدأُ بقصة اعادة بناء باب الضأن الذي على ما يظهر كان قائماً تماماً شمالي الهيكل ومنهُ كانت تمرّ حيوانات الذبائح المجلوبة للمقدس والى شرقي هذا الباب يمتد الصخر الاصلي شمالاً امتداداً يقرب من الاستواء ولذلك بُني في هذا الموضع برجان منيعان للحراسة. ويظهر انهما كانا قائمين في المحل الذي كان فيهِ برج انطونيا الشهير على عهد الرومانيين . وكان طرف وادي تيروبيون الاعلى الذي هو الآن غربي ساحة الهيكل تحيط بهِ اسوار المدينة على عهد مملكتَي يهوذا واسرائيل . ودُعي هذا الطرف بسبب شكلهِ الخاص في نبوة صفنيا الهاون او الجرن (صف ١: ١١) ويسمى في محل آخر بالحيّ الثاني (٢ مل ٢٢: ١٤) وفي منخفض وادي التيروبيون يمتد اهم شارع في المدينة ويمرّ في بوابة السمك التي تنفتح في الشمال على السكة العظيمة الممتدة الى السامرة . ويرجح ان تسمية البوابة بهذا الاسم تنسب الى سوق بجانبها كان يبيع السمّاكون فيهِ سمكهم الذي كانوا لاشك يجلبونهُ في الايام القديمة كما في عهد الرومانيين من بحر الجليل . ان امتداد السور الشمالي تماماً من هذا المكان غير واضح كما يجب لان الارض التي يمتدّ

عليها تكاد تكون مستوية واليوم يحجبها البناء. واهمية هذا السور وصعوبة اعادة بنائهِ كلهِ تظهران من عدد العمال الكبير الذي استخدمهُ نحميا في الترميم . ويظن انهُ يمتدُّ جنوبًا غربًا الى بوابة الزاوية التي كانت تدعى ايضًا بوابة السور القديم ويظهران نحميا من هذا الموضع بنى سورًا ممتدًا باستقامة الى بوابة افرايم التي هي اليوم بوابة يافا الغربية

السور الغربي كانت المدينة ولاسيما جنوبي بوابة افرايم معرضة للهجوم لذلك بُني هنا سور عريض او مزدوج وباقي السور الغربي فقد تتبعهُ الحفارون . انهُ يمتدُّ جنوبًا في حافة التل الغربي الى برج في احد الاركان طولهُ خمسة وخمسون قدمًا من كل جهة وعلوهُ من طرف الصخرة عشرون قدمًا . وفي هذا الموضع عند البرج ينحرف السور الى الجنوب الشرقي ويمتدُّ الى بوابة الوادي حيث يدور الى الشرق تمامًا . كان اتساع بوابة الوادي القديمة ثماني اقدام وعشر عقد فقط من الخارج ونقرتاها في العتبة السفلى لم تزالا ظاهرتين وثخن السور في الشرق تسع اقدام. والى غربي بوابة الوادي كان برج قاعدتهُ نحو ٤٥ قدمًا من كل جهة والارجح ان اسمهُ كان برج التنانير لان بقربهِ كان الفخارون يشوون جرارهم

السور الجنوبي ان السور من بوابة الوادي الى وادي تيروبيون مبنيٌّ على صبب منحدر انحدارًا عظيمًا . فتعيين قليل من الرجال لهذا القسم يدل على انهُ كان معظمهُ بالفعل سالمًا وكان السور حيث يقطع وادي تيروبيون الاسفل محصنًا بست دعامات قائمة على اساس ثخنهُ نحو عشرين قدمًا . والشارع الرئيسي النازل في وادي التيروبيون قد كشف من طرف المدينة الجنوبي الى موضع مقابل ساحة الهيكل. وكان عرضهُ يختلف ما بين ٢٥ و٥٠ قدمًا وكان مبلطًا ولهُ حاجز (رصيف) وحيث يصعد التل لهُ درجات عريضة منقورة في الصخر معدَّة لمرور الحيوانات والمشاة . ومقابل الطرف الجنوبي لساحة الهيكل الحاضرة يتشعب الشارع الرئيسي شرقًا نحو بوابة

افرايم . وعلى طرف بركة سلوام الشرقي درج منقورة في الصخر يُظن انها هي التي اشار اليها النبي نحميا ٣: ٥ او ١٢: ٣٧ التي تمتد الى اوفل وبركة الملك كانت في الحي الجنوبي الشرقي آخر احياء المدينة جنوبي بركة سلوام التي منها تستمدّ مياهها ولكنها داخل سور المدينة القديمة والى شماليها كانت على ما يظهر جنينة الملك

السور الشرقي وعلى طول جانب اوفل الشرقي يمتد السور على جبهة التل المنحدر فوق عين العذراء في وادي قدرون وليس من بوابة في هذا القسم الطويل حتى يصل الى البرج الذي وصفهُ نحميا بقولهِ "البرج البارز" وفوق هذا بوابة الماء اهم مخارج المدينة الغربية. ومنها تنزل الطريق الى وادي قدرون والى عين العذراء التي تسمّت البوابة باسم مياهها. هذهِ البوابة وبوابة الخيل اللتان تبعدان الى الشمال قليلاً هما المدخلان الى قسم المدينة المهمّ . وعلى قسم اوفل الاعلى الى جنوبي ساحة الهيكل الاصلي كان القصر والمسلحة . والى الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة كانت بوابة الحارس حيث وقفت احدى الجماعات التي اشتركت في افراز (تدشين) السور في ايام نحميا قبل الدخول الى المعبد . وهنا وجد المنقبون بناء عظيماً وموضع السور الاصلي الذي يدور في هذا المحل الى الشمال الغربي ويتبع منحدر الصخر الاصلي الذي ينحدر انحداراً عظيماً الى الشمال الوادي المتصل بوادي قدرون. وداخل الاسوار بين بوابة الحارس وبوابة الضأن كانت الاسواق التي فيها كان يشتري الشعب ما يحتاج اليهِ ما هو ضروري للذبائح

اهمية عمل نحميا ان نحميا باعادتهِ بناء الهيكل اعدَّ الطريق لرجوع اليهود العام المذكور في الفصل السابع من سفرهِ والذي اثبتته حقائق التاريخ بعد هذا . وقصة عزرا هي خبر تالٍ بشأن احدى حركات هذا الرجوع . ونحميا بتنظيمهِ طريقة توزيع واجبات الهيكل على الكهنة واللاويين ومقاومتهِ للزواج الاجنبي وانفاذهِ شريعة السبت وباعدادهِ ما يعول الهيكل وضع

اساسات لتشييد الناموس الكهنوتي الجديد واعادة تنظيم الفرائض التي نُسبت اليهِ . فلذلك كان نحميا معيد تلك الحالة اليهودية الجديدة التي قامت على انقاض الحالة القديمة

امتداد الاراضي اليهودية الى الشمال الغربي ولما كانت الامة اليهودية يحصرها الادميون من الجنوب والبحر الميت ووادي الاردن من الشرق امتدوا طبيعياً الى الشمال الغربي . وبعملهم هذا تبعوا السكك العظيمة التي امتدت الى الشمال الغربي من اورشليم الى السهل الفلسطيني . وبفضل الحياة الجديدة والقوة اللتين بثهما نحميا في الامة اليهودية صارت قادرة ان تجاري الامة السامرية وتوسّع حدودها الى الشمال . وفي غضون قرنين او ثلاثة قرون اتسعت اراضي اليهودية الزراعية وكادت تتضاعف وحوت مدناً مهمة كعالي وبيت ايل وتمنة في الشمال وعجلون وحورون ومداين واونو ولود (اللدّ) داخل السهل الفلسطيني

تقدم اليهودية في اثناء آخر العصر الفارسي ان العصر البابلي والفارسي كان بالاجمال لليهود عصرَ مصائب دافقة ويأس . ولكنهم في مدة القسم الثاني من ذاك العصر بدأت بقايا متفرقة منهم تبني الهيكل واورشليم . وفي مدة هذا العصر وُضعت اساسات الديانة اليهودية حسب الخطط التي رسمها حزقيال فنجح الكهنة والكتبة في نيل السلطة القديمة سلطة الملوك والانبياء واخذ الولاء للشريعة والفرائض مكان الولاء القديم للملك والحكومة . ولما كانت اليهودية ضعيفة ومعرّضة لهجمات اعدائها الاقوياء انفردت عن بقية العالم وصار يتزايد سرورها في عبادة يهوه والثقة بهِ وفي التصوُّرات والآمال الشريفة التي يرنّ صداها في المزامير وكتابات حكماء ذلك العصر

الفصل الحادي والعشرون

مواضع حرب المكابيين

انتصارات اسكندر ان الامبراطورية الفارسية التي تأسست على ما فتحهُ كورش وعلى مقدرة داريوس في التنظيم صارت ضعيفة بعد قرنين وفاسدة مهيأة لان يغزوها العدو . ومن جهة اخرى كان التمدن اليوناني الذي كان ينمو قروناً في بلاد هلاس الصغيرة وسواحل بحر سفيد يتطلب مخرجا ليتوسع طبيعياً . ففي هذا الوقت الحرج في تاريخ العالم هاجت اسكندر المكدوني المطامع ومحبة الفتح ليزيد العالم بهجة وبنشر الفنون والمعارف اليونانية فاستل سيفهُ وخرج الى الحروب الشرقية . وفي اقل من عشر سنين حمل اعلام علوم اليونان الى اسية الغربية ما وراء شواطىء نهر الاندس . وبعد حرب سنة في اسية الصغرى تم فتحها في السنة ٣٣٣ ق.م في واقعة إسس العظيمة عند طرف البحر المتوسط الشمالي الشرقي شمالي اسكندرونة وما خلا مدينتي صور وغزة اللتين لم تسلّا الا بعد حصار طويل سلّم الشعب الفلسطيني بالحال للمنتصر الجديد وهكذا سلّمت له مصر بسهولة . وفي السنة ٣٣١ ق.م كان سكندر قادراً ان يدور الى الشرق . وفي واقعة اربيلا الكبيرة التي حدثت في تلك السنة في السهول بقرب دجلة انتصر على الفرس وتقدم لامتلاك املاكهم في الشرق .

التاثير في اسية الجنوبية الغربية ومع ان اسكندر الكبير مات في السنة ٣٢٣ ق.م قبل ان يتمكن من توحيد امبراطوريتهِ العظيمة وتنظيمها فغزواتهُ اثرت تأثيراً ثابتاً في اسية الجنوبية الغربية وهذا التأثير الثابت كان ناتجاً من جاذبية الفنون والعلوم اليونانية وتفوقها ومن شجاعة الجندي اليوناني

وحذاقته في الفن العسكري. وهذا التاثير يعزى فوق الكل الى شوق اسكندر الى ان يجعل الشعوب التي انتصر عليها والاراضي التي افتتحها يونانية. ولكي يتم هذا اعاد بناء كثير من المدن التي افتتحها على نمط فاخر وانشأ المستعمرات اليونانية في كل الامبراطورية

مدينة اسكندر ان مدينة اسكندرية في مصر الشمالية من اشرف ما طمحت اليه نفس اسكندر فاختار لسان ارض مستوٍ بين البحر المتوسط وبحيرة (سبخة) مربوط وحوّلهُ الى مدينة فاخرة حوّلت التجارة من صور وناظرت بعد حين مدينة رومية نفسها . وكان موقعها حسنًا اذ كان امامها جزيرة المنارة على بعد ميل منها . ووصلها بجسر طويل (رصيف) فصار عندهُ فرضتان كبيرتـان الشرقية كانت مستعملة على عهد اليونانيين والرومانيين خصوصًا والغربية بها تصل السفن الحديثة . واحدى الترع تصل اسكندرية بفرع النيل الغربي وتجلب الى هذهِ القصبة الجديدة تجارة مصر العليا الواسعة وغلال بلاد العرب والهند . وكانت اسكندرية تنقسم الى ثلاثة اقسام ممتازة فالحي المصري الوطني كان في الغرب والحي اليوناني القانوني كان في الوسط مقابل الفرضة الشرقية والحي اليهودي كان قسم المدينة الشمالي الشرقي والامتيازات التي منحها اسكندر لليهود جذبتهم الى اسكندرية ولا سيما السماح لهم ان يعيشوا حسب شريعتهم يتولى امرهم ولاتهم اليهود

السلطة اليونانية في فلسطين حوّل اسكندر وخلفاؤهُ ايضًا مدن فينيقية وفلسطين والمدن المهمة شرقي الاردن الى مراكز للعلوم والتمدن اليوناني . فعدد عظيم من المستعمرين اليونانيين كانوا يقيمون بغزة واشدود واشقلون ويافا واكو (عكا) القديمة التي تسمت ببطولمايس . وبنفس هذهِ الطريقة صارت هبوس وجدرا وبلاً وجرسا وربة عمون القديمة (فلادلفيا) مواطن كثيرين من جنود اسكندر المتقاعدين وبني معظمها حسب زي المدن اليونانية . وهكذا كانت الجماعة اليهودية في فلسطين من البداءة تحيط بها

المدن احاطة السوار بالمعصم التي منها انبثقت تصوّرات هلاّس القديمة ومعارفها وتاريخ القرون التالية القليلة هو تاريخ النزاع العظيم بين الآراء والآداب السامية والآراء والآداب اليونانية وتاريخ الامتزاج النهائي الناتج من الاتصال التام والمعاشرة الطويلة

السيادة البطليموسية ان بطليموس سوتر الذي امتلك مصر بعد وفاة اسكندر افتتح في السنة ٣٢٠ ق.م اراضي اليهودية والسامرة فانتقل في ذلك الوقت كثيرونَ من اليهود والسامريين الى مصر فمنحوا الامتيازات الخاصة لان المتسلطين اليونانيين رأوا فيهم حلفاء نافعين في عملهم الشاق السيادة على شعب وطني كبير . وفي القرن الثاني خضعت فلسطين للسلالة البطليموسية وصارت ضحية لغزوات كثيرة . و بفضل موقعها كانت سبباً للنزاع بين ملوك مصر ومناظريها في الشرق والشمال مملكة السلوقيين

موقع انطاكية وفي نحو السنة ٣٠٠ ق.م بنى سلوقس الاول مدينة انطاكية ونقل قصبتهُ من وادي دجلة والفرات الى هذا المحل الحربي المهمّ . وكانت المدينة قائمة ولم تزل في الموضع الذي فيهِ جبل لبنان في الجنوب ينفصلهُ عن جبال طارس في الشمال نهر العاصي بقرب الموضع الذي فيهِ العاصي ينثني بغتة الى الغرب

وهي تبعد نحو ستة عشر ميلاً عن البحر وليست بعيدة عن حدود الصحراء. وهنا تلتقي السكك العظيمة من الفرات ومن قلب سورية ومن فلسطين لذلك كانت مكاناً مهماً للتجارة والسياسة . والمدينة نفسها قائمة على سهل مخصب عريض يمتدّ شمالاً من النهر الى جوانب جبل سِلبيُوس وليس لها ما عدا النهر والجبل حصون طبيعية بل كان جُلّ اعتمادها على السور الهائل الذي يحيط بها

اسباب الحروب المكابية ان انطيوخس الكبير في السنة ١٩٨ ق.م في واقعة بقرب بانيون وهي بانياس الحديثة عند حضيض جبل الشيخ هزم الجيش

المصري وضمّ فلسطين الى المملكة السلوقية فلم تربح اليهود شيئاً بهذا التغيير. وفي السنة ١٧٥ ق.م استوى انطيوخس على العرش السوري وهذا كان قد تربّى بين اشراف رومية الفاسدين الطغاة ولم يمضِ الا القليل حتى برهن انهُ طاغٍ لا مبدأ لهُ . وكان كثير الاعجاب بالفنون والعلوم اليونانية وكان مطمحاهُ الرئيسيان ان يزين قصبتهُ ومملكتهُ بالبنايات الفاخرة وان يجعل رعاياهُ يونانيين قلباً وقالباً. وكثيرون من اليهود وبينهم بعض رؤساء الكهنة المخطئين في اورشليم تركوا بالحال سننهم وعاداتهم الجنسيّة واتبعوا الازياء والعادات اليونانية. وبواسطة نوابهم حملوا انطيوخس على الاعتقاد ان اليهود الآخرين يمكن ان يجحدوا ديانة آبائهم ولكن الامة اليهودية كبيرها وصغيرها قاوموا بشدة سياسة انطيوخس . وهذا اذ رجع من غزوة مصر ووجد اورشليم في يدي احد العصاة اتخذ هذا عذرًا وسلّم سكان المدينة الى ايدي جنودهِ العطاش الى سفك الدم وسلب الهيكل نفائسهُ . وبعد هذا بقليل نهض ليستأصل نظامياً عبادة يهوه ويجعل اليهود بالطبع يونانيين وساعدهُ في مسعاهُ هذا بعض المرتدين اليهود الذين الّفوا حزباً يونانياً في اورشليم . وفي السنة ١٦٨ ق.م بعث ابوليونيوس احد قوادهِ ليقتل كل من يرفض عبادة زفس الاولمبي او كل من يصرّ على اقتناء الكتاب المقدس ومنع كل الفرائض اليهودية الدينية ودنّس الهيكل وقدَّم على مذبحهِ العظيم ذبائح خنازير لزفس وهدم بيوت اورشليم واسوارها . وقلعة أكرا التي كانت اما على تل اوفل الى جنوبي الهيكل او الى الشمال تماماً في موقع برج انطونيا الروماني وضع فيها حراساً من الجنود السوريين واليهود المرتدين

مدينة موديّن وفي وسط نار هذا الاضطهاد القاسي ثبتت الديانة اليهودية او ظهرت صفاتها الحقيقية فالوف اليهود فضلوا الموت او الالتجاء الى الكهوف والمحلات المهجورة على حدود يهوذا على التسليم بمطاليب الطاغية . واما وكلاء انطيوخس فلم يصادفوا الا مقاومة قليلة حتى وصلوا الى مدينة

مُودَين شمالي شرقي بيت حورون على حدود الساحل . ان خِرَب مودين اليوم هي من اجمل الاطلال المؤثرة في كل فلسطين يكسوها العشب النامي واشجار الزيتون . تحيط بها الاودية العميقة والى الجنوب والغرب يدور وادي ملاكه في نصف دائرة عريضة حول الاطلال التي تكاد تكون دائرة كاملة قطرها ثلث ميل . والى الشمال الغربي المتصل بكتفٍ من الارض كانت المدينة السفلى التي كانت اكبر قليلاً في المساحة من القلعة اي المدينة العليا. والى الشمال وادٍ عميق يحيط بها مما يجعل الدفاع عنها سهلاً وجوانب الحصن الرئيسي ترتفع بسرعة بواسطة ثلاثة جلالي او اربعة والقلعة منفردة عن التلال المحيطة بها كزمردة في صحن مرمر

الشرارة الاولى للعصيان ان مودين كانت مذبحًا ملائمًا لحرية اليهود ووطنيتهم . وهنا اقام المأمور السوري مذبحًا وثنيًا وحاول ان يغري متتيا احد الكهنة الشيوخ بالمواعيد الملكية ليقدم الذبائح عليهِ بحسب امر الملك فاجابهُ الكاهن قائلاً " وان طاعت للملك كل امة اليهود التي في دار ملكهِ وارتدّ كل احد عن دين ابائهِ ورضي باوامرهِ فانا وبنيّ واخوتي نسلك في عهد آبائنا " (١ مك ٢: ١٩ و ٢٠)

ولما اقبل يهوديّ مرتدّ ليذبح على المذبح الوطني استشاط الكاهن الشيخ غضبًا ووثب وذبح المرتدّ ورجل الملك وهدم المذبح وهرب الى الجبال مع بنيهِ الخمسة الاشداء. واذ رأى فيهِ اليهود الامناء قائدًا التفّوا حولهُ وخصصوا نفوسهم اولاً لهدم المذابح الوثنية واجبروا اليهود على الاختتان الذي كان قد أُهمل وقتلوا المرتدين الاسرى وفي هذهِ الساعة الحرجة في حياة الديانة اليهودية شجعوا الذين كانوا يتعرّجون ورفعوا علمًا التفّ حولهُ الامناء وكان عددهم يتزايد

اخلاق يهوذا وعملهُ وبعد بضعة اشهر مات الشيخ متتيا وخلفهُ ابنهُ يهوذا المعروف باللقب الشهير مكابيوس (المطرقة) ولم يمضِ القليل حتى

برهن يهوذا على انهُ محب لوطنهِ وغير محب لذاتهِ . وعلى انهُ يناضل عن الشريعة بكل قواهُ وعلى انهُ قائد عسكري ذو حماسة ونشاط وذكاء حربي نادرة والصعوبات متراكمة عليهِ . فدُعي ليقابل جيشًا عظيمًا من اليونان المستاجرين المدربين والمجهزين كما يجب بشرذمة من الفلاحين العُزل

ان دائرة فلسطين الوَعِرة الطبيعية كانت مساعد الاسرائيليين الوحيد كما كانت في ايام داود الملك فاختار يهوذا موضعًا ملائمًا على الطريق الممتد بين السامرة واورشليم وهجم على ابولونيوس القائد السوري ولم ينجح فقط في حمل الجنود السورية على الهرب بل ذبح ايضًا قائد الاضطهاد وتسلح يهوذا واتباعهُ بسلاح ابُلونيوس وجنودهِ المذبوحين

عقبة بيت حورون حارب يهوذا حربهُ الاولى العلنية بقرب وطنهِ مودين . وسمع سارون قائد جيش سورية ان يهوذا عصّب عصابة فخرج بجيش سوري لاخماد الثورة وهجم على اورشليم من السكة الشمالية الرئيسية الممتدة الى عقبة بيت حورون وفي هذا الموضع تنحدر الطريق بسرعة وفي سهل عجلون لا يعلو الا ٨٤٠ قدمًا عن مساواة البحر . وعند بيت حورون السفلى تعلو ١٢٤٠ قدمًا لذلك ترى ان الطريق الصخريـة المنحدرة الممتدة الى بيت حورون العليا في اقل من ميلين تعلو عن سطح البحر ٢٠٢٢ قدمًا . وعلى بعد اربعة اميال منها تصل الى قمة المصعد الذي يعلو ٢٢٠٠ عن سطح البحر . وهذهِ العقبة الصعبة التي يصعد عليها غالبًا بواسطة درجات منقورة في الصخر كانت موضع الواقعة الشهيرة حيث يستحيل على جيش ان يسير بحريةٍ او ان يحافظ على نظامهِ القانوني . فنفرٌ يسير من اصحاب العزم على المرتفعات كانوا قادرين ان يصدوا جيشًا كبيرًا ولذلك كانت هزيمة الجيش السوري تامة فذبحوا منهم ٨٠٠ محارب عندما كرّوا وراءهم في منحدر بيت حورون وهرب باقي الجيش الى ارض الفلسطينيين في السهل . وبعد اختبار اربعة قرون من الانهزام والاذلال علم الاسرائيليون انهم بالشجاعة والاتحاد يقدرون ان يهزموا اعداءهم الوثنيين

موضع الانتصار على القواد السوريين   ولحسن حظ اليهود وجد انطيوخس ابيفانيس في هذهِ الضائقة ان خزينتهُ قد فرغت من جراء اسرافهِ وكثرة ما بناهُ من البنايات الهائلة لذلك استخلف ليسياس احد نبلائهِ على امور الملك وجمع جيشاً كثيفاً وسار ليغزو بلاد الفرس حيث لاقى اخيراً فيها حتفهُ . وبذهاب انطيوخس بقي نصف الجيش لمكافحة يهوذا واتباعهِ . ولما كان ليساس يعرف اهمية اخضاع العصيان اليهودي بالحال بعث جيشاً مؤلفاً من اربعين الفاً من المشاة وسبعة الآف فارس واختار لهم ثلاثة من القواد بطلماوس ونكافور وجرجياس فساروا وعسكروا قرب عمواس على جانب وادي عجلون الجنوبي غير بعيدين عن حدود السهل الفلسطيني . وفي هذهِ تجنبوا عقبة بيت حورون وقصدوا ان يخرقوا مرتفعات يهوذا في السكة الضيقة المستقيمة التي يصل اليها المرء من وادي علي الذي فيهِ تمتدّ طريق العربات الحديثة من يافا الى اورشليم وفي غضون ذلك جمع يهوذا جيشهُ بقرب المصفاة. وهذا المرتفع البارز قبالة اورشليم والمشرف على كل الطرق الممتدة من الشمال والغرب يجعل مباغتة السوريين لهم مستحيلة فعلاً . ونزل القواد السوريون ظاهراً في عمواس آملين ان يباغتوا يهوذا واتباعهُ ليلاً في المصفاة. واذ توقع يهوذا هذا نقل جيشهُ ليلاً الى موضع بقرب من جنوبي عمواس والارجح انهُ في احدى الاودية المهجورة الممتدة من المصفاة الى السهل . والنتيجة انهُ عندما صار جرجياس بكتيبة من السوريين ليأسر يهوذا وجد المصفاة خاوية خالية. وفي غضون ذلك هاجم يهوذا بشجاعة بقية الجيش السوري في السهل بقرب عمواس فاعمل فيهم السيف واجبرهم على الهرب فقتل منهم كثيرون وآخرون هربوا الى حصن جازر شمالي غربي عمواس . وبعضهم تحوّلوا جنوباً الى المنخفضات الفلسطينية التي اغتصبها الادوميون وآخرون هربوا الى اشدود ويمناً غربي جانب السهل الفلسطيني .ولما رجع جرجياس وجنودهُ ووجدوا محلتهم تحترق ارتعبوا وتقهقروا الى ارض الفلسطينيين تاركين الغنائم لليهود

الانتصار عند بيت صورا وجمع ليسياس نائب الملك في السنة التالية ستين الف راجل وخمسة الآف فارس منتخبين وتقدم لمحاربة يهوذا وتجنب السوريون في هذه المرة المضايق الشمالية ودخلوا الى يهوذا الغربية من وادي السنط ومرُّوا بساحات قتال سكوت وعلام القديمة التي اغتصبها الادوميون ومن ثمَّ اتبعوا الطريق التي تمتد على احد فروع وادي السور في الجهة الجنوبية الشرقية . وبسيرهم في هذه الطريق الجنوبية وصلوا الى بيت صورا من غير مقاومة على المرتفع الذي هو حد يهوذا الجنوبي الغربي حيث طريق الغرب تتصل بالسكة العمومية الممتدة بين حبرون واورشليم . فيهوذا اذ كان جمع عشرة الآف هاجم ببسالة الجيش السوري الهائل امام بيت صورا وانتصر ايضاً انتصاراً باهراً كاملاً

افراز الهيكل ثانية اصبح اليهود بعد تقهقر اعدائهم احراراً ليدخلوا اورشليم ويهدموا المذبح الوثني الذي اقامهُ انطيوخس ويعيدوا الهيكل وخدمتهُ . وافرز الهيكل ثانية بعد تدنيس انطيوخس لهُ بثلاث سنين واما حصن اكرا المنيع فكان لم يزل ملك الحراس السوريين وتحصنت اورشليم بالاسوار العالية والحصون المنيعة وملأ الفرح والثقة قلوب اليهود

الحروب جنوبي البحر الميت وشرقيهُ واتخذ يهوذا تأخر السوريين القصير فرصة لمحاربة الاعداء الذين بتحريض السوريين من غير شك صاروا يهاجمون اليهود من كل جانب والحرب الاولى كانت مع الادوميين في اقربتين التي يرجح انها ممر العقرب المنحدر عند طرف البحر الميت الجنوبي الشرقي الذي على محاذاته تمتد الطريق من حبرون الى بترا . والعمونيون شرقي الاردن يظهر انهم كانوا يملكون في ذلك الوقت كل الارض من ارنون الى يرموق ووافعة يهوذا الاولى شرقي الاردن كانت في ارض شمالي ارنون تماماً فافتتح يهوذا مدينة جازر القديمة وقراها

الانتصارات في جلعاد الشمالية الشرقية واذ علم يهوذا ان اليهود

ونسل الاسرائيليين القدماء المستوطنين في جلعاد الشمالية يحاصرهم تيموثاوس وان كثيرين غيرهم قد ذبحوا وان الذين في جلعاد صاروا هدفاً لسهام الاضطهاد المرّ جمع احد عشر الفاً من اتباعهِ وارسل اخاهُ سمعان بثلاثة آلاف الى الجليل . فافلح بتخليص الاسرائيليين وطرد الوثنيين من المرتفعات وتبعهم الى باب بطلماس (عكا) واما يهوذا فذهب مع اخيهِ يوناثان بثمانية آلاف مقاتل وغزا غزوة سريعة باهرة في ارض جلعاد . وبعد مسير ثلاثة ايام من شرقي الاردن الى الشمال الشرقي وصل الى حدود الصحراء حيث صادف بعض النبطيين وهم شعب عربي على وشك ان يصيروا امة قوية وكان مقرهم جنوبي شرقي البحر الميت . ويظهر ان هؤلاء كانوا كيهوذا اعداء للسوريين ولذلك تلقوهُ بسلام واذ علم منهم احوال جلعاد دار بغتة شمالاً وافتتح مدينة باصر التجارية المهمة في قلب البرية جنوبي حوران وكانت غنائم المدينة عوناً لجنودهِ في الحال . ومن ثم سرى ليلة فوصل الى الحصن الذي حاصر تيموثاوس قائد العمونيين فيهِ الاسرائيليين . وسفر المكابيين الاول في اليوناني يسمي هذا الحصن رثما والنسخة السريانية تسميهِ راماثا التي يتضح انها رمثا الحديثة التي هي محطة مهمة على طريق الحج الى الشمال تبعد عن باصر شرقاً نحو ٢٥ ميلاً . وهي كما اشرنا سابقاً احدى مواقع راموث جلعاد كما يرجح . واذ كان تيموثاوس وجيشهُ غير مستعدين قُهروا وذُبح منهم خلق كبير . ومن هذا الموضع دار الى مدينة المصفاة الجلعادية التي لا يُعرَف موقعها بالتمام ويظن انها سوف المرتفعة شمالي غربي جرَش حيث ترى كثيراً من الحجارة الكبيرة التي كانت تستعمل للعبادة ويظن انها كانت في موضع جرش نفسها

المدن التي افتتحها شمالي يرموق ومن هنا سار يهوذا تواً الى الشمال عبر يرموق الى مدينة كسفور (وفي المكابيين الثاني كاسبين) والارجح انها قلعة شسفن في الجولان الجنوبي الشرقي شرقي نهر الركاض . والمدينة الثانية التي افتتحها يهوذا مكيد التي يظن انها تل المكداد على بعد عشرين ميلاً شمالي

شرقي شسفن وغربي السكة الحديدة الممتدة بين دمشق وحيفا . وبوصور من غير شك كانت في موضع مدينة بَصر الحريري الحديثة على بعد ١٥ ميلاً جنوبي شرقي تل المكداد وعلى جانب اللجا الجنوبي

الانتصار الثاني على تيموثاوس وجمع تيموثاوس في اثناء هذا جيشًا آخر ونزل قبالة رافون في عبر الوادي بقرب جدول الماء . ويظن ان رافون هذهِ هي المزيريب الحاضرة والمدينة القديمة في هذا الموضع القائمة على جزيرة في وسط بحيرة صافية التي منها يجري احد مصادر نهر برموق المهيئة توافق محل الواقعة المذكورة في سفر المكابيين الاول . وهي كانت على السكة الرئيسية التي سار عليها بالطبع تيموثاوس ونقدم من ارض عمون وكان على بعد نحو عشرة اميال شمالي رَمثا موضع الواقعة الاولى . واتخذ يهوذا تردد تيموثاوس عن عبور الجدول علامة على خوفهِ فهجم اليهود وعبروا الجدول وحاربوا اعداءهم وانتصروا ايضًا عليهم انتصارًا مبينًا . والقى اعداؤهم سلاحهم وفرُّوا الى المعبد الذي في قرنائيم الذي هو من غير شك معبد عشتروت قرنايم القديم يبعد ثمانية اميال شمالاً فتبع يهوذا الهاربين واستولى على المدينة واحرق المعبد مع كل من كان فيهِ

رجوع يهوذا وجمع يهوذا اليهود في ارض جلعاد التي هي حسب سفر المكابيين الاول تتضمن ارض شرقي الاردن شمالي برموق وغربيها وانصرف بهم الى اورشليم. وسار بالطبع الى الجنوب مارًا بالموضع الذي فيهِ حدثت الواقعة الكبيرة مع تيموثاوس ومن ثم دار الى الجنوب الغربي فمر في مضيق حيث كانت على ما يظن مدينة عفرون . وعلى قدر ما صدتهُ هذهِ المدينة عن المرور استولى عليها عنوة وخربها. وبعد ان مرَّ باربيل القديمة سار في السكة الرئيسية الممتدة الى الاردن مقابل بيسان ومن هناك سار بالطبع على الطريق في وادي الاردن الى اريحا وصعد الى اورشليم

اهمية انتصارات يهوذا وفي اثناء هذا هاجم اثنان من قواد يهوذا

خلافاً لامره ، مدينة يمنيا الفلسطينية فرجعا بالذلّ والخسران فجمع يهوذا جيشهُ وسار لمحاربة الادوميين جنوبي اليهودية وغربيها واستولى على حبرون وهدم قلعتها . وبعد ان افتتح المدن المجاورة رجع غرباً الى ماريسا مارشا القديمة التي تحرس مدخل وادي رفانه ومن ثم سار بجيشهِ في السهل الفلسطيني الى مدينة اشدود القديمة ففتحها ونهبها . ويهوذا بقليلين من الجنود المدربين نصف تدريب حارب حروباً في مدة سنة اكثر مما حارب داود في كل حياته المجيدة وافتتح مدناً حصينة اكثر مما افتتح ذاك . ولكن بما ان مصادرهُ كانت محدودة وتختنق الهجوم السوري الآخر العظيم صار يستحيل عليهِ ان يحافظ على الارض التي افتتحها . وهكذا بينما انتصاراتهُ تمثل اعمالاً باهرة كانت النتيجة انها لم تدُم بل كانت بنت يومها

والمهاجرون الذين ارجعهم الى اليهودية زادوا شعبها القليل ووضعوا اساسات المملكة المكابية التي ظهرت اخيراً وكانت نتيجة روح الشجاعة والوطنية التي بثها يهوذا في تابعيهِ

واقعة بيت زكريا ان بذل يهوذا جهدهُ في امتلاك حصن الاعداء اورشليم حمل السوريين على طلب المساعدة من انطيوخس يوباتر الذي خلف اباهُ في الملك . فاجتمع هناك جيش كبير مؤلف من مئة الف راجل وعشرين الف فارس وصحب الجيش اثنان وثلاثون فيلاً لعبت دوراً مهماً في الواقعة الفاصلة وكان اقتراب العدو من المرتفعات اليهودية ثانية في وادي السنط ووادي الصور الى بيت صور

ويهوذا لم يقابل السوريين في هذا الموضع بل تقهقر على الطريق الشمالية الى بيت زكريا القائمة الى يمين السكة السلطانية على بعد بضعة اميال جنوبي غربي بيت لحم . هنا حارب جيش يهوذا الجيش السوري الهائل الذي انتشر قسم منهُ على الجبال العالية وقسم في البطاح والفيلة بابراج الخشب على ظهورها كانت في مقدمة خط الواقعة . وكان يساعد كلّ فيل الفا راجل لابسي

الدروع وخمس مئة فارس . فهجم يهوذا واتباعهُ ببسالة على هذا الجيش العظيم ولكن كثرة العدد غلبت الشجاعة فضلاً عن ان الفيلة كان لها يد في تغيير تيار مجرى الواقعة

والعازر احد اخوة يهوذا بالحماسة المشهورة في اسرته خرق الكتائب وزحف الى ما تحت فيل ظنه الفيل الملكي واغمد رمحهُ في بطنهِ وهلك تحت الفيل اذ سقط عليهِ وماتا كلاهما . ولم يكن بين صفوف اليهود من يحذو حذوهُ فتقهقر يهوذا الى اورشليم حيث حاصرهُ ليسياس قائد الجيوش السورية ولحسن حظ اليهود حصل في "العاصمة" السورية ما اجبر ليسياس على الرجوع اليها فعاقد اليهود وابرم معهم صلحًا واطلق لهم الحرية الدينية على شرط ان يعترفوا بسلطة المملكة السورية

مستقبل حزب يهوذا بعد ان نال اليهود حريتهم الدينية قام حزب من اليهود قويٌّ يُعرَفون بالحسيديين رائدي حزب الفريسيين بعدهم ومالوا الى المصالحة مهما تكلفوا من المشقة . ومن ذلك الحين فصاعدًا صار يهوذا يفقد كثيرين من اتباعهِ وعيّن الملك السوري الكيمس المرتدّ رئيس كهنة فقبلهُ اولاً الحسيديون ولكن خداعهُ واضطهادهُ للامناء ارجعا كثيرين الى صفوف الذين كانوا مثل يهوذا يحاربون ليس لنيل الحرية الدينية فقط بل للاستقلال السياسي الكامل ايضًا . واجابة لمطالب الحزب السوري في يهوذا أُرسل نكانور الذي كان سابقًا قائدًا للفيلة في الجيش السوري لكي يخضد شوكة يهوذا واتباعهِ النامية . وحدثت واقعة في كفر سلامه لا شك انها قرب اورشليم فذُبح كثيرون من السوريين والباقون هربوا الى مدينة داود في قسم المدينــة الجنوبي الشرقي ولذلك يرجح ان كفر سلامه هي كفرسلوان الحديثة الضيعة الصغيرة على جانب قدرون الشرقي عبر الوادي مقابل مدينة داود

الانتصار على نكانور واذ ارعب هذا الانتصار نكانور طلب جيشًا

سورياً آخر قابلهُ عند بيت حورون ومن ثم سار في الطريق السلطانية التي تمرُّ في الممرّ نحو اورشليم واما يهوذا واتباعهُ فاقاموا بقرب ضيعة اداسا حيث تتصل طريق بيت حورون بالسكة المتوسطة جنوبي اورشليم فسقط نكانور في اول الواقعة وخار عزم جيشهِ حتى انهم القوا اسلحتهم وهربوا راجعين في الطريق نحو جازر (جزرا) واليهود في القرى على طول الطريق هاجموا السوريين الهاربين فلم ينجُ منهم احدٌ وانتهز يهوذا فرصة هذا الانتصار المبين فارسل سفارة الى رومية . وكان غرضهُ في هذهِ الحرب غير المتساوية في القوات ان ينال مساعدة هذهِ المملكة التي كانت قد بدأَت ان تستولي على السياسة في سواحل البحر المتوسط الشرقي ولكن قبل ان تجاوبهُ رومية حارب البطل اليهودي حربهُ الاخيرة المميتة

موت يهوذا وبعد انهزام نكانور وموتهِ ارسل الملك السوري ديمتريوس جيشاً آخر الى ارض يهوذا . دخل الارض بطريق الجلجال التي يرجح انها الجلجال في سهل شارون شمالي انتيباتريس او الجلجال المعروفة بقرب شيلوه القديمة . وفي الحالين يظهر ان الجيش وصل الى النجد المتوسط من الطريق التي تمتد في الوادي شمالي وادي عجلون الذي كان وقتئذٍ في يد سورية . ومن ثمَّ اقترب السوريون من اليهودية واورشليم تواً من الشمال وفي اثناء هذا كان يهوذا متحصناً ليس ببعيد عن وطنهِ مودين والواقعة الفاصلة كانت في ايلاسا او الياسا على بعد نصف ميل شمالي المنزلة (النترة) من حورون العليا الى بيت حورون السفلى . فلما رأى جيش يهوذا الصغير المؤلف من ثلاثة الاف راجل كثرة عدد جيوش الاعداء خافوا خوفاً شديداً فجعل كثيرون يهربون من المحلة ولم يبقَ منهم الا ثماني مئة رجل والقائد اليهودي الباسل غلط غلطاً مبيناً بخوضهِ غمار الواقعة في هذهِ الاحوال

ومع هذا فبينما كان يكاد ان ينتصر سقط قتيلاً في حومة الميدان مقابل المحل الذي نال فيهِ الظفر في الواقعة الاولى العظيمة وبموتهِ انكسر جيشهُ

واصبح السوريون الى حين يتملكون اليهودية من غير منازع تقريباً

فبكاهُ شعب اسرائيل بكاء عظيماً ولطموا عليهِ وناحوا اياماً كثيرة ودفنوهُ في قبر آبائهِ في مودين وهم يترنمون بمرثاة داود على شاول بعد ان لطفوها

كيف سقط البطل مخلّص اسرائيل

مراجعة اخلاق يهوذا وعملهُ بين يهوذا وشاول مشابهات كثيرة في الاخلاق والعمل. وكان كل منهما متفانياً في حب الوطن وبطلاً مغواراً ووضع كل منهما اساس مملكة وسقط في ميدان النزال قبل ان يتم عملهُ . وكلاهما بثَّ في رعاياهُ روح الاستقلال وعلمهم كيفية المدافعة عنهُ . ولكن يهوذا فاق شاول في ضبط النفس وانكارها وبالنظر الى المواقع التي حاربها كان من غير جدال اعظم قائد نبغ في اسرائيل ما عدا يشوع . وبلاد اليهودية الممتازة في كيفيتها مكنتهُ من محاربة الجيوش القوية والانتصار عليها ولكن في حربهِ الطويل مع المملكة السورية كانت هذهِ الاحوال المساعدة في جانب عدوهِ . واراضي اليهودية المحدودة الجرداء كانت غير قادرة على اعالة شعب عظيم او تقديم ما يكفي في حرب طويلة. ومن الوجه الآخر ان انطاكية التي موقعها في السهل العظيم بين جبلي لبنان ومصادرها غير محدودة تقريباً كانت المركز الطبيعي الذي منهُ تتولى سورية وفلسطين

ان يهوذا كان قادراً ان ينتصر ليس بشجاعتهِ العادمة المثال وحسن قيادتهِ بل لان المملكــة السورية كان يضعفها الفساد الادبي وانقسام ولاتها فهذان الامران القيادة الحسنة الباسلة عند اليهود والفساد الادبي في المملكة السورية مكنا اتباع يهوذا في ذلك الزمن من التغلب على الاحوال الجغرافية ومن بناء مملكة مستقلة كبيرة كما في ايام داود

الفصل الثاني والعشرون

المكابيون والعصر الهيرودسي

سياسة يوناثان ان يوناثان الذي خلف اخاهُ يهوذا في قيادة اليهود العصاة كان متصفاً بالحذاقة والنشاط وبعض الدهاء التي مكنتهُ من الاستفادة من كل تغيير في سياسة سورية المعوجّة . ان ذلك العصر كان عصراً فاسداً للغاية و يوناثان سار بحسب احوال زمانهِ والمخابيء الامينة في فلسطين مكنتهُ من التملص من السوريين والابتعاد عنهم ومن الشفاء مما اصابهُ بسبب موت يهوذا. فالتجأ يوناثان واتباعهُ اولاً الى بريّة يهوذا والاودية الجرداء الجافة الممتدة الى البحر الميت . و بعد هذا الى اجمة اراضي الاردن السفلى . الى اجمة القصب والاشجار الى هذهِ لحقهم القائد السوري. وفي ميدان الحرب العريب هذا انهزم يوناثان واتباعهُ ولكنهُ اذ عبر الاردن سباحة نجا من اعدائهِ. وحوصر في وقت آخر في حصن بيت باسي الذي يظن يوسيفوس انهُ بيت حجلة في وسط وادي الاردن جنوبي شرقي اريحا . وعلى الارجح انهُ احد المعاقل الطبيعية في وادي الباسا الممتد في قسم برية تقوع الشرقي الى البحر الميت

اساس الاتفاق مع السوريين واذ وجد القائد السوري ان المطاردة عقيمة عقدَ مصالحة مع يوناثان فيها سمح ليوناثان ان يجعل مركز القيادة في مخماس على حدود يهوذا الشمالية وان يتولى الامر بسلام كرئيس محليّ وعليهِ مقابل هذا ان يمتنع عن مهاجمة السوريين القائمين في بعض المعاقل الحربية

ان اريحا كانت تحرس حدود يهوذا الشرقية . وحصون الحدود هي بيت حورون ومعبد بيت ايل القديم وتمنه شمالي بيت حورون

وفراثون التي هي من غير شك فراتة جنو بي غربي شكيم وتبفون التي يرجح انها تفوح القديمة غربي السكة السلطانية الممتدة الى الجنوب من شكيم . وحصون الحد الغربي غزارا في الشمال الغربي وبيت صورا في الجنوب الغربي

ما منح ليوناثان ونتج عن المناظرة بين مدعي العرش السوري المختلفين ان تغيّر مقام يوناثان فصار متسلطاً حقيقياً على كل فلسطين الجنوبية . واسكندر بالاس الذي ادعى انه انطيوخوس ابيفانيس عميد مضطهدي اليهود اعطى اخيراً يوناثان لقب رئيس كهنة والتسلط ليس على اليهودية فقط بل على شاطىء فلسطين ايضاً . ويوناثان جعل هذا التسليم بالسيف شرعياً واستولى على يافا مرفأ اورشليم الطبيعي ثمَّ افتتح ازوتس اشدود القديمة بعد انهزام الجيش السوري في السهل امام اسوارها واحرق هيكل داجون الشهير

غزوات يوناثان ولما غلب احد بطالسة مصر اسكندر بالاس ظهير يوناثان بايع يوناثان القائد اليهودي بالحال الملك السوري ديمتريوس الثاني واذ انكر يوناثان الحقيقة انه هو نفسهُ كان يحارب من اجل الحرية اهان الغاية اليهودية بارساله الجيوش لمساعدة هذا الطاغية على ذبح رعاياهُ في ازقة انطاكية

وكانت المطامع الشخصية بدأت تظلم التصورات الوطنية الشريفة التي حركت فعلاً ابناء الكاهن القديم متانيا . وبعد وقت قصير ظهر ابن اسكندر بالاس في عالم السياسة وربح يوناثان الى جانبه بمنحهِ اياهُ التسلط على كل الساحل البحري من سلّم صور الى حدّ مصر . فانتهز القائد اليهودي هذهِ الفرصة واتمَّ افتتاح المدن الفلسطينية واستولى على حصن بيت صورا . وجيش ديمتروس الثاني انهزم ايضاً في سهل حازور غربي بحيرة الحولة . وبعد هذا بقليل ساق يوناثان جيشاً الى بلاد حماة بين جبلي لبنان ولم يصادف مقاومة مهمة . واذ رجع الى اورشليم هدم قسماً من السور الشرقي مقابل القلعة وبنى بالحجارة سوراً عالياً لكي يفصل الحرس الوثني عن الاتصال ببنية المدينة ثم

سقط يوناثان فريسة الحيلة والخيانة اللتين استعملها بنفسهِ تكرارًا والقائد الطاع الذي اقام ابن اسكندر بالاس على العرش اغوى يوناثان وادخلهُ الى عكا ثم قتلهُ

اعمال سمعان العظيمة وبعد موت يوناثان دعي سمعان افطن واكبر اخوة يهوذا الشهيد بن الى قيادة الشعب اليهودي. وهذ اذ انتهز فرصة ضعف سورية خصص نفسهُ لتوسيع مملكتهِ وتقويتها . وحصن جازر حصن الحدود الغربي القوي افتتحهُ بعد مقاومة قصيرة شديدة وطرد الشعب الوثني واقام مكانهُ المستعمرين اليهود هنا وفي يافا . وهكذا انشأ سمعان طريقًا مستقيمة للمواصلات بين اورشليم وطرق البحر المتوسط التجارية وفتح الطريق للتجارة الاجنبية التي جلبت حالاً ثروة عظيمة للمملكة اليهودية واستولى اليهود لاول مرة بعد قرون طويلة على قلعة اورشليم وتمكنوا فيها. وحُصِن جبل الهيكل بجانب القلعة اكثر من قبل واخيرًا ذاق اليهود لذة الامن الناتجة من تملكهم ارضهم وحصونها تملكًا تامًّا

ملكهُ الناجح والقوي ان مُلك سمعان بالنسبة الى غيرهِ كان ملك سلم وفلاح .وغزا الجيش السوري السهل الفلسطيني وحلّ في قدرون التي يظن انها قطرة وهي تبعد نحو ثلاثة اميال ونصف جنوبي غربي عقرون. فارسل سمعان جيشًا قويًا لمقاومة الغزاة بقودهِ ابناؤهُ الكبيران يهوذا ويوحنا وحصلت الواقعة في السهل بين قدرون ومودين .وبهجوم الجيش اليهودي ببسالة اجبر السوريين على الفرار فلحقوهم الى قدرون والابراج بقرب ازوتس التي استولوا عليها بسرعة. واليهود اظهارًا لامتنانهم وشكرهم من اجل خدمة سمعان الوطنية وحكمهِ المفيد ثبتوهُ في القاب رئيس كهنة وقائد ووالٍ. فملكهُ وملك ابنهِ الذي خلفهُ كان نتيجة الحروب القديمة والهدو قبل عاصفة الغزو الاجنبي التي هبّت بعد قليل على كل فلسطين . وسمعان كاخوتهِ مات قتيلاً ضحية غدر احد اصهرتهِ زوج ابنتهِ الذي ذبحهُ في حصين دوك في وادي الاردن على

حافة التلال الغربية على بعد نحو ٣ اميال شمالي اريحا

نمو الحزبين المتناظرين وخلف سمعان ابنهُ يوحنا هركانوس الذي طرد قاتل ابيهِ من البلاد . وزد على حذاقة ابيهِ المشهور العسكرية وحذاقة عمومتهِ كان لهُ مطامع شخصية عظيمة . وهذا لا يظهر من غزواتهِ فقط بل من استئجارهِ الغرباء للجندية وملكهُ الطويل مدة ٣١ سنة شاهد نموّ حزبين كبيرين هما الفريسيون والصدوقيون وهذان الحزبان كانا يعبران عن الافكار والتصورات اليهودية من قديم والآن قد ظهرا جليًا . وكان حزب الصدوقيين مؤلفًا من رؤساء الكهنة الاشراف الذين رتبتهم وثروتهم ومطامعهم جعلتهم محافظين على مرتبتهم وقادتهم الى مظاهرة الملوك المكابيين في مطامعهم السياسة . والفريسيون كانوا من الوجه الاخر حزب الشعب وكانوا يدافعون عن الشريعة بكل عزمهم دفاع الابطال . ومن اجل حرية العبادة عضدوا يهوذا المكابي من الاول ولكنهم لم يبالوا بالمجد السياسي وفضلوا الخضوع للولاة الاجانب على المحاربة من اجل استقلالهم السياسي وعدُّوا عمل يوحنا هركانوس من اتمام منصب الكاهن الاعظم انتهاكًا للمحارم ولذلك ترى ان تاريخ المملكة اليهودية من ايام يوحنا هركانس تاريخ بيت منقسم على ذاتهِ

حروب يوحنا هركانس وانتصاراتهُ في اول ملك يوحنا غزا السوريون اليهودية ايضًا فحوصرت اورشليم واضطر اليهود ايضًا ان يعترفوا بالسلطة القديمة ولحسن حظ اليهود كان الملك السوري قاصدًا ان يغزو بارثيا . ولكي ينال مساعدة يوحنا هركانس ابقاهُ في عرش مملكتهِ وبعد موت انطيوخس سيدتيز في هذهِ الحرب الشرقية صار يوحنا حرًا كي يتم اخضاع اعداء جنسهِ القُدُم . وحربهُ الاولى كانت شرقي البحر الميت وكانت نتيجتها الاستيلاء على مدينة ميدبا الموآبية القديمة . ثم سار وهاجم شكيم وجبل جرزيم موطن السامريين واخرب هيكلهم وجعلهُ قاعًا صفصفًا وضم بلادهم الى المملكة اليهودية . والحصن الادومي مريشة على حدود السهل الفلسطيني ومدينة

دورا التي تبعد بضعة اميال جنوبي غربي حبرون افتُتحت وخضع الادوميون خضوعاً تاماً. وهؤلاء الانسباء الخ واعداء اليهود بالارث أُجبروا على الاختتان وقبول الشريعة اليهودية . وهكذا جلب الى الامة اليهودية بحدّ الحسام شعباً قدّر له ان يكون من مخربي تلك الامة . وانتصر اخيراً هركانس بواسطة الحصار الطويل على مدينة السامرة التي كانت وقتئذٍ يونانية . والجيش السوري الذي أُرسل لانقاذها انكسر وخربت المدينة خراباً تاماً

ملك ارستبولس الاول ومع ان المملكة اليهودية كانت مستقلة وقوية في السياسة كانت بالاكثر يونانية في ذلك الوقت

ان ارستبولس الاول ابن يوحنا هركانس كان كما يدل اسمهُ رجلاً اثرت فيهِ كثيراً العلوم والافكار اليونانية التي كانت تخمر فلسطين من كل جهة . فاتبع مثال الولايات اليونانية واتخذ في السنة ١٠٤ ق.م لقب ملك وكان ملكهُ القصير موصوفاً بالتوحش العظيم فترك والدته تموت جوعاً في السجن. ومن حسدهِ الجنوني ذبح احبَّ اخوتهِ اليهِ والحادثة الاكثر اشتهاراً في ملكهِ هي افتتاح الجليل . وشعبها النصف عربي تهوَّد ووضع اساساً لحياة اكثر حرية ونشاطاً كانا مساعدين للتاريخ المسيحي الاول

ملك اسكندر جانيوس الفارسي ان اسكندر جانيوس الاخ الذي خلف ارستبولس كان معروفاً بين اليهود "بالتراكي" اللقب الذي استحقهُ عدلاً .وكانت جلّ رغائبهِ الحرب واللهو المفرط وهجوماتهِ الغبية على الشعوب المجاورة جلب على مملكتهِ المصائب المتكررة وكان نتيجة عملهِ ابتعاد رعاياهُ عنهُ حتى استعانوا بملك دمشق كي يأتي ويحررهم من هذا الوحش الهائل. ولكنهم في ساعة نجاحهم ندموا وارجعوا جانيوس من الجبال الى حيث هرب وارجعوهُ الى العرش وعوضاً عن اظهار امتنانهِ علق على الصلبان ٨٠٠ فريسي كانوا قاوموهُ بعد ان ذبح اولادهم ونساءهم امام اعينهم وعلى رغم جهالتهِ وافراطهِ الذي لا يُعبَّر عنهُ نجح بثباتهِ الغريب في بسط حدود مملكتهِ حتى ان سلطتهُ

عند موتهِ كانت تعم كل سواحل البحر المتوسط الى مصر . ومن فلسطين الوسطى والجليل العليا الى جنوبي فلسطين وشرقي الاردن من الجولان الى نهر ارنون . والمدن اليونانية المنفردة التي افتتحها اخرب اكثرها وترك البلاد لعصابات اللصوص . وفي ساعة وصول المملكة المكابية الى اقصى حدودها بدأ انحلالها والضيق كان نصيب اكثر سكانها

مناظرة الاحزاب على عهد اسكندرا وخلف اسكندر جانيوس زوجتهُ اسكندرا . والمرأة الاخرى الوحيدة التي تبوأت العرش الاسرائيلي كانت عثليا من يهوذا مع ان ملك الملكات غير شائع في التاريخ الشرقي . هذهِ نقضت سياسة زوجها وسلطت الفريسيين حزب الشعب فارتكبوا غلطة عظيمة باستخدامهم قوتهم للانتقام انتقاماً دموياً من مناظريهم الصدوقيين . والنتيجة ان الخلاف العُضال بين الحزبين ازداد عوضاً من ان يقلَّ . فالتفَّ الصدوقيون والحزب العسكري حول ارستبولس وساعد الفريسيون هركانس بن اسكندرا . وابنا اسكندرا كلاهما كان ينقصهما السجايا الملكية فهركانس كان غير مقتدر ليس لهُ مطامع وجلُّ اهتمامهِ ان يتمتع بحياة هادئة لا يتخذ على نفسهِ مسؤولية الحكومة وارستبولس كان متعظماً طامعاً في القوة

سلطة انتيباطر وجُعل هركانس عند موت اسكندرا رئيساً للكهنة وتقلد ارستبولس الثاني المُلك وهذهِ القسمة كانت حكيمة وعادلة . ولكن المدنة الثابتة بحسب الاحوال بين الحزبين المتناظرين كانت مستحيلة . وحصل في هذهِ الضائقة ان انتيباطر ابا هيردوس الكبير صار ذا شأن في السياسة اليهودية . فانتيباس الادومي عينهُ واليًا على بلاد ادوم اسكندر جانيوس فارتاب انتيباطر بارستبولس ورغب كثيراً في ان ينال السلطة مهما كلفهُ هذا فاتخذ هركانس الضعيف لغرضهِ . فلذلك اقنع رئيس الكهنة ان يهرب من اورشليم واذ حصل على مساعدة صديقهِ اريتاس الملك النبطي القوي الذي كانت قصبتهُ بترا هاجم اورشليم بجيش عرمرم لكي يغتصب المملكة من ارستبولس

ويجعل هركانس ملكاً بالاسم ففي الواقعة الاولى هزم اريتاس ارستبولس فاتخذ هذا هو وجيشهُ الهيكل ملجأً

تقدم رومية وفي هذا الحين تقدمت رومية لغزو الاراضي على البحر المتوسط الشرقي بعد ان احتلت مصر وثبتت اقدامها في بر الاناضول الشرقي . وفي السنة ٦٦ ق . م أُرسل بومبي لسحق قوات بنطس وارمينية المتحدة وبعد ان اتمّ هذهِ الارسالية زحف جنوباً الى دمشق وكان نائبهُ قد امر الجيش النبطي ان يهجر اليهودية. والخصام المحتدم بين الاخوين هركانس وارستبولس منح رومية التي كانت قد عملت كمحامٍ عن المملكة اليهودية الفرصة المشتهاة ان تتقدم وتستولي على ضالتها المنشودة وصارت سورية وفلسطين ايضاً سبب الخصام بين قوتي العالم العظيمتين

ومع ان الخلاف السياسي كان قد اتسع صار الآن المتناظران رومية في الغرب الاقصى وبارثيا خليفة الامبراطورية القديمة في الشرق

تحكيم بومبي كان اليهود من زمن طويل متحذرين من اهمية سلطة رومية في اراضي البحر المتوسط الشرقي فلذلك كان من الطبيعي ان يرفع طالب العرش اليهودي الدعوى الى بومبي ليفصل بينهما فوقف نواب الحزبين في دمشق يتداعيان امامهُ . ومما يدل اكثر دلالة على روح السلالة اليهودية السفارة التي كانت تمثل الشعب ولاسيما حزب الفريسيين . هذهِ السفارة طلبت ان ترفَض مدّعيات الحزبين المتخاصمين وان يسمح لليهود ان يعبدوا الههم بطمانينة بحسب شرائعهم المقدسة بحماية دولة اجنبية. فبومبي اوقف حكمهُ حتى وصل الى اورشليم . سافر في وادي الاردن ومرّ ببيسان الى كوريا التي وصفها يوسيفوس انها مدخل اليهودية عندما يمرُّ المرءُ في القطائع المتوسطة . والارجح انها كراوانا الحديثة في جانب السهل الجميل الجنوبي الغربي في السهل الذي يمرُّ فيهِ مجرى وادي الفرا ويصب في الاردن . وفي هذا الوادي تمتد الطريق السلطانية غرباً الى ما كان في ذلك الوقت حدّ اليهودية الشمالي

وارستبولس لظنهِ ان بومبي سيحكم عليهِ بحبن نفسهُ في حصن السكندريوم الذي بناهُ ابوهُ اسكندر جانيوس وكان هذا الحصن قائمًا على مرتفع قرن صرطبة ويعلو اكثر من ٢٢٠٠ قدم عن وادي الاردن جنوبي كوريا تمامًا ومقابل المحل حيث مجرى وادي الفرا يتصل بالنهر . وتنتشر على قنة هذا المرتفع الحجارة الكبيرة غير المنحوتة التي يرجح انها من القلعة القديمة

استيلاء بومبي على الهيكل سلَّم ارستبولس وهو بالقلعة حين امرهُ بهذا بومبي . ولكن اتباعهُ رفضوا ان يلقوا سلاحهم حينما اقترب الرومانيون من اورشليم واقاموا خلف الاسوار على تل الهيكل . وبمساعدة هركانس وانتيباطر هاجم بومبي الحصن الداخلي من الشمال . والوادي العميق قدرون والخندق العميق عبر تل الهيكل شمالاً جعلا الوصول صعبًا للغاية مع ان الموضع تسهل مهاجمتهُ . ولكن بومبي بردمهِ الخندق المنقور في الصخر قدر اخيرًا ان يجلب منجنيقاتهِ ويهدم الاسوار العالية والحصون التي كانت مجتمعة في هذا الموضع

فلسطين وتسلُّط رومية عليها في التسوية التي وليت افتتاح اورشليم حكم بومبي على ارستبولس ان يتبع عربة كاسير في الاحتفاء الانتصاري في رومية وجرَّد هركانس من كل سلطة سياسية وسمح لهُ ان يبقى في منصبهِ كرئيس كهنة فقط . وكثير من المدن اليونانية على شاطئ البحر المتوسط وشرقي الاردن أُعيد بناؤها وفصلت كلها عن اليهودية وجعلت خاضعة رأسًا لوالي سورية الروماني . والجليل واليهودية وادومية أُضيفت الى الامبراطورية الرومانية . ولكنها حسبت قطيعة ثانوية . وهذهِ قسمت على عهد غابينوس الذي سار على سياسة بومبي الى خمسة قطائع حاضراتها اورشليم في الجنوب واريحا واماثوس وجدرا في وادي الاردن وسفورس في الجليل

الثورات التي قام بها ارستوبولس واولادهُ كان كأس سلام فلسطين يتعكر تكرارًا بما كان يأتيهِ الاحياناً من أُسرة المكابيين لاسترجاع مملكتهم فالثورة

الاولى في السنة ٥٧ ق.م قام بها اسكندر ابن الملك المخلوع ارستوبلس الثاني الذي التف حولهُ شرفاء الصدوقيين والجنود في اليهودية فاعاد بناء حصن الكسندريوم ولكن الجيش الروماني هزم اتباعهُ امام اسوار ذلك الحصن واخذوهُ اسيرًا . وفي السنة التالية هرب ارستوبلس وابنهُ انتغونس من رومية وحشد جيشًا ثانية في الكسندريوم . ولكنهُ ترك ذلك الحصن حالاً وتحصن في حصن مكاريوس المنيع الذي يصعب الوصول اليهِ . الحصن الذي بناهُ ابوهُ جانيوس على رابية في وسط وادٍ عميق يتصل بجانب البحر الميت الشرقي . ولكونهم بعيدين عن معظم تابعيهم وليس معهم المؤونة الكافية لحصار طويل اضطروا ان يسلموا . والثورة الثالثة التي اوقد نارها اسكندر أُخمدت سريعًا بعد واقعة فاصلة بقرب جبل طابور . وبعد هذا بقيت الجليل الوسطى في حالة القلق الدائم من جراء عصابات اللصوص والعصاة حتى جاء اخيرًا كاسيوس القائد الروماني واخضع البلاد وباع ثلاثين الفًا من اهاليها عبيدًا

خدمة انتيباطر لرومية في مدة العشرين سنة التي وليت الافتتاح الروماني لفلسطين تأثرت اليهودية تأثيرًا كبيرًا من الفتن العظيمة التي حصلت لرومية بانتقالها من الحكومة الجمهورية الى الحكومة الامبراطورية . وبقي انتيباطر الادومي في اثناء العصر المؤثر المزعج القوة الحاكمة في اليهودية منتفعًا من تغيير الاحكام وكانت سياستهُ ان يتمسك بصداقة رومية مهما كلفهُ الحال . وان يتحد مع المتسلط الحاضر وكان غرضهُ الخاص ان يروّج رغائبهُ الشخصية لانهُ لا اثر فيهِ للغيرة الوطنية والاميال الجنسية . وفي نفس الوقت اظهر حذاقة عظيمة في ادارة خيزرانة اعمالهِ في وسط العواصف التي جرفت العالم الروماني في هذهِ السنين الكثيرة الزوابع . وحينما انهزم بومبي في واقعة فارساليا في السنة ٤٩ ق.م التصق انتيباطر بيوليوس قيصر

وحينما زحف جيش المنتصر على مصر ارسل العساكر اليهودية لنجدتهِ

وحارب ببسالة في مقدمتهم في حصار بلوزيوم وممفس وهو في ساعةٍ حرجة سطا على عقول النبطيين واليهود في مصر حتى ظاهروا قيصر

جزاء خدمتهِ جُعل انتيباطر نائبًا في اليهودية جزاء خدمتهِ وعُيّن بكرهُ فاسايل واليًا في اورشليم وابنهُ الاصغر هيردوس واليًا في اليهودية وأُعطي هركانس لقب قائد شرف (اثنارك) ويافا التي فتحت تجارة البحر المتوسط لليهودية اضيفت الى اليهودية . وحقوق اليهود في البلاد الاجنبية كان يحامي عنها قيصر الذي كان يبرهن دائمًا على انهُ المحامي عن اليهود وصديقهم . ان مقتل يوليوس قيصر في السنة ٤٤ ق.م. وقتل الشريف اليهودي ذو المطامع لانتيباطر غدرًا بعد هذا بسنة لم يزعزع سلطة البيت الادومي . وعين مرقس انطوني نائب رومية في الشرق هيردوس وفاسايل واليين في اليهودية مكان ابيهما

الفتح البارثي وفي السنة ٤٠ ق.م وسع البارثيون حدود مملكتهم غربًا الى البحر المتوسط واقاموا انتيغونس بن ارستوبلس على عرش ابائهِ وقتلوا فاسايل غدرًا وصلموا اذني هركانس واخذوهُ اسيرًا الى بابل والصدوقيون الذين التفوا حول انتيغونس ذبحوا بعض اتباع ولاتهم الادوميين السابقين وطردوا الآخرين من البلاد

اقامة هيردوس ملكًا لليهود ان هيردوس بعد ركوبهِ الاخطار الكثيرة نجا بنفسهِ الى رومية حيث نال لقبًا فارغًا "ملك اليهود" بواسطة توصية مرقس انطوني واكتافيوس وبعد حروب دامية مدة سنتين استولى هيردوس على اورشليم . وقتل الرومانيون بالحال انتيغونس آخر الملوك المكابيين . وبدأ هيردوس ملكهُ كملك اليهود في السنة ٣٧ ق.م وكان معظم سياستهِ كسياسة ابيهِ الولاء دائمًا مهما كلفهُ هذا للحزب الروماني المالك . وبغض النظر عن سلطانهِ برهن انهُ خادم مفيد لرومية . والمملكة التي تسلّط عليها كانت حد الامبراطورية الشرقي الطبيعي وكانت مملكتهُ تشتمل على عدة

احزاب متعادية . واليهود اظهروا بثوراتهم المتعددة . ان ولاءهم لرومية لا يوثق بهِ ولكنهُ كان ضروريًا وجوهريًا لسلامة الامبراطورية ان يُحافظ على سلام هذهِ القطيعة البعيدة وقوتها . وهيرودس كان قادرًا على اتمام هذا الامر ولذلك حينما صار اوغطس في واقعة اكتيوم في السنة ٣١ ق . م سيدًا للامبراطورية الرومانية ثبت هيرودس في منصبهِ الذي اشغلهُ لذلك الحين واضاف اوغسطس بعدئذٍ ارضًا جديدة الى مملكة هيرودس حتى سلطهُ على كل فلسطين (ما عدا بعض المدن اليونانية في الساحل وفي شرقي الاردن) من البحر الى الصحراء ومن حضيض جبل الشيخ الى البرية في الجنوب

سياستهُ كان هيرودس طاغية عديم الرحمة بقتلهِ كل مناظريهِ ووضع الضرائب الثقيلة على رعاياهُ لكنهُ منحهم السلام المشتهى ولا غرو في هذا العصر اليوناني اذا كان هيرودس ابن ابٍ ادومي وام عربية ان يكون ظهيرًا نشيطًا للعلوم المنتشرة ومع هذا فقد كان محاميًا عن السلالة اليهودية وديانتها وان كان لهُ بعض السقطات التي تخالف الدين اليهودي

عملهُ كبناء مدن ان هيرودس كبناء اثر تأثيرًا عميقًا في فلسطين في عصرهِ . واهداهُ اوغسطس بعد واقعة اكتيوم مدينة السامرة فجعلها مدينة يونانية رومانية على الفخر طرز وغيّر اسمها فجعلهُ سيباستي ومعناها اوغسطا باليوناني اكرامًا لحاميهِ وظهرهِ اوغسطس . وعلى قمة التل بنى الهيكل الروماني العظيم الذي اكتشف خربهُ حديثًا المنقبون الاميركيون واحيطت المدينة باروقة عرضها ٢٠ يردًا . وطولها اكثر من ميل وعلو الاعمدة ست عشرة قدمًا وبنى على سفح التل الشمالي الملائم ملهى طبيعيٌ يشرف على السهل المخصب والبنايات العمومية الجميلة جعلت المدينة احدامجاد مملكة هيرودس . وغيّر هيرودس ايضًا برج ستراتون في ساحل البحر المتوسط الى قصبة يونانية رومانية وسماها قيصيرية على اسم الامبراطور . واقام على سهلٍ مستوٍ هيكلاً ومسرحًا وقصورًا من المرمر . ولما كان القصد ان تكون مرفأً السامرة واليهودية بُني

رصيف لمنع الامواج من الحجارة الهائلة عرضهُ ٢٠٠ قدم . وكان مدخل المرفإ من الشمال لحماية السفن من الرياح الجنوبية الغربية المتسلطة . وفي المواضع الحربية في كل مملكتهِ حصَّن الحصون الطبيعية كالتل العالي المخروطيّ الشكل شرقي بيت لحم المعروف باسم هيروديوم وشاد في اثينا وفي مدن اخرى خارج مملكتهِ بنايات عمومية فاخرة

هيكل هيرودس ان اشرف الاعمال التي تدل على رغبة هيرودس في البناء هو بناء الهيكل العظيم الذي شادهُ في اورشليم . ومدَّت مساحة الهيكل اولاً الى الجنوب حتى صار مضاعف ما كان عليهِ سابقًا ووصلهُ بقسمي المدينة المتوسط والشرقي جسرٌ واربع بوابات . وكان لهُ رتاجان يتصلان بمدينة داود القديمة في الجنوب

وكان الهيكل كلهُ محاطًا بصفين من عواميد المرمر الهائلة وعلى جانب باحة الهيكل من الجنوب اربعة صفوف من الاعمدة العالية ذات التيجان الكورنثية

وكان المقدس نفسهُ القائم في محلهِ الاصلي في قسم باحة الهيكل الشمالي على مستوٍ من الصخر الاصلي محاطًا من الداخل بكثير من البنايات المتقنة . يوصل اليها بواسطة بوابات جميلة في الشمال والشرق والجنوب وامام الهيكل رواق كبير يسمى في الكتاب بجناح الهيكل علوهُ مئة وخمسون قدمًا وعرضهُ كذلك موافق لبناء هيرودس الهائل

وابتدأ عمل البناء في الهيكل نحو ٢٠ ق.م وأُعدَّت لهُ المعدات حتى يستمر العمل من غير توقف بعد موت هيرودس ولم يكمل الا قبل خراب اورشليم النهائي في السنة ٧٠ ب . م ببضع سنين

حوادث اسرتهِ المحزنة احزن قسم في حياة هيرودس المملوءة بالعواصف هو حياتهُ بين اهل بيتهِ . كان رجلاً شهوانيًا للغاية لا يضبط نفسهُ وكان صدرهُ مسرحًا لشديد الحب والغيرة والانتقام التي تملكت عواطفهُ

وكان ايضاً ضحية الوساوس والمنافسات التي انصف بها الحريم الشرقي وقصة قتل زوجته مريمني الاميرة المكابية التي كان يحبها حبًّا جمًّا وقتل ابنيهِ اسكندر وارستوبلس بدسائس اختهِ سالوما وقصة ابنهِ انتيباطر الخائن اهم فصول تاريخهِ المحزن المألوف. واذ علم اخيراً ان امراتهُ وابنيهِ بريئان من التهم الدنيئة التي اتهموا بها وجرتهُ الى قتلهم وانهُ حرضهُ على هذا وخانهُ اقرب انسبائهِ وان كان مبغضاً من كل رعاياهُ وانهُ قد فترت العلائق بينهُ وبين ظهيرهِ الامبراطور الذي خدمهُ خدمة العبد للسيد صار هيرودس الكبير الفجع تخص في كل مملكتهِ الواسعة

آمال اليهود المشهورة ان انتصارات العصر المكابي وامجادهُ وَلِيها استبداد رومية وهيرودس مضاعفًا . فاثر هذا تأثيرًا بالغًا في ايمان السلالة اليهودية وآمالها. وكثيرون منهم تحولوا باشمئزاز من انتصارات القواد المكابيين وسفك الدم الى الشريعة والعبادة في الهيكل كفرحهم وتعزيتهم الوحيدة. وانتصاراتهم الاخيرة كانت تذكر كثيرين بامجاد ايام داود وجددت فيهم المطامع ليروا مملكة تعم العالم اورشليم قصبتها وواحد من ذرية داود على عرشها يتسلط ليس كتسلط الملوك المكابيين الفاسدين المحبين لذواتهم بل يقضي بالعدل ويراعي مصلحة رعاياهُ وحقوقهم . وآخرون كانت افكارهم اميل الى الروحيات كمؤلف الفصول ٣٧-٧٠ من سفر اخنوخ غير القانوني الذي كان ينتظر المختار المسوح ابن الانسان الذي سياتي ليُسقط ملك الاشرار ويطهر الارض من كل شرّ ويجمع الامناء ويؤسس مملكة برّ عامة . وكلما زادت مرارة استبداد هيرودس وعَفَرنير رومية كانوا يتشوقون الى سرعة تحقيق تلك الآمال التي كانت تعزية الامة اليهودية العظيمة وموضوع انتعاشها

وفي نحو السنة الرابعة ق.م قُبيل موت الطاغية في اريحا الذي جعل السلالة اليهودية عادمة القوة بين يديهِ وعلى بعد بضعة اميال من اريحا وُلد

في بيت لحم من قدّر له ان يحقق بطريقة امجد مما اعلن عنهُ اعظم انبياء اسرائيل المتنورين قصد يهوه الرحيم للجنس البشري

الفصل الثالث والعشرون

احوال البلاد عند طفولية يسوع وحداثتهِ

تسلط ارخيلاوس القصير اعطى هيرودس الكبير عند موتهِ لقبهُ الملكي الى ابنهِ ارخيلاوس فاظهر هذا بمعاملتهِ لليهود كل استبداد وعدم ذوق حتى ان اوغسطس لم يصدق له لقبهُ بالملك وعوّضهُ من هذا بلقب (اثنارك) اي والٍ على السامرة واليهودية وادومية. وفي مدة ملكهِ المضطرب عشر سنين انمى السهول المخصبة حول اريحا بواسطة قنوات جرّت المياه للريّ من التلال الغربية وبنى ايضًا مدينة ارخلايس على الجانب الغربي من وادي الاردن ليس بعيدًا عن قلعة الكسندريوم المكابية . وكان اليهود يكرهون سلطتهُ في المدة الاخيرة حتى بعثوا وفدًا من اعيانهم الى رومية ليشتكوهُ وكانت النتيجة ان ارخيلاوس نفي

قطيعة اليهودية الرومانية بما ان اليهودية كانت احدى قطائع الحدود وثبت تكرارًا انها ثورية ومتعبة جعلها الامبراطور تحت ادارتهِ رأسًا واقام عليها واليًا من رتبة الفرسان . وكانت واجبات هذا الوالي المحافظة على الامن وجمع الضرائب والفصل في الدعاوى الشرعية ذات الاهمية . وهو الوحيد الذي له الحق ان يقاص بالموت . واليهِ او الى نوابهِ كانت تحال كل الدعاوى التي تتعلق بالرعايا الرومانيين . وادارة الامور المدنية في اليهودية

والشرائع الدينية كانت في ايدي المجالس اليهودية السنهدريم (المجمع الكبير) في اورشليم

مملكة هيرودس انتيباس واخلاقه ترك هيرودس الكبير لابنه هيرودس انتيباس الجليل وبيرية وكانت الجليل في ذلك الوقت تمتدُّ الى الجنوب الى نهر قيشون في سهل مرج ابن عامر . وحدودها الغربية كانت سهول عكا وصور . وكانت تمتدُّ في الشمال الى نهر الليطاني بينما كان حدها الشرقي الاردن وبحر الجليل . وبيرية كانت الاراضي شرقي الاردن ممتدة من الاراضي من نحو مدينة بلا اليونانية في الشمال الى نهر ارنون في الجنوب وكان يحدها من الشرق الاراضي التابعة لمدينتي فيلادلفيا وجرسا اليونانيتين . وكان يقطن هذهِ الارضين سابقًا الوثنيون . ولكن بعد افتتاحها اقام فيها الولاة المكابيون المستعمرين اليهود حتى انها في كتاب التلمود كانت تُعَدُّ مع اليهودية والجليل اراضي يهودية

وهيرودس انتيباس الذي ورث هذهِ القطائع الخصيبة ورث الشهوات والطمع والاساليب غير المستقيمة والميل للبناء عن ابيهِ . وملكهُ بالنسبة الى هيرودس الكبير كان طويلاً وسلميًا ومع انهُ كان يكلف رعاياهُ الضرائب الباهظة كان لا يتدخل في حريتهم الشخصية ومدينة سفورس التي بُنيت على رابية مخصبة على الجانب الجنوبي من سهل البَطوف الخصيب في الجليل الوسطى طوَّقها هيرودس بسور ورفعها الى مقام مدينة ملكية . وبعد هذا بنى طبرية على جانب بحر الجليل الغربي ونقل اليها مركز حكومتهِ . بنيت بحسب الطراز العادي المتبع في المدن اليونانية وزُينت بالبنايات العامة الفخمة

مملكة فيلبس ان القسم الشمالي الشرقي من اراضي هيرودس الكبير من حضيض جبل الشيخ الى مصدر نهر برموق ومن الاردن الى الصحراء أُعطي لفيلبس الذي كان واليًا لقبهُ رئيس ربع . وكان يفضل كثيرًا على اولاد هيرودس . خصص نفسهُ لانماء مصادر الاراضي الجرداء التي تولاها .

واعاد بناء بانياس القديمة على جانب جبل الشيخ الجنوبي وصيّرها مدينة يونانية رومانية وجعلها قصبة مملكتهِ . واكراماً لاوغسطس سمّاها قيصرية وميزها عن المدينة سميتها التي بناها ابوهُ اذ سمّاها قيصرية فيلبس وجعل بلدة بيت صيدا على جانب بحر الجليل الشمالي مدينة سماها بولياس اكراماً لابنة الامبراطور

العشر المدن ان نتيجة الفتح الروماني لفلسطين كانت اعادة بناء المدن اليونانية في وادي الاردن وشرقيهِ . فاصلها المشترك وتمدنها ورغائبها ربطتها بعضها ببعض وصارت تُعرَف بالعشر المدن فتمتعت بامتيازات خاصة منذ ايام بومبي . ولكنهُ لم يتضح انها اتحدت اتحاداً سياسيًّا الاَّ قبل موت هيرودس في السنة ٤ ق . م . وهذهِ المدن والاراضي التي تسلط هي عليها انفصلت في ذلك الوقت من مملكة هيرودس وصارت تابعة لوالي سورية الروماني وكانت سيثوبلس (بيسان) المشرفة على السكة السلطانية بين فلسطين الغربية وجلعاد والصحراء قصبة هذهِ المدن المحالفة مع انها هي المدينة الوحيدة بين هذهِ المدن العشر غربي الاردن

والمدن الباقية على ما قال بلني الشهير هي هبوس وجدره وبلا في جانب وادي الاردن الشرقي وديوم وجرسه(جرش الحديثة) ورافانا جنوبي برموق في قسم حوران الشرقي . وهنا طريق يسان تتصل بالسكة السلطانية الممتدة من بلاد العرب شمالاً الى دمشق اقصى المدن العشر في الشمال . وبعد هذا اتحدت مدن اخرى بالمدن العشر كعربيلة وكانانا وكابيتولياس جنوبي برموق حتى صارت هذهِ المدن المتحدة على ما قال بطليموس الجغرافي ١٨ مدينة . وتأثير هذهِ المدن الزاهرة التي كانت مركز التمدن اليوناني في كل الجليل وفي اليهودية ايضاً لا يقدَّر

محل ميلاد يسوع ان اكثر حوادث الكتاب الى هذا الوقت حدثت في فلسطين الجنوبية ولم يذكر في التاريخ اليهودي الالف سنة الماضية

اكثر من ١٢ مدينة شمالي سهل مرج ابن عامر .ومع هذا فان محل الحوادث الكتابية قد انتقل الآن من الجنوب الى الشمال . واليهودية باوديتها الضيقة الصخرية ومناظرها المحجوبة قد هجرت . والجليل بتلالها العالية وسهولها المتسعة ومجاليها النسيحة صارت موضع اهم فصل في التاريخ البشري

لاجرم ان التعاليم المسيحية الاولى تبين ان بيت لحم هي مسقط رأس يسوع وهذا التعليم ثبتهٔ يوستنيوس الشهيد الذي يصف موضع ولادة يسوع انهٔ كهف بقرب بيت لحم ولم يزل عدة كهوف مرابط كذلك في كل بلاد فلسطين. وبما ان بيت لحم بقيت خرابًا ثلاثة قرون حتى لما شاد قسطنطين اخيرًا الكنيسة التي تشير الى ذلك المحل التقليدي يشك في انهٔ حصل على الادلة الكافية التي يثبت ان ذلك المحل هو حقيقة محل ميلاد المخلص . وتحت الكنيسة في القسم الشرقي من المدينة الحاضرة كهوف يمكن ان يكون احدها موضع القصة الشهيرة . والمسيحيون بغيرتهم الضالة زيّنوا محل المذود بالمرمر والذهب في القرون المتأخرة فاخفوا المحل الاصلي البسيط

موضع الناصرة كانت الناصرة موطن يسوع مدة ٢٧ او ٢٨ سنة وهنا اثرت فيهِ تأثيرات متنوعة ظهرت في سيرتهِ وتصرفهِ وتعاليمهِ . والناصرة قائمة في مكان يعلو ١٥٠٠ قدم عن سطح البحر وتعلو اكثر من الف قدم عن سهل مرج ابن عامر في الجنوب والمدينة نفسها منخفضة ١٤٠ قدمًا عن التل امامها البعيد عنها نحو ميل ونصف وهي قائمة في حضيض جبل وتتجه نحو الشرق والحقول امامها في الربيع يكسوها نبات الحبوب الاخضر واشجار الزيتون متفرقة في التلال حولها. ورؤوس التلال عارية من الاشجار تستخدمها الرعاة والفلاحون . والناصرة ما كانت في الايام القديمة صغيرة ومنفردة بل كانت قائمة في قلب الجليل السفلى بقرب الطرق السلطانية المتفرعة الى كل جهة . وبقربها تمر طريق من مصر وايضًا طريق من البلاد شرقي الاردن ومن بلاد العرب واقصى الشرق وتمتد طريق غربيها الى عكا على اكثر

طريق العربات الحاضرة الممتدة بين الناصرة وحيفا. وكل هذهِ الطرق التي ذكرناها كان لها فروع تصل الى الناصرة ولذلك كانت الناصرة معرَّضة لكل هذهِ التأثيرات المختلفة اليونانية والرومانية والشرقية

المنظر من المرتفعات خلف المدينة ان المدينة القديمة كانت على الارجح تمتد اكثر الى الغرب ولعلها كانت تصل الى المرتفعات فوق المدينة التي تعلو الف وست مئة قدم عن سطح البحر . وهنا كانت تمتد امام عيني الفتى الناصري اجمل المناظر في كل فلسطين واكثرها تاثيرًا والى الغرب كان خليج حيفا وخط جبل الكرمل الطويل الداخل في البحر المتوسط الازرق. والى الطريق الجنوبية الشرقية من هذا النجد العظيم كان محل المحرقة حيث استرعى ايليا ضمير امتهِ الكليل . وتحتهُ في جانب سهل مرج ابن عامر البعيد كانت اطلال مجدُّو المائلة التي بجانبها حصلت عدة معارك فاصلة في تاريخ بلاد كنعان . والى الجنوب تمامًا تلال السامرة ومرتفع جبل عيبال العالي والى الجنوب الشرقي ترى ميدان حرب جلبوع وخلفهُ غور الاردن امام تلال جلعاد العالية واقرب منها جبل دهي . ومدينة نايين على جانب دهي الشمالي الغربي تشرف على سهل مرج ابن عامر . والى الشرق امام الناصرة جبل طابور المستدير الذي تكسوهُ الاشجار . وعلى التلال الى الشمال الشرقي تمتد الطريق الى قانا وكفرناحوم . والى الشمال هضبة الجليل الاعلى المرتفعة وعلى قمتها صفد "المدينة الموضوعة على جبل ولا يمكن ان تخفى" وعلى بعدٍ منها جبل الشيخ الذي بكللهُ الثلج والى الشمال الغربي على بعد خمسة اميال سفورس قصبة هيرودس واهم حصن في مملكتهِ

عين الناصرة ان الناصرة لها ينبوع واحد في سفح التل في قسم المدينة الشرقي . والارجح انهُ كان خارج المدينة القديمة ينبع من الصخر الاصلي شمالي كنيسة الصعود ومن هناك تجرّ مياههُ الى بئر مريم الشهيرة حيث تنفجر المياهُ من الجدار تحت قنطرة ومن هناك تجرّ الى جرن مربع كبير. وهنا تجتمع النساء

والاولاد اليوم يستقون كما كانوا يفعلون في ايام يسوع . وعند هذا الينبوع القديم كان صبي الناصرة المفكر الحادّ الذهن قادرًا ان يدرس كما كان يدرس في وطنهِ طبيعة الانسان حتى لا يكون محتاجًا ان يخبرهُ احد عما في قلب الانسان .

والناصرة كانت صغيرة حتى ان خفايا كل من سكانها واعمالهُ كانت ككتاب مفتوح ومع هذا فكانت كبيرة ومتوسطة بالكفاية تشعر بكل حوادث العالم العظيمة

الطرق الموصلة الى اورشليم تمتد من الناصرة الى اورشليم ثلاث طرق للحج او اربع واحداها التي يظهر انها قليلة الاستعمال تمتدّ غربًا في جانب شارون الشرقي ومن هناك تمتد في معابر بيت حورون الشهيرة الى اورشليم. واقدم طريق واصعبها الممتدة الى الجنوب في سهل مرج ابن عامر مارة بزرعين وجنين عين جنيم القديمة التي كانت في الموضع حيث السهل العظيم يخترق التلال السامرية . ومن ثم تدور الطريق العامة قليلاً نحو الغرب مارّة في السامرة وشكيم . وفرع مستقيم من هذهِ الطريق يمتد الى الجنوب مارًا بسوخار ويتصل بالفرع الآخر في جبل جرزيم

وبينما كان يسوع مرة مسافرًا في هذهِ الطريق وقف واستراح عند بئر يعقوب في الجانب الشرقي من السهل الخصيب المتصل بجانب جبل جرزيم الشمالي الشرقي وحدّث المرأة السامرية من سوخار . المرأة التي يظن انها كانت تعمل في الحقول في ذلك الجوار

وطريق الناصرة الثالثة تمتد من زرعين شرقًا في السهل الى وادي الاردن. ومن هناك يمكن للمرء ان يسير في الطريق المستقيمة في جانب الوادي الغربي او ان يعبر النهر على المخاضة الشهيرة مقابل بيسان ومن ثم يسير في الطريق السلطانية على جانب الاردن الشرقي . والطريق الشرقية كانت بالاجمال اكثر جاذبية وكانت في املاك اقتباس لا يصل اليها السامريون

المعادون . ومن اريحا تمتد طريق في برية اليهودية الجرداء الخالية من الماء التي يكثر فيها اللصوص وهي التي حملت المعلم العظيم على ضرب مثل السامري الصالح

فرص يسوع التهذيبية في الطريق المتوسطة او طريق شرقي الاردن سافر الحدث يسوع وهو ابن اثنتي عشرة سنة ليشترك في العبادة اول مرة في الهيكل وليسأل معلمي امتهِ العظام بشوق الاسئلة التي حملتهم على العجب

ان لوقا البشير قصَّ علينا بطريقة واضحة متقنة تاريخ سني حياة يسوع الاولى بقولهِ "واما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس" (لو ٢ : ٥٢) وما نستفيدهُ من محيط يسوع الجغرافي متمّم لما ورد عنهُ في الانجيل

وكان والدا يسوع يذهبان في كل سنة الى اورشليم ولا شك ان يسوع كان يذهب معهما . وهذهِ السكك السلطانية نفسها كانت تجلب الى السامرة الكتبة الجائلين ومعلمي الناموس وكانت الفرص الكثيرة تسنح ليسوع ان يحصل على نسخ من اسفار امتهِ ويفهم ما تحويهِ فهماً تاماً كما ظهر هذا في كل مدة خدمتهِ

وزد على هذا ان السامرة كان لها اتصال تامّ بالعالم الخارجي فاظهرت ليسوع حاجة "خراف بيت اسرائيل الضالة" الماسّة التي اخرجتهُ من عزلتهِ ليشرع في عملهِ العظيم

موضع اقامة يوحنا المعمدان ان يوحنا المعمدان من اعظم الرجال الموصوفين في الكتاب بحسن السجايا . والموضع الوحيد المؤكد في حياتهِ هو تلك القلعة المظلمة بجانب البحر الميت حيث مات ضحية غضب هيرودس وخوفهِ . والظاهر انهُ لبث قسماً كبيراً من حياتهِ في اورشليم او بقربها حيث كان ابوهُ يخدم ككاهن وحيث كان هو قادراً ان يلاحظ جرائم الناس التي قاومها بعدئذٍ بشدة واقام عليها الحجة . والبرية العادمة الشجر التي تمتد من البحر الميت

الى ابواب اورشليم تقريبًا كانت الموضع الملائم لنبي البرّ الشديد البأس المنادي بنظام جديد . وهنا حيث لا تزعجهُ العيشة المدنية ولا تذهلهُ قدر ان يبلغ رسالتهُ للمفكرين الذين جاءوا اليهِ في عزلتهِ . وهنا اقامت تلك الطائفة اليهودية الغريبة (الاسينيون) المتصوفون الذين تقشفهم ونظام فرائضهم المدقق كان حجة بالغة على الاميال اليونانية في ذلك الوقت

ميدان عملهِ ان يوحنا كانبياء العبرانيين القدماء الذين كان يشابهم كثيرًا كان يقصد المواضع التي تجتمع فيها الناس

ان الولاة المكابيين وهيرودس حوّلوا وادي الاردن الاسفل المهجور الى حقول مثمرة ترويها الجداول المتدفقة من جانب التل وبنوا فيها القرى الناجحة وحصّنوها بالحصون المنيعة . ووادي الاردن الذي كان يتصل بكل اقسام فلسطين اليهودية — بلاد اليهودية وبيرية والسامرة والجليل — كانت الميدان الخاص لعمل يوحنا . وبيت عبرة (بيت المخاضة) قد اجمع القوم على انها المخاضة الشهيرة المسماة بعبرة مقابل بيسان وتسمى في احسن النسخ الخطية اليونانية "بيت عنيا عبر الاردن"

ونحن في شك من امتداد عمل يوحنا الى العشر المدن ولربما ان بيت عبرة هي بيت نمرة . في نمرين الحالي الشمالي شرقي اريحا حيث وادي نمرين يتصل بوادي الاردن . ويظهر ان نمرين كانت بلدة مهمة وكانت في دائرة خدمة يوحنا النشيطة

معمودية يسوع اذا كان الامر كذلك فالمخاضة التي قابل عندها يسوعُ يوحنا وتعمّد منهُ هي على الارجح شمالي شرقي اريحا تحت الموضع حيث مجرى وادي نمرين يصب في الاردن . وهذا يقرب الى الحقيقة اكثر من المحل جنوبًا الذي يعينهُ التقليد انهُ محل المعمودية . ويسهل علينا في كل حال ان نتصوّر وقوف مياه المجرى الحمراء في سيرها السريع قبلما تصب في البحر الميت . والآجام الكثيفة التي تكتنف ذلك المكان من كل جهة تجعلهُ مقدسًا

ملائمًا لمقابلة النبي الشجاع للتلميذ من الناصرة البعيدة التلميذ الذي جاء ليعتمد من يوحنا ويتم غايته القصوى

ان تعميد يوحنا ليسوع كان اعظم اعمال يوحنا . علم يوحنا هذا او لم يعلم . ان يسوع قصد بهذا العماد تخصيص النفس ليس لما كان يوحنا يفعله فقط بل لعمل اعظم واوسع قد أُظهر له في السنين الهادئة التي تقضت عليه في الناصرة فعمل يسوع البسيط والمهم جدًا قد جلب له تاكيدًا سماويًا تامًا ان الله استحسن عمله بحلول الروح القدس عليه بهيئة جسمية

وكان على يسوع بعدُ ان يجد المكان والرجال والوسائل التي بها يعمل ولكنه من ذلك الوقت فصاعدًا فوّض له ان يعمل . والكتاب يخبرنا ان بعد مقابلة يسوع العجيبة ليوحنا حصلت عدة مرات في خدمته التجارب المذكورة في الكتاب وقيد ليطلب عزلة في البرية غربي الاردن حيث يحارب التجارب التي هاجمته ويغلبها وينال السلام الفائق والتوازن اللذين اتصفت بهما كل اعماله واقواله في كل ضائقات خدمته العظيمة

مخيروس حيث قُطع راس يوحنا المعمدان تشير كل البشائر الاربع الى ان يسوع حذا حذو يوحنا مدة قصيرة وبلّغ نفس الرسالة بنجاح عظيم في القرى اليهودية . ويظهر ان عمله هذا قد انتهى عند القاء القبض على يوحنا الذي اذ انتقد ببسالة اثم هيرودس بتطليقه امرأته بنت الملك الحارث (اريتاس) وتزوجه امرأة اخيه هاج غضب هيرودس ولاسيما هيروديا شريكته في الاثم . وبحسب عادات تلك الايام قبض هيرودس على يوحنا ووضعه في مخيروس ابعد حصن الذي كان يعلو عن سطح البحر ٣٠٧٠ قدمًا على قمة منبسطة وممتدة شرقًا وغربًا نحو ميل . وكان على قول بلني ثانيًا لاورشليم في المناعة بناه هيرودس في المحل الذي كان فيه حصن المكابيين القديم . وكان في وسط هذا الحصن قلعة حصينة جدًا وسورها الذي كان قطره مئة وعشرين ذراعًا لم تزل آثارهُ ظاهرة وداخل هذه القلعة فارغ

لا شيء فيهِ سوى بئر عميقة جداً وسردابين مظلمين . وبنى هيرودس الكبير ايضاً مدينة رومانية منيعة عند راس الوادي والارض الواسعة المملوءة من الحجارة المنحوتة والجدران المتهدمة تشهد احسن شهادة لكبرها ومناعتها . وفي وسطها اطلال قصر كبير او قلعة والممرات المتعددة توصل الى حياض واسراب (سراديب) تحت الارض تشير الى انها هي قلعة هيرودس انتيباس التي تحتها سجن يوحنا المعمدان . وفي هذا المحل المشؤوم اقام اسكندر جانيوس وهيرودس الكبير وابنهُ انتيباس مدة وفيهِ قطع رأس يوحنا المعمدان

تأثير سجن يوحنا في يسوع ان اخبار سجن يوحنا أثرت تأثيراً عميقاً في يسوع . وقادتهُ الى تغيير مكان عملهِ فبرح اليهودية ومجاليها الفظّة وعيشتها الضيقة وعاد الى المناظر الابسط والاكثر بهجة في الجليل . واستمرَّ بعض الاستمرار على التبشير ولكنهُ صار يخصص نفسهُ اكثر فاكثر للتعليم وطلب ان ينتخب من بين الجمهور الذي احتشد حولهُ بعض التلاميذ ليكونوا من اقرب المقرَّبين اليهِ شخصيًا وليحملوا في سيرتهم وتعليمهم الرسالة التي اراد ان يبلغها لامتهِ وللعالم

هيئة يسوع ان البشائر الاربع تخبرنا عن النمو الداخلي الروحي نموّ ابن الله الالهي ولكن المجتمع الذي عاش في وسطهِ يبين طبيعة نموهِ الطبيعي والناصرة لم تزل شهيرة بنوع رجالها ونسائها الجذابين ومحيطها الصحي وتربتها وهواؤها كلها وسائل للعافية الكاملة والتعرض الدائم لحرارة الشمس الحارة جعلت لون يسوع شديد السمرة والمعيشة في الخلاء بين تلال الجليل جعلتهُ على الارجح طويلاً في القامة واعمالهُ واسفارهُ الطويلة تدلُّ على انهُ قويٌّ شديد العصب. انَّ انفهُ كان رقيقًا وعينيهِ لامعتين . وهذا ما يتصف بهِ خلَّص الساميين . والتأثير الذي كان يؤثرهُ لاول وهلة في كل الذين كان يقابلهم يشير الى ان نموهُ كان نموًا طبيعيًا كاملاً . ولو انهُ سمح للجماهير المتحمسة التي كانت تتبعهُ ان ينادوا بهِ ملكًا لكان استوى على العرش وزينهُ ومن طلعتهِ واحتمالهِ يعلم انهُ

رزين يتفق اتفاقًا تامًا مع الآب السماوي ويشعر باحتياجات كل الجنس البشري ورغائبهم وهكذا لنا كل ما يحملنا على التصديق ان يسوع كان في الجسد والفكر والنفس اسمى مخلوقات الله بلغ اقصى درجة في الكمال . هذا من حيث طبيعتهِ البشرية

الفصل الرابع والعشرون

مواضع اعمال يسوع الدينية

سبب اتخاذ يسوع كفرناحوم وطنًا لهُ في بداءة خدمة يسوع في الجليل نقل وطنهُ وموضع عملهِ من الناصرة الى كفرناحوم . واختيارهُ هذهِ المدينة يبين اتساع قصدهِ لان كفرناحوم كانت القصبة التجارية لبلاد فلسطين الشمالية ومنها تتفرع السكك السلطانية العظيمة من مصر وفلسطين المتوسطة وجلعاد وبلاد العرب في الجنوب وتتصل بفينيقية وسورية الشمالية ودمشق وبلاد بابل . ومع انها كانت مدينة يهودية بحتة فسكانها كانوا خالين من التعصب والتشيع . وكان فيها كثير من الحرف المختلفة فالسمك الذي كان يصاد فيها ولاسيما في القسم الشمالي من البحيرة كان مشهورًا في كل الجليل والسهول السقي ذات الحجارة السوداء حول الطرف الشمالي لبحر الجليل تغل كثيرًا من الحبوب وعلى التلال المحجرة المخصبة يسرح الرعاة قطعانهم . وموضع المدينة ايضًا جعلها مركزًا تجاريًا مهمًا والعشارون وقواد المئات الرومانيون تخذوها مقرًا لهم فلذلك كانت كفرناحوم تمثل كل انواع العيشة في الجليل . فالتعليم الديني الذي يزرع في هذا الموضع الموافق ينتشر في كل الجهات

موضع كفرناحوم . البرهان الاثري ان موقع كفرناحوم لم يزل موضوع البحث الطويل والموقعان اللذان يتناظران هما (١) تل حوم عند الطرف الشمالي لبحر الجليل (٢) خان منيه او التل المجاور المعروف بتل اوريمه على الجانب الشمالي الغربي ومع انهُ لم يحصل حفر كثير في هذهِ المواضع فالبراهين الاثرية التي اكتشفوها تدل بوضوح ان تل حوم هو كفرناحوم . وعلى قمة تل اوريمه الذي يرتفع عن سطح البحيرة ٢٤٠ قدماً اطلال مدينة امورية قديمة وفي هذا الموضع كما في خان منية وفي السهل المجاور لم يكتشف اثرٌ لاطلالٍ رومانية . وفي خربة منيه الى الشمال بقرب شاطىء البحيرة تجد اطلالاً عظيمة لمدينة عربية زهت في اثناء العصور المتوسطة . واذ لم نجد اثراً لاطلالٍ رومانية فلا يُصدَّق ان القصبة العظيمة كفرناحوم كانت في هذا الموضع

الاطلال في تل حوم ان تل حوم هو بالعكس موضع مساحة كبيرة من الاطلال كانت في العصر الروماني والعربي ويتضح انها كانت موقع مدينة كبيرة حيث الحجارة الحورانية منتشرة في كل جهة بينها قطع من الاعمدة وتيجانها من الحجر الكلسي الابيض . وفي الوادي المجاور تجد مقبرة رومانية متسعة تبرهن انهُ كان بقربها في احد الازمنة مدينة عظيمة زاهرة . وفي وسط هذهِ الاطلال بقايا اكبر مجمع اكتشف في الجليل . كان مبنيًّا من الحجر الابيض الكلسي ومزيناً احسن تزيين . ومن الاشياء المتقنة الصنع المنقوش عليها المنارة ذات السبعة فروع والنخل والكرم يتبين صريحاً انها يهودية وأُسس هذا البناء الفخم وكثير من اعمدتهِ الساقطة لم تزل باقية يحرسها الرهبان الفرنسسكانيون بغيرة اذ اقاموا حولها سوراً عاليًا . والمجمع يقابل البحيرة . امامهُ ممشى مرتفع يرتقى اليهِ بواسطة درج من الشرق والغرب وهذا المجمع كاكثر مجامع الجليل لهُ ثلاثة ابواب اوسطها اتساعهُ ست اقدام واللذان على جانب

اتساع الواحد اربع اقدام ونصف وطول الجامع نفسهُ ٧٨ قدماً وعرضهُ ٥٩ قدماً والدار الداخلية كان يحيط بها ثلاثة صفوف من الاعمدة بُني عليها رواق علويّ . ويُستدل من اطلال هذا المجمع الباقية انهُ من القرن الثاني المسيحي على ما يظن وفيهِ من الادلة الواضحة انهُ بُني في موقع مجمع اقدم منهُ وهذا يرجح انهُ هو الذي يشير اليهِ الانجيل كثيراً

شهادة البشائر ويوسيفوس ان الآيتين المتفقتين في يو ٦: ١٧ ومت ١٤: ٣٤ تبينان بوضوح ان كفرناحوم كانت على الحد الشمالي لسهل جنيسارت فعدَّ هذا كثيرون من العلماء انهُ حجة بالغة على ان المدينة التي كانت موضع اكثر اعمال يسوع كانت خان منيه او تل اوريمه في القسم الشمالي لسهل جنيسارت ولنا شاهد من يوسيفوس مما يقلل الشك : ان جنيسارت في العصر المسيحي الاول كانت تطلق على الاراضي المنخفضة شمالي شرقي تل اوريمه الذي يرتفع في وسط السهل وان حدهُ الشمالي الشرقي كان عين الطابغة التي تتفجر من جانب التل في المحل حيث التلال الشمالية تنحدر لقرب البحيرة " وبعد ان وصف يوسيفوس خصب سهل جنيسارت العجيب قال : ما عدا حسن درجة الحرارة التي فيهِ هو يستقي من افضل ينبوع يدعوهُ الناس كفرناحوم وظنَّ بعضهم انهُ فرع من النيل لانهُ يجلب نوعاً من السمك يكون في بحيرة قرب الاسكندرية " وفي مدة الاحتلال العربي احيط هذا الينبوع بحوض مثمن الزوايا ليمنع السمك الذي يكثر في كل المداخل على جانب البحيرة الشمالي الغربي وكان اولاً من غير شك في هذا الينبوع الغزير كما ذكر يوسيفوس وشهادتهُ تدل ايضاً ان مدينة كفرناحوم الرومانية تمتد الى الغرب الى الطابغة على حد جنيسارت وقال يوسيفوس في ترجمتهِ انهُ جُرح في مناوشة بقرب بيت صيدا بولياس شرقي الاردن . وحُمل من هناك الى قرية تُسمى كفرناحوم . وهذهِ الاشارة تشير واضحاً الى ان تل حوم الذي يبعد اربعة اميال فقط عن بيت صيدا بولياس هو موضع كفرناحوم لا خان منيه الذي

هو على بعد ميلين ونصف الى الغرب على نفس الطريق

شهادات السياح القدماء ان السائح الاول المسيحي الذي اخبرنا عن كفرناحوم هو الاسقف اركلف الذي زار تلك البقعة نحو السنة ٦٧٠ ب . م هذا اذ جاء من طبرية عبر سهل جنيسارت ومن التل قرب عين الطابغة شاهد كفرناحوم التي وصفها بقولهِ "ليس لها سور وبما انها محصورة في فسحة ضيقة بين الجبل والبحيرة تمتد كثيرًا من الغرب الى الشرق والجبل على شمالها والبحيرة على جنوبيها" فالوصف مع انهُ اجمالي يطابق تمامًا جغرافية الطرف الشمالي لبحر الجليل والتلال بقرب عين الطابغة تصل الى الشاطىء وتتقهقر في الشرق بالتدريج تاركة لسانًا من الارض يتسع مع تقدمهِ و يمتد الى الشمال الشرقي ميلين الى تل حوم

وبما ان سكان كفرناحوم يستقون من البحيرة ويتعاطون التجارة وصيد السمك خصوصًا او يحرثون حقول الارض السوداء الخصبة التي تنحدر لنحو الشمال من المدينة كان من الطبيعي ان تمتد المدينة ميلين على الاقل على الشاطىء والمتأخرون يشهدون نفس الشهادة بشأن موضع كفرناحوم

والراهب الدومينيكي رخارد في نهاية القرن الثالث عشر يصف عين الطابغة بقولهِ "ان يوسيفوس يدعو هذهِ العين كفرناحوم لان كل الارض من العين الى الاردن — مسافة ساعتين — تابعة لكفرناحوم" ولم يقل احد حتى القرن السابع عشر ان موضع كفرناحوم القديم هو عند خان منيه عوضًا عن ان يكون على جانب البحيرة الشمالي . وهذا التعيين ناتج من اطلال المدينة العربية الكبيرة التي زهت هنالك في العصور المتوسطة

موضع كورزين على بعد ميلين شمالي تل حوم بجانب مضيق بركاني على جرف صخري عالٍ علوهُ نحو ثمانين قدمًا بارز كثيرًا الى الوادي تجد اطلال مدينة اخرى رومانية اسمها اليوم خرزه وهذا الاسم العربي هو كورزين المذكورة في الكتاب . وهذا يوافق ما قالهُ ابرونيموس ان كورزين تبعد ميلين

عن كفرناحوم . ومع انها لم تكن تماماً على بحر الجليل كما جاء في وصفهِ تشرف من بعض المواضع على البحيرة تجنها . واطلال المدينة القديمة مبذورة في عدة فدادين تشير الى ان كورزين كانت على الارجح كبيرة ككفرناحوم. وكان من اهم ابنيتها مجمع طوله ٧٤ قدماً وعرضهُ ٤٩ له ثلاث بوابات واعمدة الكورنثية مزينة باتقان على زيٍّ يشهدانهُ من عصر ليس اقدم من القرن الثاني المسيحي وكمجمع كفرناحوم يرجح انهُ مبني على موضع مجمع قديم . فيهِ علَّم يسوع سكان هذهِ المدينة الرومانية المعتزلين اليهود . وبقايا معاصر الزيتون تشير الى ان المدينة كانت في بعض الازمنة تحيط بها بساتين الزيتون وبقربها ايضاً حقول تربتها المخصبة السوداء كانت تنتج الخر نوع من القمح اشتهرت بهِ كورزين على ما جاء في التلمود البابلي

بيت صيدا ان بيت صيدا التي شاهدت كثيراً من اعمال يسوع العظيمة كانت على ما قال بلني وابرونيموس شرقي الاردن . واليها جاء يسوع من اراضي هيرودس انتيباس حينما وصلت اليهِ اخبار قتل يوحنا المعمدان والمدينة كانت تماماً شرقي الموضع الذي فيهِ الاردن يدخل الى الدلتا التي بواسطتها يصب مياههُ في بحر الجليل

ان فيلبس بن هيرودس الكبير اعاد بناءها وصيَّرها مدينة يونانية وسمَّاها يولياس اكراماً لبنت حاميهِ اوغسطس تمثلها الآن الاطلال المعروفة بالتلّ وكان محلها بغاية الملائمة الى جنوبيها السهل المخصب الصلصالي الذي كونتهُ دلتا الاردن

وهي قائمة على تل مستدير يرتفع عن السهل خمسين قدماً او ستين والاطلال الرومانية المتسعة تبين اهمية المدينة النصبة الجنوبية لملكة فيلبس

موضع اشباع الالوف على ما يرجح في موضع منفرد يشرف اشرافاً عجيباً على بحر الجليل الى الجنوب كان يسكن ثلاثة من تلاميذ يسوع وهم اندراوس وبطرس وفيلبس ومياهُ البحيرة تحت الدلتا تماماً لم تزل افضل محل للصيد

في كل بحر الجليل

وشرقي ذلنا الاردن وشماليها كثيرٌ من العشب الذي يكسو السهل ومنحدرات التلال الشرقية . وهذا الموضع الذي كان محلاً منفردًا ما وراء حدود المدينة يطابق تمام المطابقة ما ورد في انجيل يوحنا "وكان في المكان عشب كثير" ومع ان التقليد المسيحي القديم يعيّن موضع اشباع الجماهير على حدود سهل جنيسارت الشمالية فالارجح انهُ هنا على جانب البحر الشمالي الشرقي حيث كان يسوع قادرًا من غير ان يزعجهُ احد ان يعلم الجماهير ويسدّ احتياجاتهم الروحية والجسدية

ابحار التلاميذ ليلاً البرهان على انهُ كان بلدة اسمها بيت صيدا غربي الاردن يُرَدّ عند البحث الدقيق . ان الآية المعتمد عليها مر ٦: ٤٥ التي تبيّن ان يسوع بعد اشباعهِ الجماهير امر تلاميذهُ ان يعبروا الى بيت صيدا يمكن ان يفهم منها ان التلاميذ أُمروا ان يذهبوا الى جهة بيت صيدا فقط . وما في القصة في مرقس كما في مت ١٤: ٣٤ تبين ان التلاميذ عبروا ونزلوا في سهل جنيسارت ويوحنا ٦: ١٧ يزيد انهم كانوا قاصدين كفرناحوم . وما اتصف بهِ الطرف الشمالي لبحر الجليل طبيعيًا يوضح ابحار التلاميذ ليلاً ايضاحًا كبيرًا . والمسافة الحقيقية من البقعة المنفردة جنوبي شرقي بيت صيدا الى كفرناحوم هي نحو ستة اميال فقط . وكان سيرهم معظمهُ للغرب نحو المحل الذي فيهِ سهل جنيسارت والاودية وراءهُ تتصل بمرتفعات الجليل العليا . من هذا الباب المفتوح تهبّ الرياح بغتة على البحيرة هبوبًا عظيمًا . والتلاميذ المتعبون حاربوا عاصفة غربية كهذهِ كل الليل حتى الصباح واخيرًا كما نرى في انجيل يوحنا جاء يسوع الذي كان دائمًا يهتم لمصلحة اصدقائهِ ليقابلهم عندما كانوا قريبين من البر آتيًا اليهم على صفحات الماء

المحلات التي علم يسوع تلاميذهُ فيها على الجانب الجنوبي لسهل جنيسارت حيث احد المجاري الذي يروي السهل يصب في البحر كانت بلدة

مجدلا تحت ظل الاجراف التي تقترب من الشاطئ في الجنوب وكان بينها وبين كفرناحوم موطن يسوع اربعة اميال او خمسة فقط وشرقي. الطريق التي تمتد من كفرناحوم الى الناصرة كانت المرتفعات المستديرة الجرداء المعروفة بقرون حطين حيث قصد يسوع على ما في التقليد وعلّم الحقائق العظيمة التي تحويها الموعظة على الجبل. والى شمالي وغربي كفرناحوم مرتفعات كثيرة تشرف على مجال جميلة عبر البحر كان يسوع لا شك يختلف اليها بصحبه اوقاتا تلامذته والتقليد المسيحي القديم (تقليد اوكلاف نحو ٦٧٧ ب.م) يعيّن محل القاء التطويبات والموعظة على الجبل على قمة تل عند آخر الوادي الذي يتصل بشمالي عين الطابغة المشهورة. وقال بوكسبوس الذي كتب في القرن الثاني عشر "ان منزلة (نزلة) الجبل حيث الرب بشّر الجمهور كانت تبعد ميلين عن كفرناحوم" وبهذا اثبت ما قيل سابقا من ان ذلك المحل المنفرد هو قرب المدينة التي شاهدت معظم تعليم المسيح وعمله. ويظهر كما قال الدكتور ماستر من ان الصعوبات التي منعت السياح من الوصول الى شاطئ بحر الجليل بعد هذا قادتهم الى القول ان ذلك الموضع هو قرون حطين بقرب طبرية لا جبل صيدا. وعلى الشاطئ الشمالي من البحر بوغازان او ثلاثة جميلة المنظر تصعد بالتدريج كمدرّج. وهنا ما يحتاج الى التأمل القليل كيف ان يسوع قعد في السفينة مع تلاميذه والجماهير المصغية حوله. ان هذه البقع الهادئة المنفردة عن المدينة كانت ذات اهمية عظمى في خدمة يسوع لان عمله العظيم كان عمل معلم وهذه البقع جعلت فرصة ملائمة للاحاديث الهادئة بالسؤال والجواب. وللتأثير الشخصي الذي كان سرّ قدرة يسوع المعلم

الطرف الشمالي لبحر الجليل ان خدمة يسوع التعليمية تمّ معظمها تقريبا حول الطرف الشمالي لبحر الجليل وكانت ضمن نصف قطر دائرة اربعة او خمسة اميال مركزها كفرناحوم. وهذا العمل مما يقنع ان منهاج يسوع في العمل كان

التفهيم الواضح لا توسيع دائرة العمل ولم تزل الويلات التي فاه بها على كفرناحوم وكورزين وبيت صيدا تظلل هذهِ البقعة التي هي اجمل واكثر انفرادًا من كل ما سواها في كل فلسطين. ان كل هذهِ المواضع تكاد تكون مقفرة وموحشة لولا بعض الرهبان الذين يسكنون في تل حوم ويظهر ان السكوت سائد على كل تلك الارض والسائح يسير غالبًا اميالاً دون ان يقابل انسيًا انما يرى نادرًا السفن ناشرة شُرعها على طرف البحيرة الشمالي فهي كهيكل قديم خرب لا يزعج تذكاراتهِ المقدسة وقع قدم او صوت بشر

المقابلة بين الطرف الشمالي والجنوبي ان طرف البحيرة الجنوبي من الوجه الآخر قد بدأ ان تؤثر فيهِ التجارة وطبرية التي هي على الجانب الجنوبي الشرقي فيها اكثر من خمسة آلاف نفس ثلثاهم يهود وفي سفح على جانب البحيرة الجنوبي لسكة الحديد بين حيفا ودمشق محطة تجلب ليس السيّاح فقط بل محصولات العالم الخارجي وعاداتهِ . والعالم اليوناني الروماني في ايام يسوع كان قد امتلك معظم الجانب الجنوبي لبحر الجليل . وطبرية مدينة هيرودس انتيباس كانت إما كاملة او كانت تُبنَى وموقع تراخيا التي يدل اسمها على يونانيتها كانت عند الكرك او على الطرف الجنوبي الغربي للبحيرة . وعبر البحر على المرتفعات مقابل طبرية كانت المدينة اليونانية بكليتها هبُوس التي كانت تعدُّ احدى المدن العشر . ومدينة جدرة الجميلة قائمة على مرتفع بارز يعلو ٢٠٠٠ قدم عن سطح بحر الجليل الى الجنوب الشرقي . ومسرحها وقلعتها تشرفان على منظر بديع . وعلى المرتفع غربي المدينة كانت تمتد الطريق الرومانية المبلطة وعلى جانبيها صفان من الاعمدة وبيوت جميلة للسكن وغربي هذا ايضًا لنحو البحر تجد قبور اغنياء المدينة

زيارة يسوع لاقليم جدرة ذكر مرة واحدة فقط ان يسوع برح البلاد اليهودية اي الطرف الشمالي للبحر ليدخل العالم اليوناني شرقي البحر الذي كان قريبًا منهُ . والمحل الذي شفى فيهِ المسيح المجنون الذي كانت يسكن

ج

فيه الارواح النجسة غير معروف تماماً ولكننا نعرف انهُ قريب من البحر وان بجوارهِ عدة من القبور القديمة (الكهوف) كان يسكن في احدها هذا المجنون

الساعة الفاصلة في خدمة يسوع قد ظهر ان معظم الذين جاؤُا الى يسوع كان غرضهم الشفاء من الامراض والشبع من الطعام او انهم كانوا يؤملون انهُ مسيًّا الزمني المنتظر . ولكنهُ عندما اظهر لهم رسالتهُ الروحية فشلوا فاشبهوا التربة الحجرة التي ذكرها المسيح في مثلهِ الشهير ولذلك ما زرع فيهم لم يثمر . وارسل الكهنة من اورشليم الكتبة ليصطادوهُ بكلمة ويثيروا عدم الثقة والمقاومة لهُ حتى في نفوس تلاميذهِ . وهكذا وجد نفسهُ يحيط بهِ بغتة لا الجماهير المتحمسة بل الاعداء المشككون الحاقدون

سفر المسيح الى فينيقية ومن ذلك الوقت غيَّر يسوع شيئاً في خدمتهِ وترك الجليل وصار يخصص نفسهُ شيئاً فشيئاً لتعليم تلاميذهِ وتثقيفهم عارفاً انهم هم الذين يبلغون رسالتهُ الالهية . وذهب مرة مع تلاميذهِ الى حدود صور وصيدا . وكانت سياحتهُ هذهِ على شكل دائرة في الاودية الجميلة العالية اودية الجليل العليا الى سهول فينيقية الدافئة الخصبة . والقصة الكتابية تشير انهُ لم يدخل مدينة صور القديمة بل تقدم نحو الشمال والارجح على الطريق الساحلية العظيمة المارة في صرفند وصيدا . وصور وصيدا كانتا وقتئذٍ مدينتين تجاريتين مهمتين . ان صيداء قائمة على لسان بارز الى البحر المتوسط ولها مرفئان قريبا الغور في الشمال والجنوب . والانجيل يخبرنا ان يسوع رجع الى بيت صيداء ماراً في المدن اليونانية شرقي الاردن وبهذا تجنب تجنباً تاماً الدخول الى املاك انتيباس

في قيصرية فيلبس وبعدها بقليل زار يسوع قصبة فيلبس قيصرية (بانياس) التي هي عند رأس وادي الاردن على الطريق السلطانية بين شمالي فلسطين ودمشق . واذ لم يدخل يسوع المدينة ذهب الى احد التلال المنفردة شمالي المدينة حيث تجلى وحصل الاجتماع والمحادثة الشهيرة بينهُ وبين

موسى وايليا. وهنا علّم يسوع تلاميذهُ انهُ سيتم رسالتهُ بالموت . وبالتجلي اظهر لهم صفاتهِ الحقيقية

السفر الاخير نحو اورشليم يظهر جليًا من لو ١٣: ٣١ ان هيرودس انتيباس في ذلك الوقت كان يحاول ان يقتل يسوع كما فعل بيوحنا المعمدان وهذا يظهر سبب تجنب يسوع املاك انتيباس قاصدًا ان يموت في اورشليم . ولذلك حينما رجع جنوبًا من قيصرية فيلبس مارًا بالجليل على جانب البحيرة او بقارب الى الطرف الجنوبي كان مهتمًا ان لا يعلم بهِ احد (مر ٩: ٣٠) والطريق المستقيمة من كفرناحوم الى اورشليم كانت في الجانب الغربي لوادي الاردن ولو ١٧: ١١ يذكر انهُ مرَّ بطريقهِ على حدود السامرة والجليل. ويرجَح انهُ في احدى القرى الصغيرة غير بعيد عن بيسان طلب البرص العشرة منهُ الشفاء . وعدم قبول السامريين له حملهُ على الذهاب الى شرقي الاردن وسار في طريق الاردن الشرقي . وهذهِ الطريق في املاك هيرودس انتيباس ولكنها بعيدة عن قصبتهِ . وهنا تجمع الشعب عليهِ وهنا بارك الاولاد

في اريحا ان الجموع تبعوا يسوع بعد ما عبر الاردن وكان ذاهبًا الى اورشليم. والانجيل يذكر في ذلك المحل حادثتين مهمتين حادثة الاعمى وحادثة زكا العشار . وكان حول اريحا في ذلك الوقت بساتين النخل بكثرة كذلك البيلسان وفي اريحا كانت تمرُّ القوافل من جلعاد والصحراء الى اورشليم وكانت اريحا حد اليهودية الشرقي ولذلك كانت محلاً مهمًا لجمع الضرائب وكان زكا ساكنًا فيها

مركز بيت عنيا تمتد الطريق من اريحا في برية اليهودية الجرداء الى اورشليم . وهي ترتفع بالتدريج نحو ٣ الآف قدم . وعلى الارجح ان هيرودس الكبير كان قد وصل هاتين المدينتين المهمتين في امبراطوريتهِ بطريق رومانية تابعة غالبًا الطريق العامة التي تسير عليها طريق العربات الحديثة. وعند الوصول الى اورشليم يختلف المنظر وتتبدل البريـــة الجرداء بالنجد

المرتفع على رأس المصعد (الطلعة) الاخير. وعلى هذا السفح الجنوبي الشرقي لجبل الزيتون بلدة بيت عنيا الصغيرة. كانت تحيط بها حقول الحبوب الخجرة فتجعلها كأنها في مظلة من اشجار التين واللوز والزيتون والى الشمال الغربي سلاسل جبل الزيتون العالية التي تحجب منظر اورشليم. و يظن ان فوقها كانت قرية بيت فاجي الصغيرة تبعد عن بيت عنيا اقل من ميل وتخطر على البال عندما تذكر بيت عنيا كما ورد في الانجيل. والناظر الى الشرق يرى الغور الواسع الذي فيه تمرّ الطريق الى اريحا والى الجنوب الشرقي يمتد النظر الى ما وراء تلال برية اليهودية الجرداء الى البحر الميت والى نجد موآب العالي. ومما يستحق الذكر ان يسوع اختار هذه القرية وطناً له عندما كان في اليهودية لانها كانت منفردة وقريبة من اورشليم واحد المحلات القليلة التي تشرف على مجال واسع. وبعد ان كان يلبث كل النهار في اورشليم يعلم كان يصعد مساء الى بيت عنيا طلباً للراحة بعيداً عن التعصب الديني والاهتمام بالفرائض اللذين كانا ضاربين اطنابهما في اورشليم

دخوله الى اورشليم دخول المنتصر بقرب بيت عنيا وطن يسوع الجنوبي حيث لبث اياماً عديدة حصّل المخلص اتاناً ركبها ودخل بها اورشليم دخوله المشهور. وكان وقتئذٍ عيد الفصح والزائرون من بيرية والجليل واليهودية الشرقية المحلات التي اتمّ فيها خدمته رافقوهُ في هذهِ الرحلة واذ رأوهُ راكباً اتاناً الحيوان الذي كان بركبهُ الملوك على عهد داود انتعشت بغتة آمال اليهود القديمة وانتشر بسرعة خبر حضورهِ بين الزوّار الكثيرين والذين في المقدمة قطعوا اغصان الاشجار عن جانبي الطريق ونشروها في طريق المسيح وآخرون فرشوا ثيابهم وصاروا يترنمون متخذين بعض المزمور ١١٨ "قائلين اوصنا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب اوصناً في الاعالي" مت ٢١: ٩ وهذا الاحتفال دار ببطء حول البارز من جبل الزيتون الجنوبي ووادي قدرون العميق في الجنوب امامهم. وظهرت اورشليم بغتة للعيان.

ومن هناك نزلوا الى الوادي ودخل يسوع المدينة وذهب الى الهيكل حينما كانت الشمس تتوارى خلف التلال الغربية غير منتظر عرشاً بل محلاً للعبادة . وبعدئذٍ في المساء الهادىء اذ رفض ان يشجع الشعب ادنى تشجيع في آمالهم العالمية عاد الى وطنهِ الحقير بيت عنيا

عمل يسوع الاخير في الهيكل ان عمل يسوع في اثناء الاسبوع الاخير كان معظمهُ في الهيكل وملحوظة تلاميذهِ بشأن ابنية الهيكل الضخمة استخدمها يسوع لاستلفات انظارهم الى الهيكل المبني بغير ايدٍ ويرجح ان هذا كان بقرب المدخل في القسم الجنوبي لدار الامم العظيمة . وتحت الاروقة الهائلة ذات الاربعة صفوف من الاعمدة الكورنثية كان الصيارفة وباعة الحمام السالبون يتجرون . وهولاء لا بدَّ انهم رشوا رؤساء الكهنة للحصول على محلات ضمن الحدود المقدسة . وعمل يسوع في طردهم لم يكن اعادة تقديس الهيكل فقط بل توبيخًا لاعمال شرفاء الصدوقيين . ورواق سليمان حيث كان يسوع يتمشى ويعلم كان رواقًا طويلاً لهُ صفان من الاعمدة على الجانب الشرقي لدار الامم . وفي هذا الجانب الشرقي كانت بوابة واحدة فاخرة بابها بزينة النحاس الكورنثي توصل الى دار النساء . وفي هذهِ الدار الشرقية كان على الارجح ١٣ صندوقًا للتقادم فيها كان يلقي الناس تبرعاتهم والى هذا المحل كان يدخل اليهود فقط من رجال ونساء والارجح ان يسوع وتلاميذهُ وقفوا في هذهِ الدار وراقبوا الذين كانوا يلقون قرابينهم فالاغنياء كانوا يلقون الكثير والارملة الفقيرة فلسيها

العشاء الاخير والآلام المبرحة ان محل العيد حيث تناول المسيح وتلاميذهُ العشاء الاخير لا يعرف بالتحقيق ولكنهُ بحسب التقليد موضع على التل الغربي . وكذلك بستان جثسيماني غير معروف على ان اسمهُ يشير على ما يُرجح الى بستان زيتون فيهِ معصرة . ولا شك انهُ كان يحيط بهِ وشيع كالبساتين امثالهُ حول اورشليم اليوم وكان شرقي قدرون على جانب جبل الزيتون .

وأحد التقاليد الذي هو ليس اقدم من القرن السادس عشر على الارجح يدل على ان جسيماني هو جنينة منخفضة في وادي قدرون مقابل الهيكل وهذه الجنينة بزيتوناتها الثمان القديمة تمثل للمخيلة تلك البقعة. والارجح ان جثيماني على بعد من هذا المكان واكثر خلوة حيث جُرب المسيح تجربته العظيمة الاخيرة وتغلب عليها وسلم نفسهُ بالكلية متطوعاً لاتمام العمل الالهي الذي عُهد بهِ اليهِ .

مواضع المحاكمة ان الانجيل يخبرنا ان المسيح لم يحاكم في اجتماع قانوني امام مجمع السنهدريم الذي كان يلتئم في احدى الغرف الملاصقة للهيكل بل في بيت قيافا رئيس الكهنة . وتلك الجلسة النصف ليلية لم تكن جلسة قانونية بل كانت استنطاقاً ابتدائياً قام بهِ اعداؤُهُ الصدوقيون قاصدين ان يصوغوا تهماً محدودة ضدهُ وبيت رئيس الكهنة كان من غير شك بقرب الهيكل وبرجح انهُ كان لجهة الغرب . والمحاكمة امام بيلاطس الوالي الروماني كانت على ما جاء في بشارة يوحنا في دار الولاية (البريتوريوم) والمحل الذي كان ينتصب فيهِ بيلاطس للقضاء كان متصلاً بالقصر الذي شادهُ هيرودس على التل الشرقي الذي كان وقتئذٍ مقرّ ولاة اورشليم الرومانيين . والارجح انهُ كان في برج انطونيا شمالي الهيكل تماماً لهُ باب الى دار الامم حيث كان الجمع المحالف لحزب رؤساء الكهنة محتشداً

محل الصلب حسب التقليد ان موضع الصلب غير معروف . يشير الكتاب انهُ كان خارج سور المدينة في محل ظاهر بقرب المدينة وبقرب سكة سلطانية مهمة ايضاً وبجوارهِ كان قبرٌ . والاسم جلجثة يشير الى انهُ كان اما في مقبرة او كان تلاً شكلهُ شكل جمجمة والبشير لوقا اذ يسمي المحل الجمجمة يدعم الاستنتاج انهُ كان شكلاً غريباً من الصخر نُسب اليهِ المحل

وابرونيوس يسميهِ الجبل الصغير او جلجثة . وكان من عادة اليهود والرومانيين ان يقتلوا المخلين بالامن العام خارج المدينة وفي حالة الذين هم

كيسوع المتهمين بعصيان كانوا يختارون لقتلهم محلاً ظاهراً عمومياً لكي يجعلوهم عبرة لمن اعتبر. والتقليد يعين محل الصلب غربي الهيكل عبر الطرف الاعلى وادي تيروبيون ويمكن ان نستنتج مما حُفر حديثاً انهُ كان خارج سور المدينة الرومانية الشمالي والقبور التي اكتشفت في ذلك الموضع نري انهُ كان مقبرة. وبينا نرى ان هذا التعيين غير مستحيل لا نقدر ان نسندهُ الى زمن ابعد من القرن الرابع المسيحي

الموضع الذي يرجح على غيرهِ ان المكان المرجح هو في محل بقرب التل المستدير كالجمجمة على بعد خمسماية قدم عن بوابة دمشق فوق المحل الذي يسمى كهف ارميا. وهو بقرب الطريق الشمالية العظيمة. وبسبب علوهِ يمكن ان يُرَى من جانب المدينة الشمالي وهو تتمة السلسلة الشمالية التي بنيت عليها اورشليم وشكلهُ البارز ووجههُ الخشن مسبب عن نقر الصخر في ذلك الموضع الذي أُخذت منهُ مقادير من الحجارة لاعادة اصلاح الاسوار. ويرجح ان هيرودس اقتلع من ذلك المكان كثيراً من الحجارة التي استخدمها في توسيع ساحة الهيكل الى الجنوب. والجرف الصخري البارز على الجانب الشمالي من هذا المقلع اتخذ محلاً ملائماً للاعدام العمومي. اذا كان هذا محل الصلب فالمحل الذي اقيم فيهِ الصليب الارجح ان الحجارين المتأخرين قد قطعوهُ

محل الدفن في جنينة صغيرة الى الشمال نرى اليوم قبراً منقوراً في الصخر لم يزل محفوظاً وهو مثال فائق لقبر الاسرة في العصر الروماني ويمكن ان يكون قبر يوسف الرامي ومع هذا فليس من برهان قاطع. ولكنهُ يسرُّ كثيراً لانهُ من نوع القبر الذي دُفن فيهِ جسد المخلص. والامر الاكثر اهمية ان لا موضع من المواضع التي شاهدت فصول حياتهِ الاخيرة يمكن ان يعيَّن بالتاكيد. والمسيحية شرقاً وغرباً ارت نفسها انها مشتاقة جداً ان تعبد المواضع المقدسة وبعملها هذا تنسى معنى الحوادث العميقة التي قد جعلت تلك المحلات مشهورة. ومع ان اكثر هذهِ المواضع سيبقى الى الابد غير معروف فعمل المعلم

وتعليمهُ سيثبتان ويشغلان محلاً يتسع على طول الزمن في حياة النوع الانساني وفكرهِ

الفصل الخامس والعشرون

انتشار المسيحية في كل الامبراطورية الرومانية

المركز الاصلي في اورشليم ان انتشار المسيحية في كل العالم المتمدن شهادة قاطعة ليس على صحة رسالة يسوع ومنحها الحياة فقط بل على حكمة اسلوبهِ الفائقة ايضاً . ان موتهُ الكفاري كان مرعباً في البداءة ولكن ظهورهُ حيّاً بين التلاميذ بطريقة مألوفة في اورشليم وعلى شواطىء بحر الجليل الشمالية انعشهم حتى حملوا الرسالة التي تركها لهم واذاعوا بشرى الخلاص بشرى محبة الله للبشر . والامر الغريب ان الجليل التي كانت موضع الدعوة والتعليم ومحل ارسال تلاميذ يسوع اندرست وصارت نسياً منسيّاً . وكفرناحوم وكورزين وبيت صيدا عجزت عن تلبية الطلب وانتهاز الفرصة العظيمة السانحة فصحت فيها الويلات . والتلاميذ بحسب امر المسيح غير الصريح اذا لم نقل الصريح نقلوا مواطنهم وعملهم الى اورشليم موطن الامة اليهودية الديني الذي التجأوا اليهِ وحدهُ اولاً هم ومعلمهم . اذ كان هو المحل الذي كان ممكناً لهم فيهِ ان يؤثروا في العالم اليهودي باجمعهِ اذ كان في الاعياد السنوية العظيمة يتقاطر اليهِ الزوّار من كل اطراف الامبراطورية الرومانية . واتخذ التلاميذ مثال المعلم العظيم فاتخذوا على عواتقهم امر التبشير والتعليم داخل حدود الهيكل ولاسيما في رواق سليمان على الجانب الشرقي حيث كان السيد يمشي غالباً ويتحدث

انتشار المسيحية خارج اليهودية ان رجم استفانوس خارج المدينة

والارج في المقالع المقفرة شمالي الهيكل كان له شأن عظيم جديد في حياة الجماعة المسيحية الاولى لانهُ كان بداءة اضطهاد مرّ على ايدي رؤساء اليهود . وهذا حمل التلاميذ على الهرب من اليهودية المنفردة الى كل الانحاء فصاروا قوة تبشيرية انتصرت على كل العالم . فالمؤمنون في تشتتهم هذا الاول اتبعوا طبيعياً السكك السلطانية العظيمة الممتدة من اورشليم شمالاً وجنوباً وغرباً فبشّر فيلبس الانجيلي في السامرة ونجح نجاحاً باهراً حيث بنى على اساس عبراني قديم لان توراة السامريين كانت تشتمل على اسفار موسى الخمسة واجزاء من سفر يشوع . وبما ان الشعب السامري الممتزج كان معرَّضاً بسبب وطنهِ الجغرافي للتأثيرات المختلفة التي كانت ضاربة اطنابها في كل شرقي البحر المتوسط لم يبرهن على ثبوتهِ في الكنيسة المسيحية الاولى

عمل فيلبس في الجنوب والغرب واذ ترك فيلبس السامريين ذهب الى غزة ويُظَن انهُ سار في الطريق المتوسطة الممتدة من اورشليم الى الجنوب على طريق حبرون . والعين التي عمَّد فيها الوزير الحبشي هي على الطريق المعوَّجة على ما جاء في التقليد . وهذهِ الطريق يصعب على المركبات ان تسير عليها فعلاً وهي تمتد الى الجنوب الغربي من اورشليم . وفي تقليد آخر اقرب الى التصديق من هذا واقدم منهُ . ان تلك العين هي بجانب الطريق العامة جنوباً شمالي بيت صور . ومن هناك دار فيلبس غرباً يبشر ويعلم بنجاح في مدينة اشدود الفلسطينية القديمة التي تبعد ثلاثة اميال عن البحر المتوسط على الحدود بين السهل الخصيب والرمال المتكومة في الموضع الذي فيهِ تتفرع السكة السلطانية الساحلية الى فرعين شرقي وغربي

امتداد الديانة المسيحية واتساعها في اثناء السنين العشر الاولى

اما بطرس فدار غرباً ووَجد في مدينة اللد الزاهرة — القائمة حيث الطريق السلطانية بين اورشليم ويافا تعبر الطريق العظيمة الشمالية الساحلية — جماعة مسيحية مؤسسة احسن تأسيس . ويافا قائمة على تل بارز يشرف على البحر

الغربي وكانت محلاً موافقاً لبطرس القائد الطبيعي للكنيسة المسيحية النامية بسرعة ان يرى فيها رؤيا واضحة تدلهُ على احتياج العالم الامي العظيم ماوراء حدود اليهودية الضيقة . وبالحقيقة ان يافا كانت باباً بين اورشليم التي تمثل الديانة اليهودية وبين رومية التي تمثل الديانة الوثنية المتسلطة . ومن يافا ذات المرفإ الصغير الصخري تبع الرسول رسل كرنيليوس القائد الروماني في الطريق التي تتاخم الشاطئ الى قيصرية الطريق الجديد الذي فتحهُ هيرودس الكبير بين فلسطين والعالم الامي على شاطئ البحر المتوسط . وصار بطرس هنا بعيداً عن التاثير والتمدن اليهوديين . وسكان هذهِ المدينة التجارية وبناياتها العمومية ولغتها اما يونانية او رومانية وهكذا قبل ان هيرودس اغريباس في السنة ٤١ ب . م . بدأ ملكهُ القصير الزاهر بثلاث سنوات انتشرت الديانة المسيحية في كل حدود اليهودية وكل المدن المركزية للسواحل الغربية ودمشق في الشمال . وبهذا فكت القيود اليهودية الضيقة واتبعت السكك السلطانية الغربية التي كانت تقودها الى الامام الى افتتاح الامبراطورية

موقع طرسوس وتاريخها ان الرجل قائد هذهِ النهضة ومنظم قواعد السياسة العامة للكنيسة المسيحية وُلد في مدينة كيليكية الجنوبية التي كانت في منتصف الطريق بين الشرق والغرب حيث تاثيرات الشرق القديم وتاثيرات الغرب الاكثر نشاطاً تقابلت وامتزجت

ان مدينة طرسوس قائمة على سهل خصيب صلصالي بليل على بعد عشرة اميال شمالي البحر المتوسط يعلو عن سطح البحر ثمانين قدماً فقط . وعلى بعد ميلين للشمال الروابي التي تتصل بقنن جبال طورس العظيمة العالية . هذهِ المرتفعات الشمالية تمنع الرياح الباردة وتجعل هواء طرسوس حاراً وموهناً وفي الايام القديمة كان نهر سدنس السريع يفيض في وسط المدينة وهو سائر الى البحر . وقوة طرسوس قائمة في موقعها على الطرف الجنوبي لسهل

كيليكية العظيم والسكة العمومية من انطاكية الى افسس وازمير في هذا الموضع تمس نهر سدنس ومن ثمّ تدور شمالاً وتعبر سلسلة طورس بواسطة ممرّ كيليكية الشهيرة . وتفوّقها التجاري ليس ناتجاً كثيراً من موقعها الطبيعي كما من نشاط سكانها الاولين . لانهم جففوا المستنقعات حول النهر وحولوا البحيرة حالاً جنوبي المدينة الى مرفإ امين كبير يمكن ان يوصل اليهِ من البحر وفتحوا طريقاً بجانب المجرى الضيق الذي يتخلل سلسلة طورس وجعلوا طرسوس فرضة السهول الواسعة في الشمال

وكانت طرسوس على عهد بولس مدينة فخمة يربو سكانها على خمس مئة الف وكانوا يفتخرون بمدينتهم كما افتخر بها الرسول بولس رسول الامم . والنشاط الذي كان يتصف بهِ سكانها كنتيجة لمقاومتهم بنجاح الاحوال الطبيعية المعاكسة كان ينعكس عن سجايا هذا الشخص الممتاز بولس وعن اعمالهِ

تاثير الوطن القديم في بولس يرجح ان طرسوس من ايام انطيوخس ايبفانيس كانت مقرّ مستعمرة يهودية ذات سلطة وكان لاشك يسمح لهم كجماعة دينية مستقلة ان يشاطروا في الرعوية سكان المدينة الرومانية المتكبرة . وهذهِ الرعوية الرومانية لم تنجِّ بولس من ضيقات متعددة فقط في ميدان حياتهِ المتعب بل جعلت لهُ قبولاً حسناً واتصالاً بالامبراطورية العظيمة التي حمل اليها رسالة الصليب. فالجوّ الذي لبث فيهِ بولس في طفوليتهِ وشبابهِ كان رومانياً محضاً خالياً من التعصب . وتأثير مجتمعهِ الكبير نراهُ ظاهراً في اعمالهِ وتعليمهِ ومن مرفإ طرسوس كانت تقلع السفن بكثرة الى قيصرية و يافا فرضتي اورشليم لذلك كان السفر بحراً هيناً وطبيعياً على الشاب اليهودي الطرسوسي عندما سافر الى مدينة امتهِ ليدرس عند قدمَي غمالائيل اعظم عالم يهودي في عصرهِ . واقامتهُ في فلسطين قريبة من الكنيسة المسيحية النامية . والنشاط الذي ورثهُ عن وطنهِ ظهر اولاً في اضطهادهِ العنيف لاعضاء الشيعة الجديدة

وذكاؤهُ وحرية افكاره التي ورثها عن مجتمعهِ وهو شاب والتي قادتهُ بعدئذٍ الى معرفة قيمة ما هو حسن في الاديان الوثنية اعدتهُ الى اختبار فائق صادفهُ وهو عابر الصحراء في طريقهِ شمالاً الى دمشق

عملهُ في انطاكية ان تاريخ انتشار المسيحية اثناء العشر سنين الثانية هو بالاكثر تاريخ مـا عملهُ رسول الامم العظيم . وفصول النصف الاخير الدقيقة فصول سفر اعمال الرسل ترسم لنا سفرات ذلك الرسول واختباراته رسماً بديعاً . ومن الطبيعي ان بولس احد اهالي بر الاناضول لا يلبث في بلاد فلسطين الضيقة بل يذهب حاملاً نفس الرسالة الى انطاكية المركز العظيم لكل الشرق

وهنا كان قادراً ان يلاحظ تاثير الديانة المسيحية في الغريبين ولا سيما في اليهود من الشتات وكانت انطاكية ايضاً المركز الطبيعي الجغرافي الذي منهُ يسافر سفراته التبشيرية

اهمية عمل بولس الافتتاحي ان بولس في كل اعماله التبشيرية كان يتبع خطة محدودة فاختار مركزاً لعملهِ المدن العظيمة الواقعة على السكك السلطانية سكك المواصلات والتجارة . وكان سبب هذا الاختيار ان المدن الكبيرة كهذهِ كانت تقطنها الجماعات اليهودية وفيها المجامع مفتوحة الابواب لتبشير تلميذ الحاخام غمالائيل الشهير . وفي اثناء القرنين السابقين كان صار لليهود الشتات قوة فعالة في تهويد الاخرين ومركزهم الشريف النافذ الذي وصلوا اليهِ في كثير من المدن اليونانية الرومانية وصفات دينهم صيرت لهم مقاماً معتبراً بين جيرانهم الوثنيين . وكانت النتيجة ان كثيرين من الامم قبلوا مبادىء الديانة اليهودية وصاروا يسجدون مع اليهود في مجامعهم وهؤلاء المتهودون كانوا يسمون عادة في سفر الاعمال "باليونانيين المتعبدين" اع ١٧ : ٤ وهكذا اعدّت اليهودية الطريق لنشر المسيحية . ومن صفوف هؤلاء اليونانيين المتعبدين اهتدى قسم كبير ولبوا دعوة تبشير سائر الرسل المسيحيين

بولس وبرنابا في قبرس وبناء على تعيين الروح القدس اختط بولس وبرنابا سفرتهما الاولى التبشيرية. ان كيليكية كانت من ضمن املاك انطيوخس وكانت بالحقيقة قسماً من ولاية سورية. لذلك توجه بولس و برنابا الى جزيرة قبرس المجاورة الى الجنوب الغرب وولاية غلاطية الرومانية كانت الى الشمال الغرب. والارجح ان ما جذبهما الى قبرس هو ان برنابا كان مولوداً فيها. وقبرس في كل تاريخها كان لها علاقات تجارية بسورية فزار اولاً سلاميس المدينة الشرقية الرئيسية فيها وهي قائمة عند مصب نهر بيديوس على الجانب الشرقي للسهل الخصيب الممتد الى الغرب

ان البطالسة منذ ٢٩٥ ق.م نقلوا كثيرين من اليهود الى قبرس ولاشك ان هيرودس الكبير ارسل منهم كثيرين ليعملوا في مناجم النحاس التي كان يتسلط عليها

في بافوس تمتد من سلاميس سكتان رومانيتان في الجزيرة الى بافوس المدينة الرئيسية في الشواطئ الغربية. والمدينة الرومانية التي زارها بولس وبرنابا في بافوس الجديدة القائمة على شاطئ البحر وكانت بالحقيقة فرضة المدينة البرية القديمة على بعد عشرة اميال الى الجنوب الغربي والمدينة القديمة كانت مشهورة في كل العالم القديم انها مقر العبادة الفاسدة عبادة الالاهة بافيان التي يسميها اليونانيون افروديت. وفي المدينة الجديدة اتصل بولس بالوالي الروماني واحد ممثلي الخرافات المحلية عليم الساحر

السفر الى انطاكية بيسيدية وكان يسهل على المرء ان يجد طريقاً الى الشمال الى شاطئ بمفيلية. اذ على هذه الطريق تسافر كثير من السفن التجارية من الاسكندرية الى رومية. والارجح ان الرسولين نزلا الى اضاليا ومن هناك ذهبا الى برجة المدينة الرئيسية لبمفيلية المتوسطة وهي قائمة على بعد خمسة اميال من النهر على سهل عند حضيض قلعة بارزة ممتدة. وهواء هذه السهول الساحلية حارٌ رطب تكثر فيه الحمى الملاريا وكانت تسود على

المدينة عبادة الالاهة المحلية وليس من برهان على انهُ كان في ذلك المحل مجمع لليهود . وبسبب هذهِ الاحوال غير الملائمة مرَّ بولس وبرنابا في هذهِ المدينة الجنوبية مرًّا في ذهابهما الى المراكز الملائمة في الشمال . والسفر هنالك في الاودية العميقة وفوق المرتفعات الصعبة كان متعبًا للغاية ولاشك ان بولس قاسى هنا كثيرًا من اخطار الانهر واخطار اللصوص التي ذكرها في رسالتهِ الثانية لاهل كورنثوس (٢ كو ١١: ٢٦)

احوال انطاكية بيسيدية ان الرسولين وجدا الحقل العظيم الاول لعملهما في برّ الاناضول في انطاكية المستعمرة الرومانية . وتعلو انطاكية عن سطح البحر نحو ٣٦٠٠ قدم وهي على هضبة منفردة محيطها ميلان وترتفع عن السهل الغربي من مئة قدم الى مئتين يحميها من الشرق مضيق صخري يجري فيهِ نهر انثيوس . ولذلك كانت المدينة حصنًا طبيعيًّا قادرة ان تقاوم هجمات الجبليين البيسيديين الحربيين . جعلها اوغسطس مستعمرة رومانية قُبيل بداءة العصر المسيحي ولذلك كانت موضعًا عسكريًّا للرومية نفسها تسلط على القسم الجنوبي من ولاية غلاطية الرومانية العظيمة . وكانت انتسخت منها حديثًا عبادة الاله المحلي مما صيّر المدينة حقلاً ملائمًا لتبشير الرسولين . وكان يظهر ان المستعمرة اليهودية كبيرة وذات سطوة لان كثيرين من الامم كانوا يتحدون مع اليهود في العبادة في مجامعهم . ويظهر ان بولس وبرنابا من البداءة اثرا التأثير العميق في سكان هذهِ المدينة المهمة ونجاحهما هو الذي هاج بعض اليهود وولاة الحكومة الرومانية فافضى الامر الى طرد الرسولين عنوة

في ايقونية دار الرسولان من انطاكية الى الشرق وسارا في السكة الرومانية الممتدة الى لسترة وعوضًا عن ان يذهبا بالحال الى لسترة ذهبا الى ايقونية التي تبعد ثمانين ميلاً الى الشرق عن انطاكية

وايقونية قائمة على سهل مستوٍ يعلو عن سطح البحر نحو ٣٣٧٠ قدمًا تحميها من الغرب سلسلة جبال عالية يتفجر منها النهر الذي يروي السهل

العطشان الواسع القائمة عليه ايقونية ثم يغور فيه. وايقونية بعكس انطاكية ليس لها حصون طبيعية وللاستفادة من مياه نهرها بنجاح وحمايتها من فيضانه السنوي يحتاج الاهلون الى همة عظيمة وذكاء مفرط

هنا تنمو مدينة تجارية زاهرة ذات شعب نشيط متفنن والمستعمرة اليهودية والمجمع كانا حقلاً ملائمًا لعمل الرسولين اللذين مكثا هنالك وقتًا طويلاً يبشران ويعلمان ويضعان الاسس لكنيسة مسيحية قوية جعلت ايقونية بعد زمن طويل مركزًا دينيًا مهمًا. ولكن مقاومة اليهود للرسولين بعد حين تعاظمت حتى آل الامر ان الرعاع طردوهما من المدينة

في لسترة ودربة ذهب الرسولان من ايقونية الى لسترة على بعد عشرين ميلاً. وكانت لسترة مدينة هادئة في وادٍ سارّ في وسطها كان تل بارز علوه ١٥٠ قدمًا كانت فيه القلعة . كان يروي هذا الوادي مجريان يجريان من التلال الغربية ومع انها كانت مستعمرة رومانية ومتصلة بانطاكية بيسيدية كانت معتزلة عن سكك التجارة الكبيرة فاتخذها الرسولان ملجأ

ان انطاكية وايقونية كانتا مدينتين رومانيتين قويتين ولكن في لسترة اتصل بولس وبرنابا بالشعب الليكاوني الوطني. واستعداد اهلها لتشبيه بولس الخطيب النشيط بهرمس وبرنابا السكوت المحترم بزفس يبين سذاجة اهل المدينة الصغيرة القروية . ومهاجمة الاوباش الذين هاجهم اليهود الآتين من انطاكية وايقونية الجأ الرسولين الى الالتجاء الى دربة على طرف سهل ليكونية الجنوبي الشرقي . ويظن ان المدينة كانت على تل منخفض قائم في وسط السهل الكبير نحو ٤٥ ميلاً جنوبي ايقونية . ان سلسلة جبال طورس العالية على الجنوب تحجبها عن البحر. هنا كان الرسولان بين الوطنيين حيث سلطة الرومانيين واليونانيين او اليهود كانت ضعيفة للتدخل في عملها الذي ظهر انه ناجح لا يزعجه اضطهاد . ومن هذا المحل عادا ادراجهما في كل المدن التي عملا فيها سابقًا ومن هناك ذهبا جنوبًا ولبثا وقتًا قصيرًا في برجة ثم اقلعا

من اضالية عائدين الى انطاكية سورية

حكم مجمع اورشليم العظيم ان عمل الرسولين الناجح مدة سنتين على ما يرجح سبب مباحثة عظيمة في الكنيسة وهي هل الختان اليهودي ضروري للخلاص . ان بولس وبرنابا سافرا الى الجنوب في فينيقية والسامرة واخبرا المسيحيين في طريقهما عن نتائج عملهما بين الامم . والكنيسة لحسن الحظ قابلت هذا الاختلاف العظيم بحكمة وبروح يسوع وتكسرت القيود اليهودية الضيقة وتقدمت المسيحية من غير معارض لافتتاح العالم

عمل بولس وسيلا في بر الاناضول ان بولس وبرنابا ورافقهما يهوذا وسيلا الممثلان لكنيسة اورشليم خصصوا انفسهم للعمل في انطاكية القصبة السورية ولكنهم بعد حين شعروا بالدعوة لحقل اكبر امامهم فبرنابا برافقة مرقس عادا الى قبرس وبولس اخذ سيلا وسافر سفرته العظيمة الثانية وكان غرضه مزدوجاً . اولاً ان يزور الكنائس التي اسسها سابقاً ويشجعها وثانياً ليحمل رسالة الانجيل الى افسس المركز الديني والسياسي والتجاري لغربي بر الاناضول فزارا اولاً كنائس سورية وقطائع كيليكية الصغيرة ومن هنا سارا في الطريق العسكرية غرباً وحلاً في دربة ولسترة وايقونية وربما في انطاكية بيسيدية

رؤيا بولس في ترواس واذ منع بولس وسيلا من الدخول الى الولاية الشمالية بيثينية . سافرا في ميسيا الى ترواس على آخر حدود بر الاناضول الغربية . هذه المدينة البحرية القائمة عند آخر الطريق البرية العظيمة الممتدة من اسيا مقابل قطيعة اوربة الايجية . ففي هذه المدينة ترواس رأى بولس رؤيا اظهرت له ميداناً جديداً لامتداد المسيحية . وهذه الرؤيا كانت مماثلة مماثلة عجيبة لما ظهر لبطرس في فرضة يافا فاجابة لهذه الرؤيا ترك بولس عمله في بر الاناضول وابحر الى نيابوليس فرضة فيلبي في مكدونية وهكذا اتبع اكثر الطرق استقامة بين بر الاناضول ورومية

بولس وسيلا في فيلبي ان مدينة فيلبي تبعد نحو تسعة اميـال الى الشمال الغربي عن فرضتها نيابوليس (كاڤاله) وكانت على الجانب الشمالي لسهل عظيم ممتد الى الشمال والشمال الغربي ونهرها الكبير يطوف على ضفتهِ الشرقية ويصل الى مستنقع هائل يحيط بالمدينة من الجنوب . وكانت كاكثر المدن التي اختارها بولس مراكز عملهِ مستعمرة رومانية. والارجح انهُ اختارها بسبب اهميتها الحربية كاحد المراكز الحربية في الامبراطورية العظيمة التي كان افتتاحها للمسيح غرض سعي بولسَ من قبلُ . والحماية الرومانية كما برهنت الحوادث كان لها قيمة عظيمة عند الرسول الذي قدر ان يدّعي الرعوية الرومانية في رومية . ويظهر انهُ لم يكن هنالك سوى مستعمرة يهودية من غير مجمع حتى تعرّف بولس باهل وطنهِ في محل الصلاة في الخلاء بجانب النهر خارج اسوار المدينة . ونجاح عمل الرسولين هاج المقاومة التي لامناص منها وافضت الى سجنهما ولكنهما أُخرجا في هذهِ الحادثة من المدينة بتوسل حكام المدينة لا بالعنف

في تسالونيكي سافر الرسولان من فيلبي غربًا في الطريق الاجناشية المطروقة الى تسالونيكي حاضرة مكدونية ومدينتها التجارية الرئيسية وهي عند الطرف الشمالي الشرقي لخليج الثرمي خليج سالونيكة الحاضر في مدرّج مؤلف من التلال المحيطة التي تتوجها قلعة منيعة . وما وراء المدينة سهول واسعة وهي تتسلط على تجارة بحر ايجي الشمالي . وبسبب اخلاصها لاكتافيوس وانطوني جُعلت مدينة حرّة كان يتولاها مجمع وحكام منها يسمّون بوليتاركس . ونجح بولس هنا كما نجح في فيلبي فاسّس كنيسة مسيحية قوية معظمها مؤلف من الدخلاء اليونانيين

واتهم اليهود المعادين بولس وسيلا بعد حين بالانشقاق والثورة وكان ولاة مدينة حرة كتسالونيكي مستعدين ان يسمعوها مما اضطر بولس ان يهجر المدينة بالحال متأسفًا

بولس في بيرية ان بولس الآن كما عند هربهِ من ابفونية وجد ملجأ في مدينة منفردة هادئة في بيرية التي تبعد خمسين ميلاً الى الجنوب الغربي عن تسالونيكي في وسط الغياض والمجاري الدافقة تحيط بها سلسلة جبال بارزة في الغرب والمدينة تشرف على بحر ايجه شرقًا . وامامها متسع عريض من السهل . هنا وجد بولس نوعًا من اليهود اشرف مما رأى والارجح انهُ لم تمسهم روح محبة المال روح اولئك الذين جذبتهم المراكز التجارية العظيمة كتسالونيكي وفيلبي وكان عملهُ بين اليهود اليونانيين مفلحًا الى ان جاء الرقباء من تسالونيكي فاوقفوا عملهُ

في اثينا ذهب بولس بصحبة مسيحيو بيرية جنوبًا في بحر ايجه الى موطن ذلك التمدن الذي احاط بهِ في ايام صبوتهِ في طرسوس واثر تأثيرًا عميقًا في الحقول التي اتمَّ عملهُ فيها. واذ نزل في مرفإ بيريوس سار في الطريق الى اثينا التي كانت بجانبها المذابح للآلهة المتعددة . وعند دخولهِ الى المدينة ذهب بالطبع الى ساحة البلد التي كان على جنوبيها تل اريوس باغوس يرتفع بغتةً . وشرقي هذا كانت القلعة (الاكربولس) يزينها البارثينيون (هيكل الالاهة اثينا) اجمل صناعة اليونان ولا مثيل لهُ . وكانت اثينا لم تزل في اوج بهائها الفنيّ ولكنها كانت توقفت ان تكون قصبة السياسة والعلم للعالم اليوناني . والفلسفة السطحية والمغالطة (السفسطــة) تغلبت على القيادة العقلية الحقيقية . وبما ان اثينا كانت بعزلة عن التجارة لم تجذب المستعمرين اليهود كثيرًا ولذلك كان ينقصها الاساس الديني الذي وجدهُ بولس في غير محلات وكان مساعدًا لهُ في عملهِ السابق . وروح الانتقاد والتفلسف في اثينا لم يكن على ذوقهِ . وكان بولس معتادًا ان يجعل نفسهُ سادًا لاحتياجات البشر فبذل جهدهُ ليجعل نفسهُ ملائمًا للاحوال فنجح قليلاً وليس من خبر عن كنيسة في اثينا ولذلك تركها بعد حين ليبحث عن محل اوفق منها

اهمية كورنثوس ان كورنثوس التي ذهب اليها من اثينا صارت علمًا

مهماً في تاريخ خدمته وكان يدعوها الاقدمون "جسر البحر" وهي قائمة على لسان ضيق من الارض يصل بين البوغازين الكورنثي والساروني وكانت على احدى السكك الثلاث العظيمة الممتدة من الشرق الى الغرب وفيها كانت كل البضائع تحول من سفينة الى اخرى وكانت ايضاً الجسر الذي يصل البيلوبنيس (شبه جزيرة المورة) باغريقية الشمالية. لذلك قدّر لها طبيعياً ان تصير مدينة عظيمة ذات سطوة وكانت مبنية على جلّ عريض عند آخر السهل المنحدر انحداراً صغيراً وفيها قلعة حصينة تعلو عن سطح البحر ١٨٠٠ قدم. وعندما زارها بولس كانت الحاضرة الرومانية لولاية اخائية والمدينة المهمة فيها وكانت من ايام يوليوس قيصر مستعمرة رومانية ولاهميتها التجارية كان اهلها غير متعصبين وبينهم كثيرون من اليهود. وكانت مثل اكثر المدن المشابهة لها بالوضع ناجحة وكثيرة الفساد والشهوات

عمل بولس في كورنثوس ان بولس هيأ نفسهُ لهذا الحقل المهم المحتاج اذ خصص نفسهُ وكل قواهُ لهُ واذ كان مهتماً لنتائج عملهِ في تسالونيكي بزعجة فقرهِ وبضعفهِ مرضهِ خصص نفسهُ لتعليم اليهود والامم وفي نفس الوقت كان يعمل في حرفتهِ حياكة الخيام. واذ وجد اليهود معادين لهُ خصص نفسهُ بالكلية للامم وسكن مع تيطس يوستس الذي يدلّ اسمهُ على انهُ روماني الاصل واذ كان غير قادر ان يزور كنيسة تسالونيكي كتب الى الجماعة المسيحية هنالك كتابين يعرفان بالرسالة الاولى والرسالة الثانية الى اهل تسالونيكي. ويظهر انهُ في ذلك الوقت كتب رسالتهُ الشهيرة الى كنائس غلاطية وهذهِ الرسائل هي بداءة المراسلة الشهيرة المذكورة في رسائل العهد الجديد. وفي هذا الزمن او في زيارة بعد هذا كتب بولس من كورنثوس رسالتهُ المعروفة بالرسالة الى الرومانيين التي تحتوي على اشرف خلاصة للعقائد المسيحية وانها وكورنثوس كانت احد المحلات القليلة التي لم يكن بولس مضطراً فيها ان يبرحها بسبب ضغط الاضطهاد. وبعد ان تغرب فيها نحو سنتين ذهب الى سورية وفي

طريقهِ لبث وقتاً قصيراً في افسس واخيراً نزل الى قيصرية

سفرتهُ الثالثة بعد ان زار بولس كنائس اورشليم وانطاكية سافر على الارجح في اول الربيع سفرتهُ الثالثة العظيمة وكان غرضهُ فيها كما في السفرة الاولى ان يزور الكنائس التي اسسها ويعلن الانجيل في مدينة افسس فزار ثانية اولاً قطيعة غلاطية وفريجية ومن هناك سافر غرباً في طريق القوافل العظيمة . ويظهر انهُ ذهب تواً الى افسس في الطريق العالية الشمالية وصارت افسس بعد سنة او سنتين المركز الذي منهُ سافر الى كنائس مكدونية واخائية ويظهر انهُ في بعض المحلات كبلاد الليريكون على بحر الادريانيك مثلاً وسَّع دائرة نفوذهِ

موقع افسس واهميتها كانت افسس في ذلك الوقت المدينة التجارية الرئيسية لبر الاناضول ومنها تتفرع السكك العظيمة من الشرق والشمال وهي قائمة مقابل جزيرة صاموس على ضفة نهر كايستر وهي كاكثر المدن اليونانية مبنية على رابية عالية وحولها يحيط بها سور عظيم وهي كانت مدينة رومانية بحتة فيها مشهد هائل وساحة جميلة وملعب يسع اكثر من ٦ آلاف من القاعدين ودار للخطابة والقضاء وشوارع ذات قناطر على الجانبين . ولكن احوالها المعاشية وافكارها كانت يونانية وهذا التمدن الغربي كان يؤثر فيهِ كثيراً التمدن الشرقي لان افسس بسبب موقعها كانت المكان الذي الشرق والغرب التقيا فيهِ وامتزجا . وسكان المدينة كانوا غير متعصبين كمدنها . وهنا الافكار الرومانية واليونانية والاسكندرية والشرقية التقت وامتزجت وهيكلها ثاني دلفي كان لهُ اهم تأثير ديني في العالم اليوناني ولكن تأثيرهُ على الاجمال كان سافلاً ودنيئاً

وهنا انشأ بولس والعملة المسيحيون الذين التفُّوا حولهُ في وسط الاضطهاد الفعَّال كنيسة كان لها في مستقبل الايام اعظم شأن وتأثير في بر الاناضول ولم يبرح بولس اسيه حتى اسس جماعة مسيحية في ترواس التي كان قد زارها في

سفرتهِ الثانية واسسا كذلك في مدينتي كولوسي ولاودكية المهمتين شرقي افسس على طريق القوافل من سورية ووادي دجلة والفرات. ويظهر ان الكنيستين الاخيرتين انشأها رفقاؤهما في العمل لانهُ في رسالتهِ الى كولوسي ذكر انهُ لم يزر مدينتهم شخصياً

رجوعه الى فلسطين وبعد ان غرس الايمان المسيحي في كل المراكز المهمة على الطريق الممتدة الى رومية اقلع من مدينة ميليتس ووجهتهُ اورشليم وسار في الطريق العادية على شاطىء بر الاناضول ونزل في صور

ومن هناك سار براً الى اورشليم وفي طريقهِ اقام مدة في عكا وقيصرية. والاضطهاد المرّ الذي قاساهُ في القصبة اليهودية وسجنهُ الطويل في قيصرية معروف لدى قراء ترجمتهِ كل هذا قوّى فيهِ الميل الذي كثيراً ما صرّح بهِ لزيارة قصبة الامبراطورية العظيمة التي عرف قوتها وضعفها حق المعرفة ورعويتهُ الرومانية مكنتهُ ايضاً من النجاة من مضطهديهِ الملحّين ومن الوصول الى رومية وهو سجين

سفرهُ الى رومية ان شجاعتهُ وايمانهُ في سفرتهِ هذهِ الاخيرة الطويلة وخبرتهُ الواسعة في الاسفار مُثِّلت احسن تمثيل. وبعد ان اقلع من قيصرية هو وحرسهُ الروماني انتقل الى سفينة اخرى تجارية اسكندرية في ميرا احدى مدن ليكية الجنوبية ومن هناك ابحروا في الطريق العادية على شاطىء كريت الجنوبي حتى قذفتهم العاصفة جنوبي طريقهم مجتازين سيسيليا الى جزيرة (مليطة) مالطة حيث انكسرت السفينة واضطروا ان يمكثوا مدة فصل الشتاء. ثم اقلعوا في سفينة اسكندرية تجارية الى الشمال ونزلوا في بوطيولي. ومن هناك ساروا براً الى رومية في الطريق أبيا. واخيراً من رومية غرض كل سفرتهِ التبشيرية قدر ان يوسع حدود الكنيسة التي كانت قد تأسست في القصبة وبواسطة رسائلهِ ورسلهِ بقيت الاتصالات بينهُ وبين الكنائس التي قد اسسها

امتداد المسيحية في العالم لايعلم ان كان بولس قدر بعد هذا ان يزور اسبانية البعيدة كما يذكر في احد التقاليد المسيحية القديمة . ولكن المحقق ان الغرض الذي وضعهُ نصب عينيهِ على الاقل قد وصل اليهِ . وفي اقل من ثلاثين سنة بعد موت يسوع انشئت الجماعات المسيحية النامية في كل المدن المهمة مدن البحر المتوسط الشرقي والشمالي. و بعد قرنين او ثلاثة قهرت الديانة الوثنية وصارت الديانة المسيحية سيدة الامبراطورية وهذهِ الاعمال العجيبة كان يستحيل ان تتم لو كانت رومية في تقدمها الطبيعي لم تسحق كل الموانع الجنسية والملية وتجعل كل شعوب العالم القديم امبراطورية واحدة عظيمة. انها فتحت الطرق الطبيعية ورقتها وجعلت الاتصالات سريعة وسهلة. ان اتجاه الحضارة الطبيعي كان ايضاً من الشرق الى الغرب والمسيحية سارت على رأس موجة عظيمة كانت تغمر العالم الغربي. وهكذا ايمان الانبياء العبرانيين وايمان الرب يسوع الذي نودي بهِ على رؤوس تلال اليهودية والجليل قدران ينتصر على العالم الانتصار الذي هو اعظم عمل وحقيقة في تاريخ البشر

تمَّ الكتاب

اصلاح غلط

وجه	سطر	خطأ	صواب
٦٢	٢٠	في المحال	واما في المحالّ
١٠٦	٩	جسور	عبور

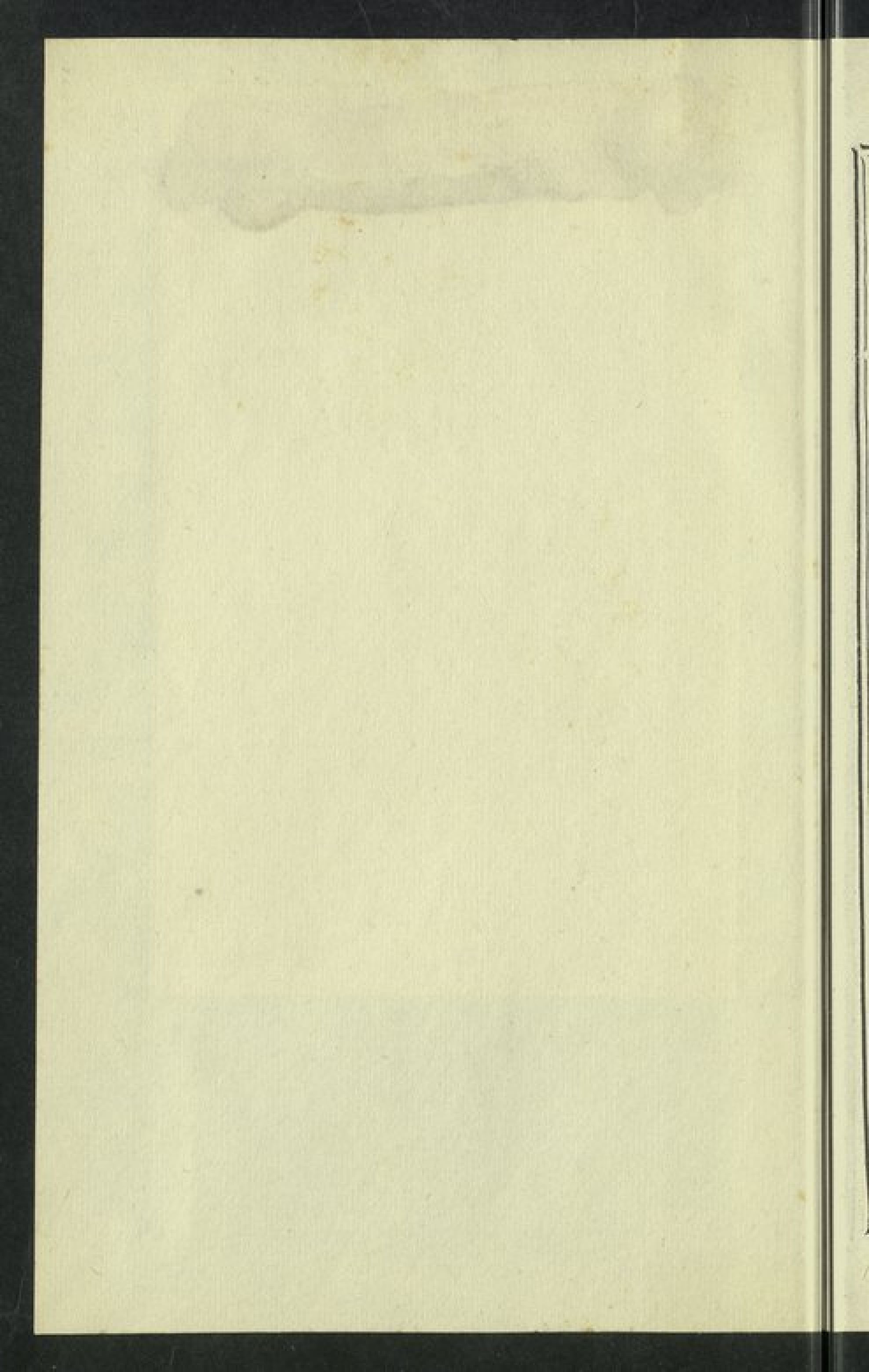
لا يجد القارئ الفصل الثالث عشر لانهُ مُزج سهواً بالفصل الثاني عشر الوجه ٩٩

فهرس جغرافية الكتاب المقدس

القسم الاول الجغرافية الطبيعية

القسم الثاني الجغرافية التاريخية





DATE DUE

